الكتب الجغرافية




ماذا عن تطور الهدف واحتواء الأزمة

دكتور
صلاح الدين علي الشامي
أستاذ الجغرافيا
كلية الآداب - جامعة بنها



الناشر منشأة المعارف بالاسكندرية
جلال حزي وشركاه






دكتور
صلاح الدين علي الشامي
أستاذ الجغرافيا
كلية الآداب - جامعة بنها

١٩٨٧

الناشر
منشأة المعارف بالإسكندرية
جلال حزي وشركاه



# إهـــداء

---

الى جيل البراعم والخبرات الجغرافية المصرية المتفتحة ، ومسئولية التجديد والتجويد الجغرافى أمانة فى عنقه ، أقدم ، بل قل ، أهـــدى خـــواطرى واهتمـــاماتى ٠

بسم الله الرحمن الرحيم

# تصدير

فى عالم تواجه فيه التجارب الحياتية التحديات ، فى ربوع الأرض ، يكون الالتزام بالبحث وتقصى الحقيقة ، التى تعجم عود التحدى ، وترشد ابداع وحسن توظيف الوسيلة الحضارة الأنسب لمواجهة التحدى وابطال مفعوله ، أو تطويعه وحل عقدة عناده ضد ارادة الحياة ٠ وتقف العلوم فى طليعة التجارب الحياتية ، على خط المواجهة ، تحاور وتناور وتلتحم ، ولا تكاد تقبل بغير الانتصار لحساب الانسان بديلا ٠ وفى الوقت الذى يجسد فيه هذا الانتصار لحساب التجارب الحياتية ، وهى تزحزح حد المصالحة بين الانسان والطبيعة لحساب الانسان وعلى حساب الطبيعة ، من ناحية ، يجسد أيضا التطور العلمى ويشهد على تغيير وتطوير وتجديد أهداف العلوم ٠ وقل أن التجارب الحياتية وهى تتحلى بارادة التغيير والمحافظة على موجبات السيادة ، وتواجه المتغيرات وفى صحبتها التحديات ، لا تتقدم على الدرب التقدم الواثق الصحيح ، نحو الهدف الاقتصادى ، وفى اطار التشكيل الاجتماعى والتنظيم السياسى ، الا تحت مظلة الابداع الحضارى والاجتهاد العلمى ، الذى يشحذ ويقوى فاعلية الوسيلة الحضارية ٠

وهكذا نفهم جيدا موجبات التطور العلمى ، ونتبين مسئوليات هذا التطور ، وهو أمين على مصالح التجارب الحياتية ٠ كما نرصد حتمية هذا التطور الذى يلهث وهو يتأتى ويحقق الجديد والتجديد ، على صعيد العلوم الطبيعية ، وعلى صعيد العلوم الانسانية ، فى الأسلوب ، وفى المنهج ، وفى الهدف ٠ وتكشف حتمية هذا التطور العلمى النقاب عن ضرورة الاستمرار

والمضى على درب التغيير والاضافة ، لحساب التجارب الحياتية ، وهى تمضى مع حركة الحياة المتجددة ، من عصر الى عصر آخر • وتبدو وكأن نهاية المطاف فى أى عصر ، بداية حقيقية لاجتهاد ضرورى جديد لتطوير العلم وتحديث توجهاته وتطلعاته وتنمية أهدافه ، حسب حاجة العصر • بل قل أن مسيرة هذا التطور العلمى لا تعرف الوقوف الجامد عند حد ، ولا تركن الى الجمود أبدا ، لأنه يمثل تصنبا فى شرايين الحياة ، ضد ارادة وحركة الحياة •

وعلم الجغرافية وهو علم تركيبى وتحليلى وبينى ، يقف فى المكان المناسب بين العلوم الطبيعية والعلوم الانسانية ، ويعرف كيف يمد يده لكى يلتقط ويجنى ثمرات ونتائج هذه العلوم ، ولكى يحسن ويتقن توظيفها فى خدمة الهدف الجغرافى ، وفى تصنيع أو صياغة النتائج التى تجاوب هذا الهدف ، كان من أكثر العلوم التزاما بالتطور من عصر الى عصر آخر • ويبتنى هذا الالتزام على أساس أن العلم فى هذا الوضع البينى ، وهو يدخل نتائج العلوم واضافاتها المتطورة فى صنع توليفة نتائجه العلمية ، ينبغى أن يتحلى بالقدرة على استيعاب هذا التطور ، وعلى الاستجابة لدواعى هذا التجديد والاضافة • بل قل ينبغى أن يحتوى علم الجغرافية فى صلب تركيبه الهيكلى العلمى ، الاستعداد الصريح ، لتطوير الهدف الجغرافى ، ولتطوير الوسيلة والمنهج وصولا الى هذا الهدف ، وهو يتطور وتتجدد أبعاده من عصر الى عصر آخر •

هذا ، ويتحمل الفكر الجغرافى ، وهو من وراء علم الجغرافية على كافة مستويات آدائه ، النظرية الأكاديمية ، والعملية الميدانية ، والتجريبية التطبيقية ، مسئوليات هذا التطوير • ولا يكون هذا التطوير ولا يبدأ أبدا من فراغ ، ولا ينتهى بالضرورة من غاية أو هدف جغرافى ، يجاوب حاجة العصر ، ويخدم حركة الحياة فى المكان والزمان • وتمتلك الخبرة الجغرافية دائما ، مهارات تطوير الهدف الجغرافى ، ومهارات تطويع البحث الجغرافى نظريا ، وميدانيا ، وتطبيقيا ، فى اطار اهتماماتها ، وهى تدرس الأرض لحساب الانسان ، او وهى تدرس الانسان وحركة حياته المستجيبة لدواعى

التغيير فى ربوع الأرض . بل قل أن هذه الخبرة الجغرافية فى وسعها أن تتبين وأن تستشعر العلاقة بين الأرض وكل السنن الحاكمة للطبيعة فى ربوعها المتنوعة ، والانسان وكل القدرات الحضارية التى يتأهل بها ، وأن يحسب حساب جدوى القدرة الحضارية فى كل جولة صراع من أجل تطويع ، أو من أجل ابطال مفعول التحديات التى تبديها السنن الحاكمة وتواجه بها حركة الحياة فى ربوع الأرض .

ويسعدنى أن أتقدم بهذا الكتاب الى قارىء العربية ، لكى يقف على مبلغ استجابة المدرسة الجغرافية المصرية العربية لمتغيرات العصر وكل عصر، وعلى مبلغ الاستعداد الحقيقى والاسهام الفعلى فى تطوير الهدف الجغرافى . وهناك أكثر من علامة على أن الخبرة الجغرافية المصرية ، تملك مهارات الوقوف فى الصف العلمى فى المكان المناسب ، لهذا العلم البينى ، حتى يتحقق له الانجاز العملى التطبيقى ، لحساب حركة الحياة . وأدعو الله أن يوفقنى فى حسن بيان هذا المضى الجغرافى المصرى ، على درب التطور العلمى العملى التطبيقى . وعلى الله وحده قصد السبيل ، وهو نعم المولى ونعم النصير .

**صلاح الدين على الشامى**

ابريل سنة ١٩٨٧



# بـداية واقـتراب



# بداية واقتراب

يجسد الفكر الجغرافى ، ومسيرته الطويلة ، ومشوراه المستمر ، على المدى الطويل ، بكل ما ابتنى عليه من منطق معقول ، وفلسفات عقلية واعية ومتنورة وجادة ، اهتمـــاماته وتوجهاته وعنـــايته بالمدركات الجغرافيـــة الحسية ، فى المكان والزمان . وقل أن هذه العناية ، كانت تحاول وتتذرع بكل الأساليب ، وهى تمضى دائما فى الاتجـــاه الصحيح . ويعرف هـــذا التفكير الجغرافى ، فى نهـــاية المطاف ، لمـــاذا وكيف ، يبتنى قاعدة يرتكز عليها علم الجغرافية . كما يعرف جيدا ، لمـــاذا ، وكيف ، ومتى ، يبلور أو يصطنع الهدف الجغرافى ، الذى يتولى علم الجغرافية مسئوليته ، والعناية به عناية حصيفة ، لا تكف ولا تسكت أبدا .

وقل لقد أحسن هذا الفكر الجغرافى كثيرا ، عندما عرف بعـــد مسيرة حافلة ومبدعة ، وهى تمضى فى صحبة مسيرة حركة الحياة الانسانية عـــلى الأرض ، كيف ولمـــاذا يوضع الهدف ، أو الغرض الجغرافى بكامل أبعاده ، شكلا وموضوعا ، أمانة غالية فى عنق الاجتهاد الجغرافى الجـــاد المتنور . وكان هذا الاجتهاد الجغرافى الجاد ، حريصا على هذه الأمانة ، التى لا يجوز اهمالها ، أو لا ينبغى التفريط فيها .

وأصاب الاجتهاد الجغرافى دائمـــا ، أو أفلح باستمرار ، فى حسن تبنى هذا الهدف الذى يجاوب اهتمامات الفكر الجغرافى . كما أفلح أيضا ، فى حسن احتواء مفاهيمه ومدركاته الجغرافية الحسية ، وفى حسن العناية بها . وقل أنه تعقب أهم المدركات الجغرافيا الحسية ، فى المكان والزمان . كما تابع البحث والتحرى ، وهو يعكف على تأمل الرؤية الجغرافيـــة ، فى المكان وفى الزمان . ومن ثم كان اختيار المنهج الأنسب ، من أجل الوصول الموفق ، الى صاب أو الى جوهر هذا الهدف الجغرافى .

وقل أيضا ، أن هذا الاجتهاد الجغرافى ، مضى فى كـــل مرحلة من المراحل ، مع خطوات المسيرة الفكرية الجغرافية ، من عصر الى عصر آخر ، فكان جادا ومتفتحا ، ولم يفرط أبدا فى أصـــول حسن الصحبة . بل قل

أنه كان مجديا ومفيدا ، وهو يجاوب أو وهو يلبي التطلع الى معرفة وادراك وتأمل أفضل ، للمدركات الجغرافية الحسية • وربما أضاف من عنده ، وهو يحملق في المكان ، شيئا مناسبا عن المدركات الجغرافية المعنوية •

ولم يتهرب الاجتهاد الجغرافي أبدا ، من المسـئولية المنوطة به ، ولم يتهاون في معاينة المدركات الجغرافية • وقل أنه لم يتخاذل أبدا في سعيه الجاد ، وهو يجد ويتعقب معنى ومغزى ومرمى ، كل ما من شأنه ، أن يجسد الهدف الجغرافي • بل قل بعد ذلك كله ، أن هذا الاجتهاد الجغرافي الجاد ، قد اصطنع كل ما في وسعه ، من غير افراط حينا ، ومن غير تفريط أحيانا أخرى ، لكي ينقي العمل الجغرافي ، من زحمـة ، أو من تعتيم الشوائب ، التي تبدو ، وهي مخلوطة به ، أو التي كانت تشوه حسن تعبيره ، أو التي كانت تخفي صدق بيانه الجغرافي الصحيح •

هكذا ، مضت مسيرة التفكير الجغرافي في صحبة مسـيرة الحيـاة الانسانية على الأرض(١) ، وهي ترشد وتبصر التعايش في المكان والزمان . أو وهي تشد أزر حركة الحياة في مواجهة الطبيعة وتحدياتها التي لا ترحم ، في ربوع الأرض • وربما كانت البداية متواضعة ، وقـد تمثلت في مجرد رصد بعض المدركات الجغرافية الحسية ، رصدا أثار العجب حينا ، وفجر التساؤل أحيانا كثيرة في المكان والزمان • ولا ينبغي التشكيك في قيمـة هذا التعجب أحيانا أو هذا التساؤل أحيانا أخرى ، لأنه هـو الذي أثارت بموجبه المدركات الجغرافية العقل الانساني • وكانت وكأنها دعوة صريحة . لكي يكون التفكير ، ولكي يصبح الشغل الشاغل الذي يشغل الانسان ، في

---

(١) ظهر الانسان لكي يعيش حياته على الأرض ، وهو مؤهل باستعداد فطرى لاستشعار خصائص المكان • وكان هذا الاستعداد الذى يمثل حسـا فطريا ، وسيلة جمع ورؤية واستيعاب، بعض أهم المدركات الجغرافية الحسـية ، التي عايشتها حركة الحياة • واستوجبت هذه المعاينة ، توظيف العقل في التأمل ، وفي التمعن ، وفي التفكير ،من أجل تقصي حقيقة هذه المدركات الجغرافية الحسية في المكان ، وكيفية التعايش معها • وبدأ هذا التفكير الجغرافي بداية متواضعة . مع ميلاد الحياة الانسـانية في المكان المعين ، على صعيد الأرض • وكان هذا التفكير الجغرافي ، في مرحلة طويلة فكرا عفويا لا يسجله الانسان ، أو لا يعبر عنه غير علامات الانتصار لموجبات التعايش في المكان مع الطبيعة • ثم كان في مرحلة أخرى فكرا مكتوبا ومدونا ومنظما ، في مدونات ، تحكي ونقص ونصور مبلغ انشغال الانسان بتأمل المدركات الجغرافية الحسية ، ومبلغ جدية وجدوى الانهماك في التفكير فيها • راجع : الشامي صلاح الدين : الفكر الجغرافي سيرة ومسيرة ـ الاسكندرية سنة ١٩٨٠ •

المكان والزمان ٠ وما كف الانسان عن هذا التفكير الجغرافى يوما ، وما كان فى وسعه أن يكف أبدا ، وهو يستوعب المدركات الجغرافية الحسية ، حتى يعرف كيف يتعامل معها لحســـاب التعايش الأنسب فى المكان ، على المدى الطويل ٠

وفى الوقت المناسب ، وبعد مسيرة طويلة ، بداية من ميلاد الحيـــاة الانسانية على الأرض ، أقدم الاجتهاد الجغرافى فى شجاعة ، وأحسن توظيف البصيرة الجغرافية ، لـكى تنجح مهمة انســلاخ الفـــكر الجغرافى ، أو قل تحريره ، من الارتباط الوثيق بالفكر التاريخى ٠ وحتما كان هذا الارتباط قد فقد موجباته تماما ٠ وتهيأ المناخ الأنسب ، لأهم نقطة تحول عقــلانى ، فى مسيرة التفكير الجغرافى على الاطلاق ٠

وكان الوصول الى هذه النقطة ، يعنى الاقتراب من الوضع الذى يتأتى فيه الاستعداد ، من أجل بناء وتجهيز الاطار العلمى ، الذى يصبح ويكون فى وسعه أن يحتوى اهتمامات التفكير الجغرافى ٠ ولقد اصطنع الاجتهــاد الجغرافى عندئذ ، كل ما فى وسعه ، لـــكى يرسخ الأصــول ، والقواعد ، والأسس ، التى يبتنى عليها ، أو التى يكون بموجبها هذا الاطار المحكم ٠ وبناء هذا الاطار المحكم ، لا يعنى غير الوصول الى ، أو الاعــلان عن ، مولد علم الجغرافية الحديثة ، فى غضون القرن التاســـع عشر الميلادى ٠ وكان العقل الأوروبى الذى تحرر من كوابيس وضغوط الكنيسة الكاثوليكية ، هو المسئول عن ولادة هذا العلم ، وصياغة الهدف الجغرافى ٠

الفصل الأول

# علم الجغرافية الحديثة
# جوهر الهدف والتوجهات

- نشأة علم الجغرافية والبحث عن الهدف
- اهتمامات وتوجهات الجغرافية الحديثة
- توجهات الجغرافية الحديثة وصياغة الهدف الجغرافى
- تمهيد



# الفصل الأول

## علم الجغرافية الحديثة

## جوهر الهدف والتوجهات

تمهيـد :

كان هناك على المدى الزمنى الطويل ، هدف جغرافى أولى بسيط . وتمثل هذا الهدف الأولى فى الكشف الجغرافى ، واسقاط الحجاب عن الرؤية الجغرافية الشاملة، وعن انتشار التجربة الحياتية المتنوعة فى ربوع الأرض . ولقد استوجب جمع أوصال هذه الرؤية الجغرافية ، وحشد محتواها من المدركات الجغرافية ، وقفات تأمل متأنية . وفى اطار هذا التأمل ، عكف العقل الانسانى على التفكير فى كنه وماهية هذه المدركات الجغرافية . وصحيح أن هذه المدركات الجغرافية قد أوقعت العقل فى حبائل الانبهار أحيانا ، ولكن الصحيح أيضا أنه لم يستسلم لهذا الانبهار ، ولم يفقد قدراته على المضى فى التأمل والتفكير فيها أحيانا أخرى .

وفى الوقت الذى لم يمتلك فيه الانسان غير الحس الجغرافى وحده ، عاين المدركات الجغرافية وتأملها ورشد تعايش حركة الحياة فى المكان . كما واصل الانسان تحت مظلة انجازاته الحضارية ، وهو يبتنى قواعد مدنياته ، معاينة المدركات الجغرافية الحسية . وربما كانت شغله الشاغل وهى تبهره وتستوجب تفكيره بكل الالحاح فى طلب الحقيقة . واضافة الى طلب الكشف الجغرافى ومعاينة المدركات الجغرافية ، كان البحث عن الحقيقة الجغرافية ، علامة على اتساع دائرة الهدف الجغرافى ، اتساعا محدودا وبطيئا .

وما من شك ، فى أن هذا الهدف الجغرافى المبكر ، قد استوجب عناية الاجتهاد الجغرافى الباحث عن الرؤية الجغرافية ، وتوسيع مداها توسيعا أفقيا لكى تغطى الأرض كلها . كما استوعب هذا الهدف عناية التأمل والتفكير الجغرافى الصحيح ، وهو فى شكله الفلسفى الهلامى ، الذى لم يلتزم باطار واضح يحتويه ، ولم يخضع لقواعد علمية تجسد توجهاته الجادة الى الهدف الجغرافى . وانتقلت مسيرة هذا التفكير الجغرافى وهى أمانة ومسئولية من عنق الى عنق آخر ، ومن قبضة الى قبضة أخرى ، على مدى القرون الطويلة .

وتحققت انجازات واضافات جاوبت الهدف الجغرافى المبكر ، وهو لا يتجاوز الاستمرار فى طلب الكشف الجغرافى ، وتلمس أبعاد الحقيقة الجغرافية . بل قل بقى الهدف الجغرافى حبيس الوصف البحت ، ولم يسلم هذا الوصف الجغرافى الكاشف من الخلط والتشويه والتخبط .

**نشأة علم الجغرافية والبحث عن الهدف :**

وفى القرن التاسع عشر ، وتحت مظلة القيادة الأوروبية المتفتحة ، جاء الاعلان عن مولد علم الجغرافية . ولا يعنى ذلك التحول شيئا أهم من البيان الكاشف ، عن حسن وصول التفكير الجغرافى الأوروبى الى صياغة صيغة جديدة للهدف الجغرافى . كما يعنى أيضا نجاح التفكير الجغرافى الأوروبى الحديث فى وضع القواعد والأسس والأصول التى اصطنعت اطارا علميا واضحا للعمل الجغرافى ، ورسخت منهجا علميا سليما لممارسة العمل الجغرافى . ويطاوع الهدف الجغرافى فلسفة الفكر الجغرافى الأوروبى الحديث ، ويصغى اليه جيدا ، ولكنه فى نفس الوقت ، يجاوب حاجة وتطلعات علم الجغرافية وأسلوبه العلمى .

وينبغى أن نثق فى أن صنع الاطار وصياغة توليفة البنية العلمية . وتحديد الهدف الجغرافى ، قد تأتى وأينع ، من خلال العلاقة الأصولية بين الفكر الجغرافى وهو علم بالقوة فى جانب ، وعلم الجغرافية الحديثة وهو فكر بالفعل فى جانب آخر . ومن ثم يجاوب هذا الهدف ، وهو لا يخيب أبدا منطق وفلسفة الفكر الجغرافى الحديث . ويبدو أن علم الجغرافية لا يكون أبدا من غير فلسفة الفكر الجغرافى ، وأن فلسفة الفكر الجغرافى لا تكون أبدا من غير علم الجغرافية ، وهو فى خدمة الهدف الجغرافى . وتبدو الصحبة بين فلسفة الفكر الجغرافى وعلم الجغرافية ، وكأنها علاقة عضوية .

واتخذ علم الجغرافية منذ مولده مكانا مناسبا ، بين زمرة العلوم . بل قل احتل مكانته فى المكان المناسب بين العلوم . وأصبح وهو الذى لا ولم ولن يخذل منطق وفلسفات وتوجهات الفكر الجغرافى الحديث ، وتطلعه الحصيف ، والحاحه المستمر ، العلم الذى لايكف ، ولا يسكت أبدا ، عن ادراك الغاية ، أو بلوغ مقصد الهدف الجغرافى . ولقد تعود علم الجغرافية ، فى ظل هذا الالتزام ، على العناية بالمنهج الأنسب وبالبحث الجغرافى السديد ، الذى لا يطاوع غير توجهات الفكر الجغرافى ، بكل الأمانة والموضوعية ، وصولا الى طلب الحقيقة الجغرافية ، فى المكان والزمان .

وهذا معناه ، أن علم الجغرافية الحديثة ، لا يبدأ من فراغ أبدا ، وهو يجاوب حاجات الانسـان وحسه الجغرافى الكامن فى أعماقه ، لأن الفكر الجغرافى ، وفلسفته المتفتحة ، يقف من ورائه يظاهره ويشد أزره ، ويسدد خطواته . ويكون علم الجغرافية أمينا ، وهو يتوجه الى الهدف الجغرافى فى الاتجاه الصحيح . كما يكون علم الجغرافية أكثر من أمين . وهو مسـئول عن كل ما يراود التفكير الجغرافى ، ويستحق عنايته ، أو يستوجب اهتمامه ، أو يشغله ويرنو اليه .

وهذا معناه أيضا ، أن علم الجغرافية لا يقدم الاقدام المسـئول ، على أداء المهام المنوطة به ، لحساب التفكير الجغرافى المتجدد ، من غير غاية أو من غير هدف جغرافى . وقل أنه يعرف الهدف جيدا ، ويلتزم به التزاما لا رجعة فيه ، لأنه يستحق الاهتمام ويستوجب العناية العلمية على مستوى المنهج الأنسب . ويبقى الفكر الجغرافى يقظا ، وفى تمام الوعى ، لكى يرشد توجه الاجتهاد الجغرافى العلمى ، ولا يترك له الحبل على الغارب .

وتألق علم الجغرافية الحديثة ، الذى نشأ وترعرع اعتبـارا من القرن التاسع عشر . وكان هذا العلم الذى لا يبدأ من فراغ ، ولا ينتهى من غير غاية ، رشيدا عرف جيدا كيف يكتسب كل صـفات أو مواصـفات العلم ، وكيف يحتويه الاطار العامى السليم . ومن ثم عرف علم الجغرافية الحديثة أيضا ، كيف يتأتى الالتزام الحميد بالقواعد والأسس ، التى تخدم أو التى تحقق توجهاته العلمية الصحيحة ، فى اتجاه الهدف الجغرافى الصحيح . بل قل أنه قد أفلح تماما ، فى حسن صياغة وانجاز النتائج العلمية الجغرافية ، التى تجاوب أو تلبى وتخدم اهتمامات الهدف الجغرافى الصحيح .

ومن ثم ينبغى أن نفهم جيدا ، كيف ولد ونشـأ علم الجغرافية نشـأة طبيعية سوية ، بعد أن تم أو اكتمل نضجه جنينا ، فى رحم الفكر الجغرافى الحديث . كما ينبغى أن ندرك جيدا كيف أخذ علم الجغرافية الحديثة عن هذا الفكر واستجاب له ، أو جاوب توجهاته الفلسفية الخصبة ، فى طلب أهم أبواب المعرفة الجغرافية ، أو فى تقصى الحقيقة الجغرافية ، أو فى تمحيص المدركات الجغرافية الحسية والمعنوية ، أو فى دراسة الظاهرة الجغرافية المعنية .

ولقد جاءت هذه النشـأة الطبيعية فى الوقت المناسب تماما ، ولم تتأخر عن هذا الموعد . بل قل أن هذه النشأة قد تزامنت مع مولد ونشأة علوم طبيعية وعلوم انسانية كثيرة . واكتسى علم الجغرافية بلون العلم ، أو بالكساء

العلمى المناسب • ثم أتقن هذا العلم مسألة الانفتاح على العلوم الأخرى • وأجاد عندئذ ، الأخذ منها ، مثلما أجاد العطاء لها • واشترك مع كل العلوم فى انجاز سمفونية العمل والاستجابة ، التى أصبحت فى خدمة المعرفة الانسانية المطلقة • ولم يبخل علم الجغرافية أبدا بشىء ، مما أصبح فى وسعه أن يقدمه ، أو بشىء مما تجمع فى جعبته •

كما ينبغى أن ندرك جيدا ، بعد ذلك كله ، كيف نما علم الجغرافية وتطور أو ترعرع ، وكيف أضاف الى الرصيد الجغرافى العلمى • وهو الذى مضى على درب العلم الصحيح ، لأنه لم يبـدأ من فراغ ، ولم يتطور من غير غاية • ومن ثم كان النمو سـويا ، وكان التطور مثيرا ، وكان الانجاز رائعا ، فى الاتجاه العلمى السـديد • وقل أن هذا النمو ، وهذا التطور ، قد تأتى دون فصـل أو انفصال أو انقطاع الصـلة العضوية ، بين فلسفات الفكر الجغرافى الحديث من ناحية • وأصول وموجبات تكوين نسيج البنية أو صياغة البنية العلمية لعلم الجغرافية الحديثة من ناحية أخرى • وأفلح هذا النمو ، وأصبح علم الجغرافية من بعد ذلك كله ، علما راسخا ، يعرف جيدا كيف يتوجه من خلال المناهج المنضبطة ، الى جوهر الهدف الجغرافى •

ومن ثم يعرف الاجتهاد الجغرافى العلمى ، كيف يتألق فى الأداء الجغرافى العلمى ، اعتبـارا من يوم مولد علـم الجغرافية ، فى القرن التاسع عشر • كما يعرف هذا الاجتهاد الجغرافى العلمى ، دوره الوظيفى فى انجاز البحث الجغرافى ولم يضل أبدا • ولقد استحق علم الجغرافية ، عن جدارة واستحقاق أن ينضم الى صفوف العلوم الطبيعية والعلوم الانسانية ، انضماما سليما ، فى داخل الاطار العلمى الأكاديمى • بل قل لقد وجد علم الجغرافية الحديثة ترحيبا علميا ، على الصعيد العلمى ، وانضم الى صفه بعض العلماء الذين لم تكن لهم نشـأة جغرافية فى الأصل[٢] • كما لم يجد علم الجغرافية الحديثة أبدا ، من يستخف به ، أو من يعترض عليه ، أو من يعرض عنه •

---

(٢) بدأ همبولت وهو علم من أعلام علم الجغرافية الحديثة فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر حياته العلمية ، بداية بعيدة تماما عن العمل الجغرافى • ولقد تناول همبولت فى دراساته المتنوعة بعض القضايا فى النبات وفى الكيمياء ، وفى الطبيعة وفى التشريح ، وفى الجيولوجيا • وأثرت هذه الدراسات العلمية فكر همبولت واسعفت اجتهاده العلمى عندما تحول الى العمل الجغرافى • بل قل أن هذا الثراء العلمى قد أهل همبولت لكى يضيف اضافات جيدة فى الجغرافية الطبيعية • الشامى ، صلاح الدين : الفكر الجغرافى ، سيرة وسيرة ـ الاسكندرية ١٩٨٠ ص ٣٠٧ •

**اهتمامات وتوجهات الجغرافية الحديثة :**

نشأ علم الجغرافية الحديثة ، نشأة سوية علميا ، فى أحضان الوعى الأوروبى العلمى الأكاديمى المتفتح • وفى هذا الاطار ، لم يستشعر الغربة بين العلوم الطبيعية والعلوم الانسانية ، التى كانت تتفتح من حوله • وربما أسعف هذا الوضع التفتح الجغرافى المثير • ونال علم الجغرافية كل العناية والاهتمام ، فى وقت كان هو فى حاجة بالفعل ، الى ترسيخ وجوده العلمى ، وتأصيل أهم اهتماماته ، بالبحث الجغرافى •

وفى النصف الثانى أو الأخير من القرن التاسع عشر ، تفجرت ينابيع هذه العناية ، وباشرت بكل اهتمام العمل فى الحقل الجغرافى الأكاديمى • وتولى فريق علمى جاد ومخلص ، استغرق فى فلسفات الفكر الجغرافى ، واستوعب تراثه العريق ، مسئوليات هذا الاهتمام • واصطنع اجتهاد هذا الفريق مقومات الترسيخ الجغرافى العلمى الحديث • وكان هذا الفريق من العلماء والباحثين ، حريصا أشد الحرص على ، تصور أو على تجسيد الهدف الجغرافى العلمى ، وكيفية الوصول اليه ، أكثر من أى شىء آخر •

ولقد وفر الاطلاع على تراث الفكر الجغرافى العريق ، للاجتهاد الجغرافى العلمى حصادا ثريا ، وزادا موفورا • وأعان هذا التزود الاجتهاد الجغرافى العلمى ، فى آداء المهمة الجغرافية العلمية • وكان هذا التراث الجغرافى قد تراكم على مدى القرون الطويلة ، وأصبح فى متناول أيديهم ، منذ أن انتقل زمام مسيرة التفكير الجغرافى ، من أيدى الجغرافيين المسلمين العرب ، الى الأيدى الأوروبية اعتبارا من بداية عصر النهضة الأوروبية • ويبدو أن هذا الانتقال قد جاء ، فى الوقت المناسب تماما ، بعد أن تأهل العقل الأوروبى تأهيلا مناسبا لحمل الأمانة • •

وجاء هذا التأهيل تأسيسا على النجاح الأوروبى ، الذى تصدى كثيرا لموجات الاجتياح العدوانى المدمر والمتكرر القادم من قاب آسيا ، وهو الذى عرقل استمرار خطوات مسيرة الحضارة الأوروبية - وأفضى هذا النجاح الأوروبى الى التحول من مسيرة حضارية متعثرة ومتقطعة ، الى مسيرة حضارية مستمرة ومتألقة • كما جاء هذا التأهيل أيضا ، تأسيسا على الانفتاح الأوروبى ، الذى أطل على العالم الاسلامى وتعامل معه فى السلم والحرب تعاملا مناسبا ومفيدا • وأفضى هذا الانفتاح الأوروبى الى التنور ، الذى بصر ورشد المسيرة الحضارية الأوروبية على الدرب فى الاتجاه الصحيح • ثم أضافت ثورة الاصلاح الدينى التى أشعلها المحتجون

على الكنيســة الكاثوليـكية ، الاضـافة المهمة ، وهى تحرر العقل الأوروبى وتؤمنه ، وتحمله مسئولية قيادة المسيرة الحضارية الأوروبية الناهضة ٠

ومن خلال مسيرة حضــارية منتظمة ولا خطر مباغت فى وسعه أن يوقفها أو أن يجمد خطواتها ، ومن خلال التنور وحسن الأخذ والاقتباس من التراث الحضـارى الاســلامى العربى ، تمضى المسيرة الحضارية الأوروبية المنتظمة فى اتجـاه التألق ٠ ويدفع العقل الأوروبى المتحرر خطـوات هذه المسيرة الحضارية الأوروبية دفعا الى مشارف عصر النهضة ، بعد أن تحقق الانسلاخ الذى انفصل بموجبه الشق الحضارى الأوروبى المـادى ، عن الشق الحضارى الروحى ٠

وأقدمت انطلاقة هذه المسيرة الحضــارية المتنورة ، فى صـحبة العقل المتحرر من كل دواعى الخوف والجمود ، على انهاء مسيرة التفـكير الجغرافى المسيحى الســاذج ، الذى كان قد استخف بالعقلية الأوروبية ، وأغرقها فى ضلال مبين ، اعتبارا من القرن الأول الميلادى ٠ بل قل أن هذه الانطلاقة المتحررة ، قد تركت الحبل على الغارب لكى يحلق العقل الأوروبى فى آفاق المعرفة الرحبة وطلب العلم ٠ وأباحت هذه الصحوة العقلية المتفتحة والنهضة الأوروبية المتألقة ، حق العودة والرجوع ، الى جغرافية التراث الصـحيح فى مصـادره الاســلامية عودة رزينة ومتـأنية ٠ ولقد واكبت هذه العودة الأوروبية مرحلة التمادى فى انحطاط الاجتهاد الاســلامى ، فاستحق العقل الأوروبى المتحرر ، وراثة التركة الجغرافية الاسلامية العربية ، وقيادة مسيرة التفكير الجغرافى الصحيح ، قيادة متنورة ومتفتحة ، فى الاتجاه السليم ٠

وجاء ذلك فى الوقت الذى خرجت فيه رحــلات أوروبية ، اقتحمت المحيط الأطلنطى طولا وعرضا ، فى طلب الطريق البحرى البديل من أجل تحرير المصالح الاقتصادية الأوروبية والتعامل مع الشرق الآسيوى من قبضة المســلمين ٠ وكانت كشوف جغرافية ناجحة أخرجت أوروبا من فجر النهضة الى صبح النهضة ، وكفلت لها حق الانتشــار فى أنحاء العالم ، وفتحت لهذا الانتشار أبواب الانتصار فى مجالات الاستيطان والتجارة الدولية والاستعمار ٠

ويبدو أنهذا النجاح فى اخراج الرحلة لحساب الهدف الجغرافى ، قد أنهى انغلاق أبواب أوروبا الغربية ، فتحولت من قارة تعودت على استقبال موجات بشرية تطلب الاستيطان فى ربوعها اعتبارا من انحسار الجليد ، أو تبـاشر العدوان من حين الى حين ، وتدمير الانجازات الحضارية الأوروبية ، الى قارة

تتعود على ارسال وانتشار ، حلق بهـا وما زال يحلق بها وهى متألقة ومتفوقة اقتصاديا وسياسيا وحضاريا ، على الصعيد العالمى ٠

وتكشفت لأوروبا قيمة وجدوى العمل الجغرافى ، واستهوت هذه الجدوى فريقا أوروبيا واعيا من الأثرياء ، أسـهم فى تمويل العمل الجغرافى ، سواء تمثل فى الكشف الجغرافى أو فى رسم الخرائط الجغرافية ، أو فى التفكير الجغرافى ٠ وتولى فريق رائد من المفكرين مهمة استيعاب نتائج رحلات الكشوف الجغرافية ، واسـتيعاب التراث الجغرافى القديم ٠ وقاد هـذا الفريق من المفكرين مسيرة التفكير الجغرافى ، على بصيرة ، فى الاتجاه الصحيح ٠ بل قل انهم أحسنوا توظيف الاجتهاد الجغرافى ٠ وتقدمت المسيرة الجغرافية ، وتقدم معها الاجتهاد الجغرافى ، على كل الجبهات فى الاتجاه الصحيح ، حتى تسنى انجاز المهمة ، التى تمثلت فى نشـأة علم الجغرافية الحديثة نشـأة سوية وقوية ، فى وقت واحد ٠

وآنجز بعض الاعلام من المفكرين الجغرافيين ، كل فيما يخصه ، أو فيما يشـد انتباهه ، صـياغة أهم القواعد والأصـول والأسس الراسخة ، التى حددت الاطار العلمى المناسب ، لعلم الجغرافية ، كما أراد الفكر الجغرافى الحديث له ، أن يكون ٠ وكان شغلهم الشاغل ، فى مرحلة الابداع الأولى ، أن يتأتى انجاز هذه المهمة ، من خلال التطلع الواعى الى حسن صياغة الهدف الجغرافى ، والى حسن بلوغ الغاية العلمية ، بموجب هذا الهدف الجغرافى ٠

وكم أحسن وأجاد علمـاء ، كان الواحد منه فى القمة ، وهو يتصدى لهذه المهمة ٠ ونذكر من فريق العلمـاء الرائد ، كانط الذى سجل أهم خطوة فى الاتجاه الجغرافى الصحيح ٠ كمـا نذكر منهم أيضا ، راتزل وهمبولت وريتر ، وكلهم أعـلام وعلمـاء من أبناء المدرسة الجغرافية الألمانية ٠ وما من شك فى أن الواحد منهم قد تصدى للمسـئولية الجغرافية ، وهو على يقين من وضـوح رؤية السـبيل العلمى الأنسب ، الى جوهر الهدف الجغرافى ٠ بل قل أن كل واحد منهم قد عكف على حسن ترسيخ أهم قواعد توجهات الجغرافية الى العناية بالأرض ، أو العنـاية بالانسان ، أو العناية بالعـلاقة الحميمة بين الانسان والأرض ٠

وفى هذا المناخ العلمى المنتعش ، نشـأت وتكونت الجمعيات الجغرافية العامية الوطنية ، وهى تضـم الهواة والمحترفين ٠ وتبنت هذه الجمعيـات الجغرافية البحث الجغرافى ، وتولت تمويله ٠ كما نشـأت المدارس الجغرافية

العلمية ، التى اســتهواها البحث الجغرافي العلمي • وتبنى العلمــاء هذه البحوث • وخروجهم فى الرحلة الجغرافية المتخصصة ، من أجل هذه البحوث وجمع المـادة العلمية من الحقل • وتضافرت عناية الجمعيات الجغرافية وعناية المدارس الجغرافية ، من أجل انجاز وصياغة سيمفونية الترسيخ الجغرافي العلمى والعملى •

واستغرق هذا الانجاز البديع وقتا•وتألق الجدل العلمى الجغرافى وتمادى الحوار الجغرافى العلمى الجيـد ، فى هذا الجدل ، الذى تناول أهم القضـايا المنهجية الجغرافية • ودون الخروج عن درب الصواب والموضوعية الجغرافيه العلمية ، أو دون التفريط فى جوهر العناية ، التى لم تغفل عن معنى ومغزى الهدف الجغرافى ، أضاف هذا الجدل ، أو الحوار العلمى ، الكثير الى الرصيد العلمى لعام الجغرافية الحديثة • بل قل أن هذا الاجتهاد الجغرافى ، قد أفلح فى صياغة التركيب الهيكلى ، لبنية علم الجغرافية الحديثة •

وفى الوقت الذى كانت الجمعيات الجغرافية تمول فيه البحث الجغرافى وتدفع بســخاء من أجل خروج الرحلات الجغرافية العلمية ، اهتمت بنشر البحوث الجغرافية التى كانت تحدث عن انجاز هذه الرحـلات • ومن أجل تعميق الرؤية الجغرافية على الصــعيد الاقليمى ، وعلى الصــعيد العالمى ، اشتركت الخبرات والكوادر العلمية من أبنـاء المدارس الجغرافية فى هذه الرحلات العلمية • وقل انها جعلت اجراء البحوث الجغرافية فى ثوبها العلمى، شـغلها الشــاغل • بل قل ولا شىء كان يشـغل الاجتهـاد الجغرافى عن • أو يحرمه من التصدى لانجاز هذه البحوث الجغرافية الخصبة •

ومن خلال هذا الترسيخ الجغرافى العلمى الرشـيد ، أصبح فى وسع فريق العلماء الجغرافيين ، تحديد مجالات البحث الجغرافى العلمى ، واهتماماته فى المكان والزمان • كما كان فى وسعهم الاقدام على :

أ - تحجيم اهتمامات الاجتهاد الجغرافى العامى والعمـلى ، تحجيمـا جامعا ، على صعيد المكان والزمان •

ب - تجسيد تطلعات الاجتهاد الجغرافى العامى والعمــلى ، تجسيدا رشيدا ومرشدا الى مناهج البحث •

ج - تسيير توجهات الاجتهـــاد الجغرافى العلمى والعمـلى ، تسييرا هادفا ، الى حيث يتحقق مغزى ومرمى الهدف الجغزافى ، فى نهاية المطاف •

ولقد انهمك الاجتهاد الجغرافى العلمى انهماكا جادا ، فى انجاز دراسات وبحوث جغرافية مفيدة • كما أصبح فى وسـعه أن يسجل اضافات علمية جادة ومهمة • وقل أن هذا الاجتهـاد لم يتخاذل أو يهمل ، فى لم شـمل واستيعاب وتأمل ، مفاهيم المدركات الجغرافية الحسية والمعنوية • وأفضى ذلك كله فى نهاية الامر ، الى الاتفاق على حسن صـياغة التركيب الهيكلى للقاعدة العلمية الراسـخة ، وعلى بناء علم الجغرافية بناء مناسـبا على هذه القاعدة ، وفى أحسن اطار علمى مناسب •

واصـطنع هذا الترسيخ الرزين على امتداد القرن التاسع عشر بالفعل، أهم القواعد العامة ، والخاصة ، وأحسن الأسس العلمية الجغرافية ، التى ابتنى عليها وتحدد بوجبها الشـكل النهائى للهدف الجغرافى العام ، والهدف الجغرافى الخاص • وقد كفل هذا الترسيخ حسن اختيار المنهج والكيفية . التى يتحقق ، أو التى يتسنى بموجبها ، وصول البحث الجغرافى الى الهدف الجغرافى العام أحيانا ، أو وصول البحث الجغرافى الى الهدف الجغرافى الخاص فى حالة التخصص أحيانا أخرى •

واستوجب هذا الأمر أيضـا حسن توجه الاجتهـاد الجغرافى العلمى ، توجها سـديدا ، الى تبنى تنظيم وخروج الرحلة الجغرافية العلمية ، الى الميدان أو الى الحقل • كما استوجب حسن العناية بتوظيف الرحلة توظيفا مجديا ، على صعيد المسـاحة المعنية ، أو فى ربوع الميدان ، وهى فى خدمة البحث الجغرافى العلمى • وقل أصبحت هذه الرحلة الجغرافية ، رحلة علمية هادفة ، وهى لا تبدأ من فراغ ، ولا تعود من غير ثمرات جغرافية جيدة • بل قل أصبحت هذه الرحلة الجغرافية عندئذ مسـئولة عن ، اجراء الدراسة الميدانية الحقلية ، فى أى مسـاحة معنية ، وهى التى يتحقق بموجبها ، جمع أوصال كل اضـافة جديدة أو مجددة ، لكى تضـاف الى رصـيد الانجاز الجغرافى العلمى والعملى •

وصحيح أن الرحلة كانت قد تخصصت قبل ولادة ونشأة علم الجغرافية وترسيخ منهجية البحث أو الانجاز الجغرافى ، فى خدمة توسيع الرؤية الجغرافية ، على أوسع مدى ، فى ربوع العالم الفسيح(٣) • وصحيح أيضا أن هذه الرحلة الجغرافية المتخصصة فى آداء هذه المهمة ، لحساب المعرفة الجغرافية قد تولى أمرها الرجل المغامر أو الجسور ، الذى كانت قد استهوته حتى أصبحت شغله الشاغل ، وبدون حاجة ملحة للتخصص والاهتمام بالمحصلة الجغرافية • ولكن الصحيح بعد ذلك كله ، هو اقدام علم الجغرافية على تبنى الرحلة الجغرافية(٤) ، لكن يتولى أمرها المتخصص الجغرافى • وقل عندئذ ان هذا هو التحول الجذرى أو التحول الحقيقى البناء ، فى شأن توظيف الرحلة لحساب التخصص العلمى الجغرافى • ذلك أنها أصبحت رحلة خاصة ، ومتخصصة فى القيادة الجغرافية ، وأكثر تخصصا وتفرغا ، فى خدمة الهدف الجغرافى العلمى المتجرد • وكان هذا التجرد مطلوبا ، لكى ترجع الرحلة عن تقديم ثمرات البحث الجغرافى ، لحساب الانتعاش الاستعمارى وترسيخ وجوده وهيمنته فى ربوع بعض المستعمرات • بل قل أن الاجتهاد الجغرافى العلمى ، كف عن السير فى ركاب حركة السياسة وتوجهات الاقتصاد الأوروبى الرأسمالى ، الذى باشر العمليات الاستعمارية •

وهكذا تطهرت الرحلة الجغرافية من هذه الوصمة ، وطاوعت القيادة الجغرافية المتخصصة فى انجاز الهدف الجغرافى العلمى • وقل انها جاوبت ارادة البحث الجغرافى العلمى ، على صعيد المساحة المعينة ، فى المكان

---

(٣) كان خروج الرحلة قبل القرن الخامس عشر الميلادى خروجا مطلوبا ، لحساب الهدف التجارى أو الهدف العسكرى أو الهدف السياسى ، او الهدف الدينى ، او لحساب أى هدف آخر غير الهدف الجغرافى •ومع ذلك كانت كل رحلة من هذه الرحلات تخدم فى ركابها المعرفة الجغرافية • ثم كان ميلاد الرحلة الذى أعلن عنه خروج رحلات الكشف ، الذى لم يكن يعنى غير تخصيص الرحلة للغرض الجغرافى ، لحساب توسيع دائرة المعرفة الجغرافية فى ربوع الأرض• ولقد سبق ذلك التخصيص بوقت طويل ، تكليف الجغرافى المتخصص فى القرن التاسع عشر بالخروج وبقيادة وحسن توظيف الرحلة الجغرافية المتخصصة •

الشامى ، صلاح الدين : الرحلة ، عين الجغرافية المبصرة ، فى الدراسة الميدانية – الاسكندرية سنة ١٩٨٣ •

(٤) كانت الرحلة التى خرجت لحساب الكشف الجغرافى تحت قيادة المغامر ، رحلة ناجحة فى طلب المعاينة الجغرافية الكلية وهى تكتشف قارة ، والمعاينة الجغرافية الجزئية وهى تكشف مساحة من القارة ، والمعاينة الجغرافية التفصيلية وهى ترسخ الاستيطان الأوروبى أو وهى تفتح الأبواب للاستعمار الأوروبى ، فى أنحاء الأرض •

والزمان • وتوجهت الرحلة الجغرافية العملية المتخصصة ، فى الاتجاه الصحيح كما وجهت معها البحث الجغرافى العلمى على الدرب ، الى كل ميادين اهتمام علم الجغرافية الحديثة • وأصبح شغل هذه الرحلة الجغرافية الشاغل ، هو أن يتحقق الهدف الجغرافى ، ولا شىء غيره ، على صعيد المساحة المعنية ، فى المكان والزمان •

وهذا معناه اعتماد البحث الجغرافى العلمى ، وهو يطوع الرحلة ، ويطاوع الفكر الجغرافى الحديث ، من أجل جمع ولم شمل ، كل ما من شأنه أن يخدم الهدف الجغرافى على دعامتين • وتتمثل هاتان الدعامتان فى :

أ — الدراسة الميدانية أو الدراسة الحقلية ، فى ربوع المساحة المعنية ، من أجل تقصى الحقيقة الجغرافية ، ومعاينة وجودها فى موضعها ، وجمع مكونات البحث الجغرافى ، والمادة العلمية الخام الأساسية •

ب — التمحيص العلمى ، والمتابعة المنهجية الملتزمة ، وسعة الاطلاع والتحرى من أجل حسن صياغة وتوليف مكونات البحث فى اطار التركيب الهيكلى ، لبنية البحث الجغرافى الهادف •

وهكذا ، اتخذ علم الجغرافية شكل العلم العملى من حيث المنهج(٥) • وتضمنت منهجية هذا العلم العملى ، كيفية الخروج مع الرحلة الجغرافية المتخصصة الى الميدان ، الذى أصبح بمثابة توجه الباحث العلمى الى المعمل لاجراء التجارب العلمية المعملية • بمعنى أن تتمتع الخبرة الجغرافية ، أو أن تكتسب القدرة على حسن اجراء العمل الميدانى، وعلى حسن جنى ثمرات هذا العمل الميدانى ، وعلى حسن الانتفاع بهذه الثمرات والنتائج ، فى اعداد البحث الجغرافى • ومن ثم كان من الواجب أن يمتلك الاجتهاد الجغرافى القدرة على حسن التركيب والتوليف ، من أجل حسن صياغة البحث ، وعرض التعبير الأنسب ، عن الرؤية الجغرافية العلمية والعملية ، فى سياق منسق وبديع جغرافيا ، عن المساحة المعنية ، فى المكان والزمان •

ومن يكون فى وسعه أن يحسن صياغة وتوليف مكونات الرؤية

---

(٥) بتنام د• ف : الجغرافية علم عملى ( الجغرافية فى القرن العشرين ) ترجمة ج/٢ القاهرة سنة س ٦٩ — ٨٨ •

الجغرافية العلمية والعملية ، فى سياق بحثى رتيب ، أو أن يحسن جمع الأوصال التى تتألف منها هذه الرؤية فى اطار المساحة المعنية ، ينبغى أن يتحلى أيضا بنفس القدرة ، أو بنفس القدر من المهارة والمقدرة على تفكيك أوصال أو تحليل أجزاء المكونات المتداخلة فى نسيج هذه الرؤية الجغرافية . ومن ثم يبدو كيف ان الاجتهاد الجغرافى ، لا يكاد ينجح فى آداء المهمة المنوطة به ، واعداد البحث الجغرافى ، من غير التحلى بالقدرة على التركيب والتحليل فى وقت واحد(٦) . ومن خلال هذه القدرة الثنائية ، يتسنى انجاز البحث الجغرافى العلمى الجيد ، الذى يضم أو يسجل ، فى سياقه الرتيب ، الاضافة الجديدة . ولا اضافة جغرافية جيدة وجديدة ، من غير دراسة ميدانية ، فى المساحة المعنية ، فى المكان والزمان .

ولقد اعتمد عطاء وانتاج الخبرة الجغرافية المتخصصة ، كما اعتمد التجديد والاضافة فى البحث الجغرافى ، على مهارات الانتقال أو على حسن التحول السهل ، الذى ينساب انسيابا منسقا ، من تحليل الرؤية الجغرافية الكلية الشاملة ، الى أوصال ومكونات وجزئيات هذه الرؤية ، الى تركيب وتجميع أوصال ومكونات وجزئيات كثيرة فى صلب واحد ، يشمل الرؤية الجغرافية الكلية الشاملة . وقل أن الاجتهاد العلمى الجغرافى كان عليه :

أ ـ أن يتحلى بالمهارة فى التحليل والتركيب ، لكى تتوفر كل الأبعاد التى تجسد الرؤية الجغرافية ، للظاهرة الجغرافية المعنية ، فى المكان والزمان .

ب ـ أن يتقن الاجتهاد الجغرافى التحليل والتركيب ، حتى يتسنى له حسن البيان والتعبير عن صورة الرؤية الجغرافية ، فى المساحة المعنية ، فى المكان والزمان .

وأضف الى هذا التحلى بمهارات فائقة فى التحليل والتركيب ، ضرورة التحلى أيضا بمرونة الانفتاح ، أو بالانفتاح المرن . وتتمثل مرونة الانفتاح فى مهارات الانتقال المرن الذى يباشرها الاجتهاد الجغرافى ، وهو يتحول بكل اليقين والثقة والكفاءة من معالجة ودراسة وتقصى الحقيقة فى الرؤية

---

(٦) الشامى ، صلاح الدين : الفكر الجغرافى ، سيرة ومسيرة ـ الاسكندرية سنة ١٩٨٠ ص ٣٧٠ .

الجغرافية ، القابلة للاتساع الشامل ، حتى تغطى مساحة العالم كله ، الى معالجة ودراسة وتقصى الحقيقة الجغرافية الجزئية ، القابلة للانحسار ، حتى لا تغطى غير المساحة المحدودة والمعنية • وتسفر مثل هذه المهارة فى الانتقال من الكل الى الجزء ، أو فى التحول من الجزء الى الكل ، عن تنمية وشحذ وتألق مهارات الاجتهاد الجغرافى ، فى التحليل والتركيب الجغرافى ، من أجل حسن صياغة ، وحسن عرض البحث الجغرافى •

ولقد اقترنت المهارة الجغرافية فى التحليل والتركيب ، بالمهارة فى التحول الجغرافى الذكى ، من تقصى حقيقة الرؤية الجغرافية الكلية الشاملة ، الى تقصى حقيقة الرؤية الجغرافية الجزئية ، اقترانا جيدا فى اطار المنهج الجغرافى العلمى • وأحسن الاجتهاد الجغرافى العلمى ، توظيف هذه المهارة على كل صعيد ، وفى كل دراسة جغرافية منهجية ، من أجل تعميق البحث الجغرافى • واستوجب الوصول الى هذا التعميق ، حسن ادراك ، وتقصى أصول وموجبات العلاقة الجغرافية ، التى تربط بين هاتين الرؤيتين ، ربطا جغرافيا منطقيا ، لا يجوز الطعن فيه أبدا ، ولا يجوز اهماله أو الاستخفاف به •

ويرسخ هذا الاتقان فى التحول ، والاتقان فى حسن الصياغة ، مهارات الخبرة الجغرافية العلمية المتخصصة ، وهى تقدم الأقدام الواثق على مباشرة العمل الجغرافى ، وعلى معالجة موضوع البحث العلمى الجغرافى • وتأتى للاجتهاد الجغرافى مباشرة التجويد فى المعالجة المنهجية الجغرافية ، من خلال التحليل أو من خلال التركيب ، أو من خلال التحليل والتركيب فى وقت واحد • بل قل تأتى هذا التجويد فى الانجاز ، دون التردى فى سلبيات التناقض الموضوعى ، أو دون الوقوع فى قبضة التردد ، فى فهم وادراك جوهر ولب الهدف الجغرافى ، الذى يتعين الوصول اليه ، فى نهاية المطاف •

ويمضى علم الجغرافية ، وهو راسخ ، فى توجه علمى رشيد • وقل أنه كان لا يطاوع غير نداء العقل ، والاستماع الى ارادة الفكر الجغرافى الحديث ، الذى كان قد سيطر عليه ، وأمسك بزمام العقل الجغرافى الأوروبى المتفتح • بل قل أن نشأة هذا العلم النشأة السوية ، فى الوقت المناسب ، بعد أن كان الاجتهاد الجغرافى قد أباح حسن توظيف الرحلة الجغرافية ، وحسن الانتفاع بحصاد المعرفة الجغرافية ، من وجهة نظر أوروبا — على الأقل — فى خدمة الانتصار الأوروبى ، قد أسقطت عنه تهمة التبعية ، وكل الدواعى التى يمكن أن تجرمه •

ومن أجل المضى فى هذا التوظيف الردىء ، الذى شد أزر الانتصار الأوروبى ، وسدد خطواته ع الى الصعيد العالمى(٧) ، تصاعدت العناية بعلم الجغرافية • وأحسن الاجتهاد الجغرافى العلمى استثمار هذه العناية . والانتفاع بها ، وهو يحدد أهم معالم توجهات علم الجغرافية ، أو وهو يحدد أهم اهتمامات العمل الجغرافى ، أو وهو يصطنع أهم غايات الهدف الجغرافى • كما أتقن أو قل أحسن وأبدع ، فى صياغة الكيفية التى يتسنى بموجبها الوصول الى تحقيق الهدف الجغرافى • ولكن الاجتهاد الجغرافى امتنع بعد ذلك كله ، عن الامتثال للانتصار الأوروبى ، وترفع عن البقاء فى أسر التبعية لارادته ، التى لا تمثل ولا تجاوب ارادة الفكر الجغرافى الحديث •

## توجهات علم الجغرافية الحديثة ، وصياغة الهدف الجغرافى :

فى المناخ السائد فى أوروبا ، وهى تواصل العمل على كسب مزيد من التحرر العقلى ، اعتبارا من القرن الثامن عشر ، اختلط التوجه العلمى غير الناضج ، بالتطلع والأطماع وروح التسلط على العالم • وأقدم التفكير الجغرافى وهو يصطنع الثوب العلمى للجغرافية ، على تحديد ملامح الهدف الجغرافى • وكان عليه أن يفعل ذلك ، وهو يحاول التخلص من دواعى وموجبات التبعية والانصياع ، لتوجهات الأطماع السياسية الأوروبية ، اقتصاديا وسياسيا ، وحضاريا • وقل أن الاجتهاد الجغرافى ، تعمد تحرير الهدف الجغرافى برفق ودهاء من هذا الانصياع ، حتى لا يضل ضلالا شديدا ، فى زحمة الانتصار الأوروبى ، تجاريا واستيطانيا واستعماريا ، على الصعيد العالمى ، أو فى صحبة الهيمنة الأوروبية على العالم حضاريا •

من أجل تحرير وتحديد الهدف الجغرافى ، تفجرت الاهتمامات المتجردة الواعية ، التى كان عليها أن تستمع لصوت العقل وحده ، وأن تجاوبه حتى يتحرر الهدف الجغرافى ، من كل غرض غير الغرض الجغرافى • بل قل ومن أجل ترسيخ هوية هذا الهدف العلمى وتطهيره من خطيئة التبعية وعدم

---

(٧) تأتى هذا الانتصار الأوروبى من بعد الخروج من اطار الانغلاق وسدد البحث الجغرافى خطواته • وقل أنه أسعف هذا الانتشار الأوروبى واغترابه على أوسع مدى فى ربوع العالم • وقل أنه هو الذى قوى سواعد الانتصار الأوروبى على الصعيد العالمى ، وهو ينظم ويسيطر على حركة التجارة الدولية ، او وهو يمتلك الأرض ويرسخ حق الاستيطان الأوروبى وحضور المغترب فيها ، أو وهو يوجه الغزو والاقتحام ، ويتقن الممارسة الاستعمارية والتسلط الاستعمارى على مصير الأمم والشعوب • بل قل ان العمل الجغرافى ، هو الذى وجه مسيرة الهيمنة الأوروبية ، على الصعيد العالمى •

التجرد ، وهو الذى ينال عناية التفكير الجغرافى الناضج ، تولدت وتفجرت الكوادر التى تحملت المسئولية ، وحملت هذه الأمانة • ويبدو وكأنها قد استجابت لدواعى البحث عن الهدف الجغرافى الصحيح ، لكى يولد علم الجغرافية ، الذى لا يكون من غير آن يتحدد الهدف الجغرافى المجرد •

وتحملت هذه الكوادر بصدق ، مسئوليات تحديد مسارات التوجهات الجغرافية السديدة ، على الدرب العلمى الصحيح ، الذى يتحقق بموجبها الهدف الصريح • وتمضى هذه التوجهات الجغرافية العلمية ، نحو الاهتمامات الجغرافية المتجردة من كل شىء ، باستثناء الهدف الجغرافى • وتبلورت هذه الاهتمامات الجغرافية المتجردة فى وضوح شديد • ومن ثم استوجبت معالجة جغرافية تتناول ثلاثة قضايا أساسية • كما استوجبت هذه المعالجة ، الدراسة وتقصى الحقيقة الجغرافية ، فى اطار المنهج الجغرافى السليم •

وكان من الطبيعى ، أن تتداخل هذه القضايا من خلال المعالجة أحيانا ، أو أن تنفصل ولا تتداخل أحيانا أخرى • ولكنها كانت فى نهاية المطاف ، لا تفضى الى شىء ، أهم من تحقيق الهدف الجغرافى ، أو الاستجابة الى صميم تطلعاته العلمية •

وبصرف النظر عن المنهج ، استوجبت هذه المعالجة الجغرافية ، التى تتفجر بالحيوية ، من خلال العناية الدراسية الجغرافية العلمية بها :

أ — الاهتمام الجغرافى الذى لا يغفل عن الأرض على كل المستويات ، التى تتراوح بين المساحة المعنية فى المكان المحدود ، والمساحة المعنية على صعيد العالم كله ، فى ربوع الأرض الفسيحة ، وهى وطن مأهول بالانسان لحساب الانسان وتعايشه •

ب — الاهتمام الجغرافى الذى لا يغفل عن حضور الانسان وانتشاره فى ربوع الأرض ، وعلى صعيد المساحة المعنية ، وهو يعيش تجربته الحياتية ، التى يحددها ويعلن عنها ، تشكيله الاجتماعى ، ومستواه الحضارى ووضعه السياسى ، وهدفه الاقتصادى[8] •

---

(٨) يفلح الاجتهاد الجغرافى فى عرض التصور الجغرافى عن حركة الحياة فى كلمات موجزة • وتقول هذه الكلمات ، تمضى حركة الحياة على الدرب الطويل ، والهدف اقتصادى ، والتشكيل اجتماعى ، والتنظيم سياسى ، والوسيلة حضارية •

جـ - الاهتمام الجغرافى الذى لا يغفل عن حتمية العلاقة بين الانسان ومهاراته ، والأرض وخواصها ، فى كل موطن يحتويه ، وكيف يمضى التعامل أو التفاعل الذى يكفل أو الذى يوفر سبل التعايش بينهما ، ويجسد وضعه الاقتصادى ويؤمن تشكيله الاجتماعى ، ويجاوب مستواه الحضارى .

واستوجب العمل الجغرافى العلمى الذى يتحمل مسئولية هذه الاهتمامات تهيئة سبل أو حسن توظيف مناهج العناية الجغرافية بها ، فى المكان والزمان . كما تلمس الكيفية التى تتوجه بها هذه العناية ، حتى تكون الدراسة الجغرافية مسخرة ، لحساب الهدف الجغرافى . كما استوجب العمل الجغرافى العلمى أيضا ، متابعة حركة الحياة ، وتوفير الرؤية التى تحسن تعقب العلاقة الأصولية ، بين الانسان والأرض ، وأبعاد التعامل بينهما ، فى اطار محكم ، حتى يمضى البحث الجغرافى فى اتجاه جغرافى منهجى صحيح ، نحو الهدف الجغرافى . ولا يعنى هذا التوجه الجغرافى شيئا أهم من حسن العناية الجغرافية ، بالأرض وهو موطن للانسان ، وبالانسان وهو يحيا فى الأرض ، ثم بحركة الحياة ومقومات حضورها ، ونبضها الفعال فى ربوع الأرض .

وقل أن الاجتهاد الجغرافى العلمى لم يغفل ، أو لم يتخاذل أبدا فى توفير قنوات الانفتاح والاتصال ، التى تربط وتحافظ على حتمية العلاقات كما ينبغى أن تتحقق وأن تكون ، بين الاهتمام بالأرض ، والاهتمام بالانسان ، والاهتمام بحركة الحياة والتعامل بين الانسان والأرض . وصحيح ان توجهات علم الجغرافية العلمية الدراسية ، قد أجازت التخصص فى اهتمام من بين هذه الاهتمامات الثلاثة ، الى حد الاستغراق والتغلغل فى أعماقه المتشعبة . ولكن الصحيح أيضا أن هذه التوجهات قد حرمت على هذا الاستغراق فى التخصص ، التغلغل الى الحد الذى تتضرر عنده العلاقة الحميدة ، أو الذى تنقطع عنده الصلة الموضوعية بين هذه الاهتمامات ، وهى تتداخل تداخلا لا ينبغى تجاوزه ، وتتبنى عليه صياغة التركيب الهيكلى لبناء الجغرافية العلمية .

وبهذا المنطق العلمى الجغرافى ، واستجابة لفلسفات الفكر الجغرافى الحديث ، يقدم الاجتهاد الجغرافى على دراسة الأرض ، على صعيد أى مساحة معنية . وقد تكون هذه المساحة المعنية محدودة فى المكان . وقد تكون هذه المساحة المعنية فضفاضة ، تغطى ربوع الأرض الفسيحة ، فى كل مكان .

وقد تنتشر هذه المساحة المعنية ، على الصعيد العالمى • وفى جميع الأحوال، تكون دراسة الأرض دراسة جغرافية ، لحساب الانسان •

وتكون هذه الدراسة الجغرافية ، دراسة كاشفة للأرض ، تتلمس خواصها ومواصفاتها الطبيعية ، وهى وطن للانسان ، أو وهى مرتع فسيح لحركة حياة الانسان وحضوره وسيادته عليها بصفة عامة • وقل بعد ذلك كله ، أن الأرض على كافة مستويات المساحة المعنية ، وفى كل مكان وزمان، لا تستوجب عناية الاجتهاد الجغرافى . ولا تستحق اجراء البحث الجغرافى ، الا اذا كانت موطنا للانسان ، ومحلا لاستخداماته ، وملاذا لأمنه وحضوره وسيادته »(٩) •

وهذا معناه ، أنه لا محل أبدا ، لدراسة الأرض دراسة جغرافية مجردة أو متجردة • ذلك أن التجرد يعنى استبعاد الانسان أو غيابه عنها • وغياب الانسان عن الأرض أو استبعاده ، يبعد أى دراسة جغرافية تتناول الأرض ، عن الهدف الجغرافى • بمعنى أن الدراسة الجغرافية التى ينبغى أن تتناول الأرض ، لحساب الهدف الجغرافى ، لا يمكن أن تتجرد • ولا تتجرد هذه الدراسة ، أو لا تبدو متجردة ، الا اذا أهملت حضور الانسان فى ربوع الأرض ، أو اذا تنكرت للعلاقة بين الانسان والأرض • ومن ثم لا يمكن أن تنتسب الى الجغرافية أو الى الانجاز الجغرافى • وقل أن الدراسة الجغرافية الحقيقية للأرض ، هى الدراسة التى تعتنى بدراسة الأرض ، ولا تهمل وجود الانسان أبدا ، على صعيد هذه الأرض • ويملك الاجتهاد الجغرافى حق الاحجام عن دراسة الأرض غير المأهولة ، وهو يفتقد وجود الانسان على أى وضع حياتى ، يحيا فى ربوعها •

وهكذا ، يجسد الاقدام الجغرافى العلمى على دراسة الأرض دراسة جغرافية ، وهى موطن للانسان ، أو وهى مرتع لحركة حياته ، أو وهى موضع لسيادته ، أولا وقبل كل شىء ، جانبا مهما وأصوليا ، من الجوانب التى يتحقق بموجبها الهدف الجغرافى • بل قل أن مثل هذا الاقدام ، يجسد التطلع الحميد ، الذى يرنو اليه الفكر الجغرافى الحديث ، ويضعه أمانة فى عنق علم الجغرافية الحديثة ، وهو يخدم ، أو وهو يحقق الهدف الجغرافى العلمى ، من خلال دراسة الأرض دراسة جغرافية ، فى المكان والزمان •

---

(٩) منشل روجر : تطور الجغرافية الحديثة ( ترجمة د• محمد السيد غلاب ) • • انظر ما جاء فى تصدير الترجمة العربية ص•ب القاهرة سنة ١٩٧٣ •

وبنفس هـذا المنطق العلمى الجغرافى ، واستجابة لفلسفات الفكر الجغرافى الحديث ، يتقدم أو يقبل الاجتهـاد الجغرافى على دراسة الانسـان . على صـعيد أى مسـاحة معنية • وقد يكون حضـور أو وجود الانسـان ، فىمواطن الاسـتقرار ، أو فى ربوع البداوة ، على صعيد المسـاحة المعنيه المحددة فى المـكان • وقد يكون وجود الانسـان أو حضـوره ، فى مواطن الاستقرار ، أو فى ربوع البداوة ، على صعيد المسـاحة المعنية الفضفاضة ، التى تغطى الأرض الفسـيحة فى كل مكان • وقد يكون وجود الانسـان أو حضوره ، فى مواطن الاستقرار ، أو فى ربوع البداوة ، على أوسع مدى ، فى أنحاء العـالم • وفى جميع الأحوال ، تكون دراسـة الانسـان دراسـه جغرافية ، فى اطار وجوده وحضوره السائد على صعيد الأرض •

وتكون هذه الدراسـة الجغرافية ، دراسة كاشفة للانسـان ، تتلمس أوضاعه ، وتتبين أحواله اجتماعيا ، وحضاريا ، واقتصادية ، وسياسيا . فى ربوع الأرض ، على صعيد المسـاحة المعنية • وقل أن الانسـان وحضوره فى أى وضع وفى أى حالة ، لا يستوجب اهتمام الاجتهاد الجغرافى ، وهو منفصل عن الأرض • بل قل أن دراسة الانسـان دراسة جغرافية لا تستحق عناية الاجتهاد الجغرافى ، الا من خلال متابعة وجوده ، وادراك أبعاد سيادته، والـكيفية التى يؤمن بهـا مصيره ، وهو يعيش ويحيـا فى ربوع الأرض ، فى المكان والزمان •

وهذا معنـاه ، أنه لا محل أبدا لدراسـة الانسـان دراسـة جغرافية مجردة أو متجردة • ذلك أن التجريد ، لا قيمة له من وجهة النظر الجغرافية ، وقل أن هذا التجريد ، يعنى قطع أو انقطاع الصلة ، بين الانسان والأرض ، وغياب الأرض من تحت أقدام الانسـان • بل قل أن هذا الغياب ، أو انقطاع الصلة بين الانسـان والأرض ، تبعد الدراسة الجغرافية عن الانسـان تماما ، عن الهدف الجغرافى • ومن ثم لا تتجرد الدراسة الجغرافية عن الانسـان ، أو لا تبدو متجردة بالفعل ، الا اذا أهملت وأغفلت الأرض التى يعيش فى ربوعها الانسـان ، أو الا اذا تنكرت وأنكرت العلاقة بين الانسان والأرض ، وتعامله معها بشكل أو بآخر • ولا يمكن أن تنتسب الدراسة التى تتناول الانسـان ، وهى تهمل الأرض ، الى الجغرافية ، أو الى الانجاز الجغرافى .

وكأن الدراسةالجغرافية للانسان، هى الدراسة التى تعتنى بدراسته . ولا تهمل أبدا أنه يعيش على صعيد الأرض • ومن حق الاجتهاد الجغرافى أن يحجم عن دراسة الانسـان ، لو تأتى له أن يكون فى وضع منفصل عن

الأرض ، أو لو تأتى له أن ينعزل عن المسرح الأرضى ، الذى يشهد — فى العادة — حركة الحياة الانسانية ٠

وهكذا يجسد الاقدام الجغرافى العلمى على دراسة الانسان دراسة جغرافية ، وهو يعيش فى ربوع الأرض فى المكان والزمان ، أو وهو يرسخ ويؤمن سيادته عليها ، أولا وقبل كل شىء ، جانبا مهما وأصوليا ، من الجوانب التى يتحقق بموجبها الهدف الجغرافى ٠ وقل أن مثل هذا الاقدام الجغرافى يجسد التطلع الحميد ، الذى يرنو اليه الفكر الجغرافى الحديث ٠ بل قل أنه يجسد آمال هذا الفكر ، وهو يضع هذا التطلع أمانة فى عنق علم الجغرافية الحديثة ، وهو يخدم الهدف ، أو وهو يحقق الهدف الجغرافى ، من خلال دراسة الانسان ووجوده دراسة جغرافية ، فى المكان والزمان ٠

وبنفس هذا المنطق العلمى الجغرافى ، واستجابة لفلفسات الفكر الجغرافى ، يقدم الاجتهاد الجغرافى مرة ثالثة ، على دراسة التعامل أو التفاعل الحقيقى ، بين الانسان الذى يطلب التعايش فى الأرض فى جانب ، والأرض ومبلغ ترحيبها واستجابتها لهذا التعايش فى جانب آخر ، فى اطار المساحة المعنية ٠ وقد يكون هذا التفاعل ، وهو يصطنع صيغة التعايش ، تفاعلا من أجل تأمين الانتاج والحصول عليه من الموارد المتاحة ٠ وقد يكون هذا التفاعل وهو يبارك صيغة التعايش ، تفاعلا من أجل تأمين الاستيطان والحصول على السكن الأنسب ٠ وقد يكون هذا التفاعل ، وهو يرسخ صيغة التعايش ، تفاعلا من أجل تأمين الخدمات التى تلبى حاجة حركة الحياة ٠ وفى جميع الأحوال ، وعلى كل مستويات المساحة المعنية ، تكون دراسة هذا التفاعل بين الانسان والأرض ، وصولا الى صيغة التعايش ، دراسة جغرافية ، لحساب وجود الانسان وحركة الحياة والتعايش فى المكان والزمان ٠

وتكون هذه الدراسة الجغرافية دراسة كاشفة ومثيرة الى أبعد الحدود ، وهى تتقصى حقيقة هذا التفاعل بين الانسان والأرض الذى لا يتوقف أبدا ، ولا يجوز له أن يتوقف ٠ وتقصى هذه الحقيقة من خلال التذوق الجغرافى ، هو الذى يكشف ، كيف يتأتى وتتوالى نتائجه ، على صعيد المساحة المعنية المحدودة فى المكان ، أو كيف يتأتى وتتوالى نتائجه ، على صعيد المساحة الفضفاضة التى تغطى ربوع الأرض فى كل مكان ٠ بمعنى أنها تمثل الدراسة الجغرافية ، التى تتقصى التأثير المتبادل ، الذى ينضبط بموجبه هذا التفاعل بين الانسان والأرض ، وهو يسخر الأرض وما عليها حقا مباحا ، أو حقا مستباحا ومكفولا ، لحساب حضور الانسان ، وسيادته فى ربوع الموطن فى المكان والزمان ٠

وهذا معناه ، أنه لا محل أبدا لدراسة التفاعل أو التعامل بين الانسان والأرض ، دراسة جغرافية مجردة أو متجردة • ذلك أن هذا التجرد يكاد ينتهك العلاقة ، التى تسفر عن هذا التعامل أو التفاعل بينهما ، ويستخف بالنتائج التى يؤدى اليها • ثم هو بعد ذلك يبعد الدراسة الجغرافية عن صلب الهدف الجغرافى ، حتى تبدو وكأنها من غير مضمون • ولا تكاد تتجرد الدراسة الجغرافية ، أو لا تبدو وهى متجردة بالفعل ، الا اذا تجاوزت ، أو استخفت بهذه العلاقة بين الانسان والأرض • وقل لا يجوز هذا التجاوز ، لأنه يمثل التجاوز الذى لا يمكن تبريره • كما لا يجوز هذا الاستخفاف ، لأنه يطعن فى قيمة هذه الدراسة الجغرافية • بل قل أن مثل هذا التجاوز أو الاستخفاف يفض الصلة بينهما ، وهى التى لا يجب أن تنفض أبدا • ثم هو ينكر أو يستنكر أو يتنكر من غير حق ، لدواعى الضبط والانضباط المتبادل بينهما ، الذى يحكم أو الذى يتحكم ، فى توجهات هذا التعامل ، وفى نتائجه • وهذا معناه ، فى نهاية الأمر ، أن الدراسة الجغرافية للتعامل أو للتفاعل بين الانسان والأرض ، لا ينبغى أن تهمل ندية الأطراف المعنية • كما لا ينبغى أن تهمل أو أن تتهاون فى الاستجابة للهدف الجغرافى •

وهكذا ، يعكف الاقدام الجغرافى العامى ، على دراسة التفاعل بين الانسان ، وهو صاحب مصلحة وأكثر من مصلحة ، وصاحب مهارة وخبرة تتحقق بموجبها هذه المصلحة فى جانب ، والأرض وهى المصدر الحقيقى بما تحتويه لهذه المصلحة فى جانب آخر ، دراسة جغرافية جادة ، على صعيد المساحة المعنية ، فى المكان والزمان • وتمثل هذه الدراسة الجغرافية وهى حيوية وهادفة ، جانبا ثالثا من أهم جوانب الهدف الجغرافى • وقل أن هذا الجانب يجسد التطلع الذى يرنو اليه الفكر الجغرافى الحديث • بل قل أنه يصبح أمانة فى عنق علم الجغرافية الحديثة ، وهو يخدم ويحقق الهدف الجغرافى ، فى المكان والزمان •

ومن ثم ينبغى أن نفهم جيدا ، كيف كانت هذه الاهتمامات الجغرافية وهى التى تتكامل ، الشغل الشاغل للاجتهاد الجغرافى العلمى • ولقد حددت هذه الاهتمامات الجغرافية ، جوهر ومضامين الهدف الجغرافى • واتفق الجغرافيون جميعا على هذا الهدف الجغرافى ، وعلى ضرورة الالتزام به • وقل أنها هى التى توجه وترشد التوجه الجغرافى العلمى الرزين ، فى الاتجاه الصحيح ، صوب الهدف الجغرافى • ولقد أفضى ذلك التوجه الرشيد الى حسن تصنيف ، أو الى حسن تبويب ، واحتواء هذه الاهتمامات الجغرافية ،

بالأرض ، وبالناس ، وبالتفاعل أو التعامل بين الناس والأرض ، فى المكان والزمان •

وجاء هذا التصنيف فى نهاية المطاف ، وهو يحدد أبعاد الهدف الجغرافى ويجاوبه • وينال هذ التصنيف الاعتراف الجغرافى العلمى الصريح عندما يسفر عن تقسيم علمى موضوعى • وأصبح هذا التقسيم معمولا به ، فى اطار قسمين جغرافيين رئيسيين • ويتمثل هذان القسمان فى :

أ — الجغرافية الطبيعية ، التى تعكف على دراسة الأرض ، لحساب الانسان •

ب — الجغرافيه البشرية ، التى تعكف على دراسة الانسان ، فى اطار حضوره وتعامله مع الأرض •



## الفصل الثانى

# الجغرافية
# واهتمامات العمل الجغرافى

تمهيـــــد

علم الجغرافية ودراسة الأرض ( الجغرافية الطبيعية )

علـم الجغرافية ودراسة الانسـان ( الجغرافية البشرية )



# الفصــل الثانى

## الجغرافية واهتمامات العمـل الجغرافى

يعلن التقسـيم الجغرافى الذى يفرق بين توجه العمـل الجغرافى نحو دراسة الأرض لحساب الانسـان فى جانب ، وتوجه العمـل الجغرافى نحو دراسة الانسـان وحضوره وتعامله مع الأرض فى جانب آخر ، عن حسن احتواء الاهتمامات الجغرافية ، وعدم التفريط فى أى من هذه الاهتمامات ٠ وقد يعنى هذا الافتراق فى التوجيهين امعانا فى التخصص العلمى ، ولكنه لايعنى فى نفس الوقت تجاوزا أو انـكارا أو تمردا على العلاقة الحميمة الواجبة بين هذين التوجهيين المتخصصين ٠ وصـحيح أن هذا التقسيم يصطنع الفاصل التخصصى بين الجغرافية الطبيعية ، والجغرافية البشرية ، ولكن الصحيح حقا أن هذا الفصل التخصصى يبدو شكليا فلا يفتعل الانسـلاخ ، ولا ينتهك العلاقة بينهما أبدا ٠

هـذا واذا كان ثمة فصل بين التخصص الذى يمليه هذا الافتراق بين التوجه الى دراسة الأرض والتوجه الى دراسة الانسان ، فانه لا يتجاوز منطق ودواعى الفصل بين وجهى العملة ٠ بمعنى أن الجغرافية الطبيعية تمثل وجها من وجهى الجغرافية الحديثة ، وتمثل الجغرافية البشرية الوجه الآخر ٠ وبهما معا ، يتم ويكتمل شكل ومضمون علم الجغرافية الحديثة ٠ بل قل أن الاهمال أو التفريط فى أى منهما ، ينتهك الهدف الجغرافى ، ويطعن فى جدواه ، ومن ثم تبدو اتجاهات العناية بهذين التوجهين ، فى اطار أكبر قدر من التوازى ، وفى أحسن حال من التوازن ٠

### علم الجغرافية ودراسة الأرض ( الجغرافية الطبيعية ) :

اعتنى علـم الجغرافية الحديثة بدراسـة الأرض دراسـة مستفيضة ٠ وتتأتى هذه العناية على النحو الذى يضع نتائج هذه الدراسة لحساب الانسان ٠ ولا تستحق الأرض التى نفتقد فيها وجود الانسـان وجودا مستمرا أو وجودا متقطعا عناية الاهتمام الجغرافى ٠ كما تأتت هذه الدراسة على النحو الذى تستوجبه دواعى المرونة الكاملة ، لكى تكون هذه الدراسـة على مستوى المسـاحة المعنية وهى جزء محدود ، أو على مستوى المسـاحة المعنية وهى كل شامل تتسع حدوده حتى يغطى كل مساحة العالم ٠

وتتولى الجغرافية الطبيعية مهمة العناية ودراسة الأرض ، فى اطار الحبكة العلمية ، التى تجاوب الهدف الجغرافى • وتكون هذه العناية أو هذه الدراسة الجغرافية علمية ومنهجية ، وهى تطل على الأرض فى ربوع المساحة المعنية • وفى اطار منهجية الجغرافية الطبيعية ، تمضى الدراسة الجغرافية . وهى تعكف على دراسة شمولية تتلمس خصائص الواقع الطبيعى ، أو وهى تعكف على دراسة الظاهرة الجغرافية المعنية وتتلمس وضعها فى توليفة الواقع الجغرافى الطبيعى •

وعلى صعيد المساحة المعنية ، فى المكان والزمان ، تكون دراسة الأرض لحساب الانسان وحضوره وتعامله معها ، محل اهتمام الاجتهاد الجغرافى ، وشغله الشاغل • وهو يتقصى الحقيقة الجغرافية الطبيعية ويعمق دراسته لها ، ويتلمس الأبعاد الحاكمة أو المؤثرة فى صورة الأرض ، فى المكان والزمان • بل قل أن الاجتهاد الجغرافى فى وسعه أن يمارس هذا العمل الدراسى على كل مسنويات العمق ، وعلى كل مستويات الاتساع الأفقى ، حتى يجعل منه تخصصا علميا جغرافيا خالصا ، يشغله ويتفرغ له ويتقنه ، وصولا الى صلب النتائج ، التى تجاوب الهدف الجغرافى •

وتبدو هذه العناية الجغرافية الطبيعية المتخصصة ، حاذقة ومجيدة . وهى تعالج ، أو وهى تدرس وتتناول الظاهرة الجغرافية الطبيعية تناولا منفردا أحيانا ، على صعيد المساحة المعنية ، فى المكان والزمان • وتبدو هذه العناية الجغرافية الطبيعية المتخصصة ، حاذقة ومجيدة مرة أخرى ، وهى تعالج أو وهى تدرس وتتناول مجموعة الظاهرات الجغرافية الطبيعية التى تشترك وتترابط فى صياغة الصورة الطبيعية التى يكون عليها الواقع الطبيعى فى المساحة المعنية ، فى المكان والزمان ، أحيانا أخرى • ويسعف المضى على درب التوزيع والتعليل والربط التخصص الجغرافى الطبيعى ، فى مجال تعميق هذه الدراسة الجغرافية فى جميع الأحوال ، تعميقا علميا جغرافيا ، حتى يجاوب الهدف الجغرافى •

ومن خلال المنهج الجغرافى المعمول به ، ومن خلال السياق المنسق على درب التوزيع والتعليل والربط ، تعرف الدراسة الجغرافية العلمية ، كيف توظف الدراسة المكتبية والدراسة الميدانية أو الحقلية فى جمع أوصال وتجسيد خواص الظاهرة الجغرافية الطبيعية المعنية ، فى المكان والزمان • كما تعرف أيضا هذه الدراسة الجغرافية العلمية الطبيعية المتخصصة ، كيف توظف الدراسة المكتبية والدراسة الحقلية أو الميدانية ، فى تصوير الواقع

الطبيعى وبيان خواصه ومواصفاته الجغرافية الطبيعية ، وفى حصر فاعاية التداخل أو الاسهام المشترك لعناصر الظاهرات الجغرافية المتباينة ، فى صياغة صـورة هذا الواقع الجغرافى الطبيعى ، على صعيد المسـاحة المعنية ٠

ولقد استوجبت هذه العنـاية الجغرافية الخاصة ، بالظاهرة الجغرافية الطبيعيـة المتفـردة تخصـيص فرع متخصص لهـا ، من فروع الجغرافية الطبيعية ٠ وفى الوقت الذى يعلن فيه ، هذا الفرع الجغرافى الخاص المتخصص عن الانتماء الى الجغرافية الطبيعية ، يصبح فى وسع هذا التخصص الجغرافى الدقيق أن يعالج أو أن يتناول ويتدارس الظاهرة الجغرافية الطبيعية على انفراد ، دراسة جغرافية طبيعية خصوصية ومتخصصة ، على صعيد المساحة المعنية فى المكان والزمان ٠

وكون هذه المعالجة أو هذه الدراسة جغرافية خصوصية ، تستغرق فى التخصص الجغرافى الى أبعد الحدود ، لا يعنى أبدا قطع أو انقطاع الصلة بينها ، وبين الظاهرات الجغرافية الأخرى ٠ ولكن قل ربما يعنى ذلك ، أن تكون الدراسة الجغرافية أصولية متعمقة ٠ وربما يعنى ذلك أيضـا ، ان تتعمد هذه الدراسـة الجغرافية ، تأصـيل وتعميق وحسن وضـوح الرؤية الجغرافية للظاهرة الجغرافية المعنية ، تأصـيلا جغرافيا علميا ، من خلال التحليل مرة ، ومن خلال التركيب مرة أخرى ، على حد سواء ٠

وتتمثل فروع الجغرافية الطبيعيـة التى ينتمى أصلها الى ، ويرتبط ارتباطا عضويا بالتخصص الجغرافى الطبيعى ، فى تخصصات متنوعة ٠ ويعكف كل تخصص جغرافى طبيعى من هذه التخصصات على دراسة كل ظاهرة جغرافيـة طبيعية منفردة ، دراسة جغرافيـة عميقة ٠ ونذكر من هـذه التخصصات الجغرافية الطبيعية ، التى يتفرغ لها فرع خاص من الجغرافية الطبيعية ، جغرافية التضاريس ، وجغرافية المناخ ، وجغرافية تشكيل السطح ( جيمورفولوجى ) وجغرافية الحياة ( النبات والحيوان ) ٠ وصحيح أن هناك علوم علمية مستقلة ، تعتنى بهذه التخصصات عناية خاصة غير جغرافية . ولكن الصحيح أيضا أن العناية الجغرافية وتخصيص فرع خاص لكل تخصص منها ، تبدو ذات طعم علمى خاص ، ونكهة جغرافية متخصصة ٠

ونذكر على سـبيل المثال أن علم البحار يؤدى دوره العامى الوظيفى فى دراسة البحار والمحيطات بكل تأكيد ٠ وتفضى هذه الدراسة المتخصصة الى نتائج علمية مفيدة ٠ وقل أنها تسجل الاضافات التى لانشك أو لانتشكك

فى قيمتها العلمية . كما لا يجوز التفريـط فيها أو اهمالها . ولكن ذلك الانجاز العلمى الرائع ، لايعنى أبدا ابعاد الاجتهاد الجغرافى عن هذا الميدان. بل قل أن القيمة أو الجدوى العلمية للدراسة التى يجريها الباحث فى علم البحار ، لا تغنى عن الجدوى العلمية الجغرافية ، للدراسة التى يتفرغ لها الجغرافى المتخصص فى جغرافية البحار . وفى الاعتقاد الجغرافى أن الجدوى العلمية الجغرافية لدراسة البحار ، تكون لازمة ومهمة ، لأنها تتم الجدوى العلمية البحتة ، لدراسة علم البحار .

وفى الوقت الذى تجمع فيه الجغرافية الطبيعية شمل هذه الزمرة من الفروع الجغرافية المتخصصة ، يمكن أن تنضم اليها بعض الفروع الجغرافية الطبيعية الجديدة الأخرى ، كلما استوجب البحث الجغرافى العناية بظاهرة جغرافية طبيعية معينة. ويحسن الاجتهاد الجغرافى ، بل هو يجيد توفير هذه العنـاية التى تؤدى الى هذه الاضـافة ، ونشـأة فروع جغرافية جديدة ، يتأكد انتمائها الى الجغرافية الطبيعية . ويتفرغ الاجتهاد الجغرافى لدراسة جادة وعميقة ، تكفل وتؤصل هذه النشـأة ، وتؤكد هذا الانتماء الى صف واحد ، يجمع كل فروع الجغرافية الطبيعية . وهناك دائما المبررات الوجيهة، التى بررت وما زالت تبرر ، من حين الى حين آخر ، اضافة بعض الفروع الجديدة الى اهتمامات الجغرافية الطبيعية . ومع ذلك فلا تبرير ، ولا نشـأة ، ولا انضمام ولا جديد أبدا ، فى غيبة الفكر الجغرافى ، الذى يجب أن يستسيغ هذا التوجه ويبرره ، ويباركه ويشد آزره .

ويستوجب الترابط بين الظاهرات الجغرافية الطبيعية المتنوعة ، وهى التى تشترك اشتراكا منسـقا ، فى صياغة ، أو فى اكساب الواقع الطبيعى فى المسـاحة المعنية ، فى المكان والزمان ، خواصه ومواصفاته الطبيعية ، تخصيص دراسة جغرافية طبيعية خصوصية كلية . وتعالج هذه الدراسة الجغرافية الطبيعية المتخصصة الكلية ، الرؤية الجغرافية الطبيعية الشاملة ، وهى التى تعبر عن الواقع الطبيعى . وتكون هذه المعالجة الجغرافية المتخصصة الكلية ، كاشفة لكل العناصر الجغرافية الطبيعية ، التى تتداخل أو التى تشترك فى صياغة أو فى تكوين ، أو فى توليف مكونات الواقع الطبيعى ، الذى تنبىء به رؤية الجغرافى له ، فى ربوع المسـاحة المعنية ، فى المكان والزمان .

ومن خـلال القدرة الجغرافيـة على التركيب ، تجمع هذه الدراسة فى الجغرافية الطبيعية الشاملة أوصال كل العناصر ، التى تفضى الى تجسيد

الرؤية أو المنظور الكلى للواقع الطبيعى • بمعنى أنها تتعقب نصيب الموقع الجغرافى والتضاريس ، والمناخ والصورة الحيوية ، المشتركة فى صياغة هذا المنظور الجغرافى ، فى المساحة المعنية ، فى المكان والزمان • كما تتعقب أيضا نتائج العلاقات بين أنصبة هذه العناصر ، وهى تصطنع المنظور الجغرافى للواقع الطبيعى ، على صعيد المساحة المعنية •

ومن خلال القدرة الجغرافية على **التحليل** ، تفكك هذه الدراسة الجغرافية الطبيعية الشاملة، أوصال الرؤية الجغرافية الكلية، على صعيد المساحة المعنية• وقل أنها تحالل التداخل والترابط ، التى يجمع ويلم شمل مكونات المنظور الجغرافى للواقع الطبيعى • بل قل انها فى اطار هذا التحليل ، تتبين القواعد التى يبتنى عليها جمع وتوليف مكونات هذا المنظور الجغرافى ، على صعيد المساحة المعنية ، فى المكان والزمان •

ومن خلال القدرة على **التركيب والتحليل** ، يمسك الاجتهاد الجغرافى ، بزمام التفسير الجغرافى ، وهو حريص على هذا التفسير • كما يمسك الاجتهاد الجغرافى أيضا ، بزمام الربط الجغرافى ، وهو أشد حرصا على الربط وتعقب العلاقات بين الظاهرات الجغرافية • ولا يقف الأمر عند هذا الحد ، بل قل أنه يصبح فى وسع الاجتهاد الجغرافى ، أن يتعقب القواعد والسنن التى تضبط وتسخر هذه الظاهرات ، وأن يتلمس احتمالات الاستثناء والشذوذ والخروج الجغرافى ، عن أصول هذه القواعد والسنن •

هذا ، ولا تعارض أبدا ، فى نهاية الأمر ، بين دراسة جغرافية طبيعية خاصة ، تستوجب التدقيق والامعان فى التخصص الجغرافى فى جانب ، ودراسة جغرافية طبيعية عامة ، تستوجب التعميم والشمول فى التخصص الجغرافى فى جانب آخر • وصحيح أن التدقيق والامعان فى التخصص الجغرافى ، هو الذى يعكف على الظاهرة الجغرافية الطبيعية المتفردة ، على صعيد المساحة المعنية ، حتى يمحصها وتتكشف له تفاصيلها الدقيقة ، ويعرف القواعد والسنن الحاكمة لها • وصحيح أيضا ، أن التعميم والشمول فى التخصص الجغرافى ، هو الذى يطالع الرؤية الجغرافية ، أو المنظور الجغرافى ، على صعيد المساحة المعنية ، حتى تتكشف له القواعد والسنن الحاكمة لتداخل واشتراك مجموعة الظواهر الجغرافية الطبيعية فى صياغة الواقع الطبيعى ، فى المكان والزمان • ولكن الصحيح بعد ذلك كله ، أن كل دراسة من هاتين الدراستين الجغرافيتين العامة والخاصة ، تكون مطلوبة ، بل ولا تغنى دراسة منهما عن الأخرى • وتسفر كل دراسة منهما فى مجالها

العام ، أو فى مجالها الخاص ، عن نتائج مفيدة ، لحساب الهدف الجغرافى ٠

ومن ثم تنال الدراسة الجغرافية العامة ، والدراسة الجغرافية الخاصة ، عناية واهتمام الاجتهاد الجغرافى الطبيعىالمتخصص٠وتكونهذهالعناية ،وتتوفر فى اطار أكبر قدر مناسب ، من التوازى ، ومن التوازن ، من وجهة النظر الجغرافية العلمية ٠ وهما معا - فى نهاية المطاف - يعمقان رؤية الاجتهاد الجغرافى المتخصص ، أو يرشدان استيعاب خواص الواقع الجغرافى الطبيعى على صعيد المساحة المعنية ، فى المكان والزمان ٠ ولا شىء يشغل بال الاجتهاد الجغرافى المتخصص ، أهم من تعميق رؤيته للواقع الجغرافى الطبيعى، فى اطار مهاراته المكتسبة ، فى التحليل والتركيب الجغرافى ٠

وتستوجب مثل هذه الدراسة الجغرافية الطبيعية العامة أحيانا ، أو الدراسة الجغرافية الطبيعية الخاصة أحيانا أخرى ، سعة الاطلاع والتنور٠ ولا تنور أبدا من غير انفتاح شديد يقظ ، وقدرة على حسن استيعاب نتائج العلوم الطبيعية والتزود بها ٠ وكم يكون الباحث الجغرافى فى أمس الحاجة الى حسن الانتفاع بهذه النتائج ، والى حسن توظيفها فى صياغة بحثه الجغرافى ٠ وقل أنه يكون فى وسع هذا الاجتهاد الجغرافى الحصيف ، أن يؤلف من نتائج العلوم الطبيعية شيئا مفيدا ، يبتنى عليه نتائج البحث الجغرافى الطبيعى ٠

وتبصر نتائج العلوم الطبيعية التى ينبغى أن يتسع لها عقل الباحث الجغرافى ولا تفلت منه دلالالتها العلمية أبدا ، البحث الجغرافى الطبيعى ٠ وقل أن سعة الاطلاع وحسن الاستيعاب يزود الباحث الجغرافى ، بأهم السنن والقواعد العلمية الطبيعية ، التى ينبغى أن يعتمد عليها ، فى دراسة الظاهرة الجغرافية الطبيعية ، دراسة جغرافية تحليلية وتركيبية ٠ بل قل أنه من غير أن يحيط الجغرافى علما بهذه النتائج العلمية ، يفلت منه أحيانا حسن التفسير ٠ كما قد يستشعر العجز عن تعميق البحث الجغرافى ، أو عن موجبات التدقيق التخصصى ، فى الجغرافية الطبيعية ٠

ولا تكاد تغنى سعة الاطلاع والاحاطة وحسن الاستيعاب ، عن التحلى بمهارة الأخذ المناسب ، وحسن التزود بنتائج العلوم الطبيعية(١٠) ٠ بمعنى

---

(١٠) تسعف سعة الاطلاع على نتائج العلوم الطبيعية ، والتحلى بمهارة الأخذ وحسن

أن سعة الاطلاع شيء وحده لا يكفي ، وأن المهـارة في الأخذ شيء آخر ، به يتحقق الانتفاع بنتائج العلوم الطبيعية • وينبغي أن يتزود ، أو أن يكتسب الاجتهاد الجغرافي هذه المهارة في الأخذ من العلوم الطبيعية(١١) • بمعنى أن يتقن الباحث الجغرافي ، أو أن يجيد تقصي حقيقة السنن والقواعد العلمية الحاكمة ، لمظهر أو لجوهر الظاهرة الجغرافية الطبيعية المعنية ، لأن لا شيء غيرها يمكن أن يسعف التحليل الجغرافي ، على كل مستويات الدراسة في الجغرافية الطبيعية ، في المكان وفي الزمان •

وفي اطار التحلي بمهارة الأخذ ، والتزود بنتائج العلوم الطبيعية وحسن توظيفها ، يصبح في وسع الباحث الجغرافي ، أن يتقصى فعل السنن والقواعد العلمية ، وهي التي تصطنع المتغيرات الطبيعية ، حتى يستوعب التغيير في المكان والزمان • وعندئذ ، يتبين الاجتهاد الجغرافي في الجغرافية الطبيعية شيئا مهما عن توجهات التغيير الطبيعي جغرافيا ، في المسـاحة المعنية ، من عصر الى عصر آخر • ولا ينجح الاجتهاد الجغرافي في الدراسة الجغرافية الطبيعية أبدا ، دون هذا التزود بنتائج العلوم الطبيعية ، ومنها علم الطبيعة ، وعلم الكيمياء ، وعلم النبات ، وعلم الحيوان ، وعلم الجيولوجيا ، وعلم الفلك •

* * *

## علم الجغرافيا ودراسة الانسان ( الجغرافية البشرية ) :

اعتنى علم الجغرافية الحديثة أيضا بالجغرافية البشرية ، في اطار الحبكة العلمية ومكونات بنيته المركبة ، التي تجاوب الهدف الجغرافي • ذلك أنهـا غاية جغرافية علمية منهجية بالانسان مرة ، وبحركة الحياة مرة أخرى ، على صعيد الأرض • وتكون الظاهرة البشرية التي تستوعب حضور الانسان في المكان والزمان ، أو التي تستوعب حركة الحيـاة اجتماعيا واقتصـاديا وحضاريا وسياسيا ، هي الشـغل الشاغل الذي يتفرغ له الاجتهـاد الجغرافي • بل قل أن الجغرافيـة البشرية ، تستوجب التخصص الجغرافي الخاص ، الذي يعكف على الدراسة الجغرافية البشرية •

---

التوظيف التحليـل الجغرافي ، ويبقى الجغرافي جغرافيـا • ولكن الاستغراق في نتـائج العلوم الطبيعية ، قد لا يفيد كثيرا ، وربما أوقع الباحث الجغرافي في خطيئة عدم الانتماء الجغرافي • ومهارة الأخذ وحسن التوظيف في مقابل مهارة العطاء ، بعد أن يفرغ الباحث الجغرافي من انجاز البحث الجغرافي ، هي أهم ما ينبغي أن يحرص عليه الاجتهاد الجغرافي •

(١١) ينبغي أن يصنف الباحث الجغرافي النتائج العلمية ، وهي بمثابة السنن الحاكمة للطبيعة على الأرض ، تصنيفا مناسبا ، في اطار الرصيد الجغرافي •

وتبدو هذه الدراسة الجغرافيــة البشرية ، وهى تعــالج أو تتناول الظاهرة الجغرافية البشرية متفردة أحيانا ، على صعيد المساحة المعنية ، فى المكان والزمان · وتكون هذه العناية الجغرافية البشرية على نفس المستوى الجغرافى العلمى ، وهى تعالج أو تتناول الظاهرة الجغرافية البشرية ، التى تشترك مع غيرها من الظاهرات الجغرافية البشرية المتنوعة الأخرى ، عــلى صعيد المساحة المعنية ، فى المكان والزمان · وفى جميع الأحوال ، تحافظ هذه الدراسة الجغرافية البشرية على موجبات العلاقة أو الصلة بين الانسان والأرض ، التى تكون بمثابة مسرح الأحداث ، وتجرى عليه وتتعايش فى ربوعه حركة الحياة ·

ومن خــلال المنهج الجغرافى المعمول به ، وفى اطار السياق المنسق وحبكته ، تعرف الدراسة الجغرافية العلمية ، كيف تجسد خواص ومواصفات الظاهرة الجغرافية البشرية المعنية · كما تعرف أيضا ، كيف يكتسب الواقع البشرى(١٢) ، على صــعيد المســاحة المعنية ، كل خواصـه ومواصـفاته الجغرافية · وقد يتمادى البحث الجغرافى البشرى المتخصص الى الحد الذى يعرف عنده كيف تشترك أو تتداخــل الظاهرة الجغرافيــة البشرية مــع الظاهرات الجغرافية البشرية الأخرى ، اشتراكا منسقا ، فى صياغة الصورة أو المنظور الذى يكون عليه ، وتتألف منه مكونات الواقــع البشرى ، عــلى صعيد المساحة المعنية ، فى المكان والزمان · بل قل أنها دراسة تحسب حساب علاقة الانسان بالأرض ، ومبلغ تأثيرها على حركة الحيــاة ومنظور الواقع البشرى ، فى المكان والزمان ·

هكذا استوجبت عناية علم الجغرافية بالانسان وحركة الحياة الانسانية وعلاقة هذه الحركة الحيــاتية بالأرض ، اجتهادا وانفتــاحا على الظــاهرة البشرية ، يجاوب المدركات الجغرافية البشرية · وقد لا تقف هذه المدركات الجغرافية البشرية عند حد معلوم ، لأنها تتغير وتتبدل وتتسع ، تحت تأثير وفعل المتغيرات التى تواجه حركة الحياة ، وتلتزم بالاستجابة لها فى المكان والزمان · ومن ثم يتعين توجه علم الجغرافية الى العناية الخاصة والمتخصصة بالظاهرة الجغرافية البشرية ، والى العناية العامة والشاملة بالواقع الجغرافى

---

(١٢) يجسد الواقع البشرى صورة حركة الحياة بكل أبعادها ، فى الوضع الراهن على صعيد المساحه ، فى الماضى أحيانا ، أو فى الحاضر أحيانا أخرى · وقد يجسد هــذا الواقع البشرى استمرار مضى حركه الحياه وهو يجاوب التغير وفعل المتغيرات ·

البشرى الكلى • وفى جميع الأحوال ، لا تنقطع الصلة بين عناية التخصيص المتخصص ، وعناية التعميم المتخصص ، فى الدراسة الجغرافية البشرية •

ولقد استوجبت العناية الجغرافية الخاصة والمتخصصة ، فى دراسة الظاهرة الجغرافية البشرية ، تخصيص فرع متخصص لها ، من فروع الجغرافية البشرية • ويعالج أو يتناول هذا الفرع الخاص والمعنى بالظاهرة الجغرافية البشرية على انفراد ، معالجة جغرافية خصوصية ومتخصصة • وكونها معالجة أو دراسة جغرافية بشرية خصوصية ومتخصصة ، لا يعنى أبدا قطع أو انقطاع الصلة أو العلاقة مع الأرض وتأثيرها المباشر وغير المباشر على هذه الظاهرة • كما لا يعنى أيضا ، قطع أو انقطاع الصلة أو العلاقة بين الظاهرة الجغرافية البشرية والظاهرات الجغرافية البشرية الأخرى ، فى اطار الرؤية أو فى اطار المنظور الجغرافى البشرى الكلى ، على صعيد المساحة المعنية ، فى المكان والزمان •

وتبدو الدراسة الجغرافية البشرية الخاصة والمتخصصة ، على هذا الأساس ، دراسة أصولية لا أقل ولا أكثر • بمعنى أن تتعمد الدراسة الجغرافية البشرية تأصيل الرؤية الجغرافية ، التى تدقق فى كل تفاصيل الظاهرة الجغرافية البشرية المعنية • وقد لا يتأتى هذا التأصيل الجغرافى العلمى الدقيق ، الا من خلال التحليل ، ومن خلال التركيب ، على حد سواء • ويفضى هذا التأصيل بعد ذلك كله ، الى بيان واكتشاف القواعد العامة والأسس ، التى يرتكز اليها منظور الظاهرة الجغرافية البشرية المعنية ، فى المكان والزمان •

وتتمثل فروع الجغرافية البشرية التى يتخصص كل فرع منها فى دراسة كل ظاهرة جغرافية بشرية ، على انفراد ، فى جغرافية السلالات البشرية ، وجغرافية السكان ، وجغرافية السكن ، والجغرافية الاجتماعية ، والجغرافية الحضارية ، والجغرافية السياسية ، والجغرافية الاقتصادية • ويمكن أن تنضم الى هذه الزمرة ، بعض الفروع الجغرافية البشرية الأخرى ، كلما استوجب البحث الجغرافى العناية الجغرافية الخاصة والمتخصصة بظاهرة

جغرافية بشرية معنية ، ولم يسبق الاهتمام بها • كما يمكن أن تنبثق من الفرع الجغرافي البشرى فروعا جغرافية ، لكى تكون الدراسة أكثر عمقـا أو أكثر تدقيقا(١٣) •

ويحسن الاجتهاد الجغرافى صنعا ، وهو يلاحق حركة الحياة ، ويتلمس فى التفاصيل الدقيقة ما يشغله ويهتم به • وقل أنه يجد المبررات التى تحفز توجه العناية الجغرافية الى تفاصيل الظاهرة الجغرافية البشرية • بل قل أن هناك دائمـا المبررات ، التى برزت وتبرز من حين الى حين آخر ، اضافة الفروع الجديدة ، الى صلب اهتمامات الدراسات الجغرافية البشرية• وتبتنى كل اضافة جديدة ، تفرغ الاجتهاد الجغرافى للعناية بقضية هـذا الاهتمام ، على بعض تفاصيل الظاهرة الجغرافية البشرية ، من أجل دراسـة جادة وعميقة ، تكشف عن القواعد الحاكمة لهـا ، فى اطار حركة الحيـاة ووجودها الحضارى والاجتماعى والاقتصادى والسياسى ، فى المكان والزمان•

واستوجب الترابط بين الظاهرات الجغرافيـة البشرية المتنوعة ، فى اطار حركة الحياة ، وهى تشترك فى صـياغة منظور الواقع البشرى ، أو تشترك فى اكسـاب الواقـع البشرى خواصه ومواصـفاته البشرية ، فى المساحة المعنية ، تخصيص دراسة جغرافية بشرية عامة شاملة ومتخصصة• وتتناول هذه الدراسة الجغرافية البشرية العامة المتخصصة ، وتعالج المنظور البشرى الشامل ، أى الرؤية الجغرافية البشرية الكلية ، وهـو الذى نعبر عنه بالواقع البشرى ، فى المكان والزمان • وتكون مثل هذه الدراسـة الجغرافية ، كاشفة عن كل العناصر الجغرافية البشرية ، التى تتداخـل أو التى تشترك فى صياغة وتكوين الواقع البشرى • بل قل أنهـا تعبر عن رؤية الباحث الجغرافى ، لمنظور الواقع البشرى على صعيد المساحة المعنية ، وتجربته الحياتية فى المكان والزمان •

ومن خلال القدرة على **التركيب** ، تجمـع هذه الدراسـة الجغرافيـة البشرية العامة ، وتلم شمل أوصال من العناصر الجغرافية البشرية المتنوعة ،

---

(١٣) تهتم الدراسة الجغرافيـة البشرية حتما بالظاهرة الجغرافيـة الاقتصـادية • وهناك فرع خاص ومتخصص ، يتولى أمر هذه الظاهرة ، هو الجغرافية الاقتصـادية • ومع ذلك أصبحت هناك المبررات التى استوجبت دراسة تفاصيل كثيرة فى اطار الظاهرة الاقتصادية• ومن ثم كانت دراسة جغرافية الانتاج ودراسة جغرافية التجارة ، ودراسة جغرافية النقل ، وغيرها من الفروع التى يحتويها اطار الجغرافية الاقتصادية •

التى تفضى الى تجســـيد ، أو توليف مكونات الرؤية الجغرافيـــة البشرية الكلية ، أو الى بيان المنظور العام للواقع البشرى · بمعنى أنهـا دراســـة جغرافية ، تتعقب كل بعد من أبعاد حركة الحياة ، اجتماعيا ، واقتصاديا ، وحضاريا ، وسياسيا · ومن ثم تتبين بوضوح وتحصى تصيب ومبلغ اسهام كل بعد من هذه الأبعاد فى صياغة هذه الرؤية الجغرافية البشرية العامة . على صعيد المساحة المعنية فى المكان والزمان · بل قل أنها تحسن بعـــد ذلك كله ، تقصى محصلة العلاقة بين توليفة الأبعـــاد المتداخلة فى صلب حركة الحياة من ناحية ، والأرض وهى المسرح الذى يشهد هـذه الحركة ، ومنظور الواقع البشرى من ناحية أخرى ·

ومن خلال القدرة على **التحليل** ، تفكك هذه الدراسة الجغرافية البشرية العامة ، أوصال الرؤية الجغرافيـــة البشرية الشاملة على صـعيد المساحة المعنية · وقل أنها تحلل تحليـــلا جغرافيا مناسبا المنظور العـــام للواقـــع البشرى ، حتى تتبين مكوناته ، دون افراط أحيانا ، ودون تفريط أحيانا أخرى ، فى علاقة هذا الواقع البشرى بالأرض ومسرح الأحداث الحياتية · بل قل أن هذه الدراسة الجغرافية البشرية العامة ، تتعقب ، فى اطار هذا التحليل ، العلاقات بين كل العناصر والأبعـــاد البشرية المتنوعـــة ، التى تتداخل فى ، أو التى تشترك فى جمع ولم وتوليف المكونات البشرية ، فى تسييج الرؤية أو المنظور الجغرافى البشرى الـكلى ، على صعيد المســـاحة المعنية ، فى المكان والزمان ·

ولا تعارض علمى أبدا ، بين دراسة جغرافية بشرية خاصة ، حيث يعكف كل فرع من فروع الجغرافية البشرية على تمحيص وتقصى حقيقـــة الرؤية الجغرافية المتخصصة ، لرؤية الظاهرة الجغرافية البشرية المتفردة من ناحية ، ودراسة جغرافية بشرية عامة ، حيث تعكف الجغرافية البشرية على تمحيص وتقصى حقيقة المنظـــور الجغرافى البشرى العـــام ، وكيف ولماذا تتداخل أو تشترك مجموعة الظاهرات الجغرافية البشرية ، فى صياغة منظور الواقع البشرى من ناحية أخرى · بل قل ولا تناقض أبدا بينهما ، عنـدما تجرى بحوث جغرافية بشرية خاصة أحيانا ، وبحوث جغرافية بشرية عامة أحيانا أخرى ، على صعيد المساحة المعنية ، فى المكان والزمان ·

هكذا ، تكون كل دراســة من هاتين الدراستين الجغرافيتين البشرية العامة والخاصة ، ذات جدوى · ولا ينبغى التفريط فى معطيات كل دراسة منهما · وقل أن هذا الازدواج الدراسى ، قد يفيد التوازى ، ولكنه لايجسد

أبدا الثنائية ، ولا يترك لأى دراسة عامة أو خاصة ، الفرصة التى تقفز فيها احداهما على الأخرى ، فتعتم عليها أو تشوهها • ويحافظ هــذا الازدواج الدراسى المتوازى على موجبات التوازن أيضـــا ، بين الدراسة الجغرافيـــة البشرية العامة ، والدراسة الجغرافيـــة البشرية الخاصة • ويسفر هـــذا التوازى والتوازن ، بكل تأكيد ، عن نتائج مفيدة أو مثمرة ، تتكامل ولا تتناقض أو لا تترك البحث الجغرافى يتخبط ، وهـــو يعمل ويتوجـه الى الهدف الجغرافى •

ومن وجهة النظر الجغرافيـــة المتخصصة ، لا تكاد تغنى الدراســـة الجغرافية البشرية العامة ، على صعيد المساحة المعنية ، أبدا عن الدراســـة الجغرافية البشرية الخاصة • وتستوجب الدراسة الجغرافية البشرية العـامة التعميم والشمول ، وهى تطالع أو وهى تتناول وتتدارس المنظور البشرى العام للواقع البشرى • وتستوجب الدراسة الجغرافية الخاصـــة التمحيص والتدقيق ، وهى تطالع أو وهى تتناول وتتدارس الظاهرة الجغرافية البشرية المعنية • ومع ذلك فانهما معا يستغرقان استغراقا مناسبا ، فى التخصص الدراسى الجغرافى البشرى ، وصـــولا الى العمق الجغرافى المناسب لـكل منهما

وتنال كل دراسة من هاتين الدراستين الجغرافيتين البشريتين العامة على مستوى التعميم ، والخاصة على مستوى التخصيص ، عناية واهتمـــام الاجتهاد الجغرافى المتخصص بشريا ، فى اطار أكبر قدر من التوازى دون تعارض ، وأكبر قدر من التوازن دون انحياز • وهما معـا يعمقان الرؤية الجغرافية للواقع البشرى السائد ، على صعيد المساحة المعنية ، فى المكان والزمان • ولا شىء يشغل بال الاجتهاد الجغرافى العلمى من خـلال حسن توظيف المهارة فى التركيب والتحليـل ، أهم من تعميق دراســة الواقــع البشرى ، فى اطار المنظور الجغرافى •

وتستحق هذه الدراسة الجغرافية البشرية العامة أحيانا ، أو الدراسة الجغرافية البشرية الخاصة أحيانا أخرى ، بل قل تستوجب ســعة الاطلاع والتنور • ولا تنور أبدا من غير حسن انفتاح ، وتفتح شديد ويقظة وقدرة ومهارة على حسن استيعاب نتائج العلوم الانسانية والتزود بهـــا • وكم يكون الباحث الجغرافى فى أمس الحاجة ، الى حسن الانتفاع بهذه النتائج والى حسن توظيفها واستثمارها الاستثمار الأنسب ، فى صياغة بحثـه الجغرافى البشرى • وقل أنه يكون فى وسع هذا الاجتهـــاد الجغرافى ، أن

يؤلف من نتائج العلوم الانسانية ، شيئا مفيدا يبتنى عليه نتائج ومحصلة البحث الجغرافى البشرى ٠

وتبصر نتائج العلوم الانسانية ، التى ينبغى أن ينفتح لها عقل الباحث الجغرافى ، وأن يتسع لها وبها اهتمامه ، حتى لا تفلت منه دلالاتها العلمية أبدا ٠ وقل ان سعة الاطلاع وحسن الاستيعاب ، يزود الباحث الجغرافى ، بأهم السنن والقواعد العلمية البشرية ، التى ينبغى أن يعتمد عليها ، فى دراسة الظاهرة الجغرافية البشرية ، دراسة جغرفية تحليلية وتركيبية ، فى وقت واحد ٠ بل قل أنه من غير حسن احاطة الجغرافى علما بهذه النتائج العلمية ، يفلت منه زمام حسن التفسير والتحليل ٠ كما قد يستشعر بعض العجز أو كل العجز ، عن تعميق البحث الجغرافى ، أو عن موجبات التدقيق التخصصى ، فى الجغرافية البشرية ، على الاطلاق ٠

ولا تكاد تغنى سعة الاطلاع وحسن الاحاطة ومهارة الاستيعاب ، عن التحلى بمهارة الأخذ المناسب ، وحسن التزود بنتائج العلوم الانسانية ٠ بمعنى أن سعة الاطلاع شىء وحده لا يكفى ، وأن المهارة فى الأخذ شىء أكثر أهمية ، وبها يتحقق الانتفاع بنتائج العلوم الانسانية ٠ وينبغى أن يتزود الجغرافى بمهارة اختيار النتائج الأنسب للعمل الجغرافى البشرى ٠ كما ينبغى أن يكتسب الاجتهاد الجغرافى المهارة فى هذا الأخذ الضرورى من نتائج العلوم الانسانية ٠ بمعنى أن يتقن الباحث الجغرافى ، أو أن يجيد تقصى حقيقة القواعد العلمية البشرية الحاكمة أو المؤثرة فى مظهر أو فى جوهر الظاهرة الجغرافية البشرية المعنية ، لأن لا شىء غيرها يمكن أن يسعف التحليل الجغرافى البشرى ، على كل مستويات الدراسة الجغرافية البشرية ، فى المكان والزمان ٠٠

وفى اطار هذا التحلى بمهارة اختيار نتائج العلوم الانسانية ، ومهارة الأخذ والتزود وحسن الانتفاع ، يصبح فى وسع الباحث الجغرافى ، أن يتقصى القواعد العلمية البشرية ، وهى التى تصطنع المتغيرات البشرية حتى يستوعب مفعول التغيير فى المكان والزمان ٠ وعندئذ ، يتبين الاجتهاد الجغرافى فى الجغرافية البشرية شيئا مهما ، عن توجهات التغيير البشرى جغرافيا ، فى المساحة المعنية ، من عصر الى عصر آخر ٠ ولا ينجح الاجتهاد الجغرافى فى الدواسة الجغرافية أبدا ، دون هذا التزود بنتائج العلوم الانسانية ، ومنها ، علم الاجتماع ، وعلم التاريخ ، وعلم السياسة ، وعلم

الحضارة ، وعلم الآثار ، وعلم النفس ، وعلم الاقتصاد ، وغيرها من مجموعة العلوم الانسانية ٠

* * *

ويبقى بعد ذلك كله ، أن نؤكد على جدوى هـذا الافتراق على درب البحث الجغرافى ، بين الجغرافية الطبيعية وفروعها من ناحية ، والجغرافية البشرية وفروعها من ناحية أخرى ، وقل أنه افتراق علمى وظيفى معمول به، من أجل حسن التخصص، وحسن الأداء الجغرافى بصفة عامة ٠ مع ذلك فان هذا الافتراق لا يعنى قطع الصلة أو انعدام الصلة ، أو حتى الاستخفاف بالعلاقة بينهما فى الاطار الجغرافى الشـامل ٠ وقل أن مهـارة الجغرافى لا يحسب لها حساب جيد ، الا وهو حريص على هذه الصلة ، التى لا يجوز التفريط فيها أبدا ٠ بل قل أن من أهم مسوغات الاتقان فى انجاز البحث الجغرافى ، هى أن يكتسب الباحث الجغرافى المهارة فى أن يعرف كيف :

**أولا :** يعتنى دائما بالعلاقة الأصلية التى تجمع بين الجغرافية الطبيعية ودراسة الأرض لحساب الانسان فى جانب ، والجغرافية البشرية ، ودراسة حضور الانسان وتعايشه فى ربوع الأرض ، فى جانب آخر ٠

**ثانيا :** يتعقب الباحث الجغرافى أبعاد هذه العـلاقة ومعطياتها ، فى اطار الرؤية الجغرافية الشاملة ، التى تجمع فى وعاء واحد ، بين الانسان والأرض فى المكان والزمان ٠

ولأن هذه العلاقة أصولية ، فلا هى مقطوعة أبدا ، ولا هى ممنوعة ، ينبغى أن يتلمس الباحث الجغرافى موجبات هذه العلاقة الحيوية ٠ كما يجب أن يميز بين منطق هذه العـلاقة ، وهى علاقة تبعية بين متبوع يفرض وتابع يستجيب ، ومنطق هـذه العلاقة وهى عـلاقة متبـادلة بـين ندين متكافئين ، فى اطـار الضبط والانضـباط المتبـادل ٠ وحسن تقصى حقيقة هذه العلاقة ، والعناية الجغرافية بها ، هو الذى يوفر أسباب أو موجبات الربط الموضوعى العلمى الدراسى ، بين الواقع الطبيعى ومتغيراته على صعيد المساحة المعنيـة فى جانب ، والواقع البشرى وحركة الحيـاة ومتغيراتها ، على نفس الصعيد فى جانب آخر ٠ كما يهيىء للباحث الجغرافى أيضا ، حسن ادراك وتفهم أو استيعاب التأثير المتبادل ، بين الطبيعة وهى تضبط وتنضبط من ناحية ، والانسان وهو يضبط وينضبط من ناحية أخرى ٠

الفصل الثالث

# توجهات المعالجة الجغرافية

- تمهيــــد
- حتمية الاقلاع عن المعالجة العتيقة
- توجه المعالجة الجغرافية الجديدة
- توزيع الظاهرة الجغرافية المعنية
- تعليل انتشار أو توزيع الظاهرة الجغرافية المعنية
- تقصى العلاقة والربط بين الظاهرة الجغرافيــة المعنية والظاهرات الأخرى
- المعالجة وتجسيد الرؤية الجغرافية



# الفصـــل الثالث

## توجهات المعالجة الجغرافية

على امتداد كل المراحل السابقة ، لظهور أو لنشـــأة علم الجغرافيـة الحديثة ، وحسن بيان وتجسيد ووضوح رؤية الهـــدف الجغرافى العلمى وتطلعاته لدراسة الأرض لحساب الانسان ودراسة الانسان وحضـوره فى ربوع الأرض ، كانت عناية الاجتهاد الجغرافى عنـــاية سطحية ومتعجلة . وربما كانت هذه العناية عـلى بينة بالرؤية الجغرافية فى المـكان والزمان تماما ، ولكنها كانت عناية قاصرة ومقصرة فى معالجة أو دراسة أبعاد هذه الرؤية الجغرافية تقصيرا شديدا . وقل أن الاجتهاد الجغرافى فى غيبة الاطار العلمى كان موفقا ، وهو يرصـــد المدركات الجغرافيـة الحسية فى المـكان والزمان ، فلا تغيب عنه أبدا ، ولا يهمل فى مطالعتها . ومع ذلك فقـــد استوعب هذا الاجتهاد الجغرافى وعالج هذه المدركات الجغرافية الحسية ، فى اطار فكر هلامى وتأمل غير ملتزم باطار محدد ، معـــالجة هزيلة وسطحية تماما ، حتى وهو يدرك حقيقة العلاقة بين الانســان والأرض ، فى المـكان والزمان فلا هو ينكرها ولا هو يتنكر لها أبدا .

### حتمية الاقلاع عن المعالجة العتيقة :

وكانت هذه المعـــالجة العتيقة ، التى تأتت فى غيبة علم الجغرافية ، معالجة لا تعتنى بشىء قدر عنايتها **بالوصف الجغرافى** فقط . ويقف هـــذا الوصف ، وهو مخلوط بالشوائب غير الجغرافية ، أو وهـــو قد تخلص من هذه الشوائب ، عند حد معلوم ، لم يكن فى وســـعه أن يتجاوزه أبدا . ويصور هـــذا الوصف أو يعبر عن الرؤية الجغرافية ، أو يجســد المنظور الجغرافى ، وهـــو يطالع الواقع الجغرافى جملة وتفصـــيلا ، على صـــعيد المساحة المعنية . ولقد تعود الاجتهاد الجغرافى غير الملتزم بأى قيود أو بأى ضوابط ، أو بأى قواعد عممية ، على عدم الانضباط فى الوصف الجغرافى . وكم جاء هذا الوصف الجغرافى وهو مخلوط بالشوائب التى تضر بحسن البيان والعرض فى كثير من الأحيـــان ، ولا تكاد تفيد الانجـاز الجغرافى الوصفى فى شىء . وكم كانت هـــذه الشوائب ، وهى عالقـــة بالوصف الجغرافى ، لكى تكدر صفو الوضوح الجغرافى ، أو لكى تعتم على حسن بيان الوصف الصحيح ، فى الانجاز الجغرافى .

ومع مرور الوقت من عصر الى عصر آخر ، وتقدم الخطوات المتانية ، على درب التعامل مع المدركات الجغرافيـة الحسية فى المكان والزمان ، أحس الاجتهاد الجغرافى بهذا التعتيم على المنظور الجغرافى • كما استشعر ماذا تفعل الشوائب ومعنى انعدام وضـوح الرؤية الجغرافية ، وهى تعاين المدركات الجغرافية الحسية • وأقدم الاجتهاد الجغرافى بحذر شديد وتحفظ أشد ، على تطهير الوصف الجغرافى ، وتنقيته من بعض الشـوائب ، التى كانت تكدر صفو الوضوح الجغرافى •

وبداية هذا التوجه الحميد ، لا يعنى تطهير الوصف الجغرافى تماما فى يوم وليلة • بل لقد بدأ بداية بطيئة جدا ، حفلت بالتحفظ أحيانا كثيرة • واستمر هذا التوجه الحميـد على المدى الطويل ، وهو يسعى الى انقاص معدلات الخلط ، بين ما يهم المعرفة الجغرافية ويجب المحافظة عليه ، وما لا يهم هذه المعرفة وينبغى التخلص منه • وفى غيبة العلم واطاره المحكم وضوابطه ، خضع أمر هذه التنقية ، والكف عن الحشو الذى يضيف كثيرا من الشوائب الى الوصف الجغرافى ، لاختيار الاجتهاد الجغرافى وتقديره ، وحسن عرض أو تصوير الوصف الجغرافى •

ومع هذا التفاوت فى التقـدير وفى الاختيار ، تفاوتت الكتابة فى الوصف الجغرافى تفاوتا كبـيرا • وكانت بعض كتابات الوصف الجغرافى أكثر وضوحا من كتابات وصـفية أخرى ، فى غيبة علم الجغرافية • وفى غيبة المقاييس العلميـة ، ينبغى أن نتوقع هـذا التفـاوت ، فى اطار حسن النية التى يمكن أن يتذرع بها صاحب كل كتابة فى الجغرافية الوصفية • ومع ذلك فيجب أن نقر باستمرار هذا التوجه الحميد • وكان وكان ليس لهذا التوجه الحميد هدف حقيقى ، أهم وأجدى من وضوح الرؤية الجغرافية ، وحسن التوصيف الجغرافى ، على صـعيد المسـاحة المعنية ، فى المكان والزمان •

ولقد تأتت آخر خطوة من خطوات هـذا التوجه الحميد ، الى تطهير وتنقيـة الوصف الجغرافى ، فى وقت متأخر جدا ، يرجـع الى القرن الثامن عشر الميلادى • وتمثلت هذه الخطوة الأخيرة ، فى الفصـل أو العزل بين الوصف الجغرافى فى جانب ، والسرد التـاريخى فى جانب آخر • وبارك الفكر الجغرافى هذا الفصل • وانتهى هذا الخلط الذى برر عدم القدرة على التميز ، بين الجغرافى والمؤرخ ، على المدى الطـويل • وأصبح هـذا التمييز بينهما أمرا سهلا وميسورا • بل قل أصبح الوصف الجغرافى نقيا الى حـد بعيد •

وكان هذا الفصل وهو شكل من أشكال التطهير ، وتنقيـــة الوصف الجغرافى ضروريا فى هذه المرحلة ، التى كانت تبشر بمولد علم الجغرافية ٠ وقل أن وجه الضرورة كان جادا ، حتى يتسنى صياغة الاطار العلمى ، الذى اصطنع من التفكير الجغرافى الحديث علما ، أو الذى أنهى شكله الهلامى ٠ بل قل لقد وضع هذا الاجتهاد الجغرافى حـــدا لهـذا الانزلاق فى خطيئة الخلط ، الذى سواء كان بحسن نية أو كان بسوء نية ، قد شوه دائمـــا الوصف الجغرافى ، أو عتم على قدر كبير من صدق التعبير ووضـــوحه فى المنظور الجغرافى ٠

وأفلح الاجتهاد الجغرافى العلمى الذى تلمس الوضوح الجغرافى ، فى هذا التطهير ٠ وقل أنه أفلح فى صياغة أسلوب عناية جديدة أفضل ، كفلت الصدق والوضوح ، والاهتمام بالرؤية الجغرافية وحسن تمحيصها ٠ وأخرج هذا الأسلوب الذى كشف عن الوصف الجغرافى غشـاوة الخلط ، البحث الجغرافى العلمى ، وفى اطار الالتزام بالهدف الجغرافى ، من جمود الوصف الجغرافى ومن تعبيره السطحى الجامد ٠ وكان ذلك وكأنه نقطة البداية فى التوجه الجغرافى العلمى ، فى الاتجاه الصحيح ، الى معالجة المدركات الجغرافية الحسية معالجة جغرافية علمية أنسب ٠

**توجه المعالجة الجغرافية الجديدة :**

واخراج العمل الجغرافى من جمـــود الوصف الجغرافى ، أنهى قضـــية العناية الجغرافية بالتوصيف المجرد ٠ بل قل انتهى تصوير الرؤية الجغرافية والتعبير عنها تعبيرا سطحيا وجامدا ٠ وهذا فى حد ذاته أهم الدواعى التى ألزمت الاجتهاد الجغرافى العلمى ، بالبحث عن أبعاد جـــديدة أو أسلوب عمل جغرافى أفضل ، من أجل :

( أ ) حسن عرض الرؤية الجغرافية ، واجادة التعبـير العلمى الجغرافى الصادق عنها ٠

(ب) تعميق وحسن اســـتيعاب وتفهم الرؤية التى تستوعب المنظور الجغرافى الواضح ، فى صعيد المساحة المعنية ٠

وهذا من غير شك توجه هادف الى الانجاز الجغرافى الأفضـــل ٠ ولم يكن هذا التوجه الهادف ، يعنى أهم من التمعن الجيد ، فى مكونات أو فى نسيج الرؤية الجغرافية ٠ كما يعنى الاقدام على معالجة جغرافيـــة ، تتجاوز الوصف الجغرافى الى آفاق جديدة من خـــلال المهـارة الجغرافية فى الحـل والتركيب ٠ ولقد جاوب البحث الجغرافى هذه العناية ، التى كشفت النقاب

عن ارادة أو عن تطلع هـذا التوجه الجغرافى الجيد ، الى الاضافة أو الى التجديد .

وقل أن هذه العناية الجغرافية ، فى ثوبها الجديد ، هى التى أعلنت عن جوهر أو لب ، أو عن حقيقة الهدف الجغرافى ، الذى تبناه علم الجغرافية وعمل من أجله ، لحساب الفكر الجغرافى الحديث . وسواء كان البحث الجغرافى من أجل دراسة الظاهرة الجغرافية الطبيعية متفردة ، أو وهى فى اطار الرؤية الجغرافية للواقع الطبيعى ، أو كان البحث الجغرافى ، من أجل دراسة الظاهرة الجغرافية البشرية متفردة ، أو وهى فى اطار الرؤية الجغرافية للواقع البشرى ، أو كان البحث الجغرافى أعم وأشمل ، من أجل دراسة جغرافية شاملة تجمع بين رؤية الواقع الطبيعى على وجه ، ورؤية الواقع البشرى على الوجه الآخر ، التزم الاجتهاد الجغرافى العلمى ، التزاما جادا ، بتمحيص وتأمل وعناية جغرافية جديدة . وكان حقا عليها أن تتفتح وتتنور ، حتى تتجاوز حدود الوصف الجغرافى ، مهما كان معبرا عن الصدق والموضوعية ، الى أبعاد جديدة تحدث البحث وتنعشه ، حتى يخوض الاجتهاد الجغرافى فى أعماق جغرافية جديدة ، تجاوب الهدف الجغرافى وتطاوع تطلعاته .

وارتكز هذا التجاوز الذى أخرج البحث الجغرافى من الوصف الجامد المجرد ، على ثلاثة أبعاد هامة . بل قل أنها أبعاد جوهرية أو اساسية من وجهة النظر الجغرافية . وتقود هذه الأبعاد الأساسية مسيرة المعالجة أو الدراسة أو البحث ، أو قل هذا التوجه الجديد ، فى الاتجاه الجغرافى الصحيح . بل قل أنها هى التى توجه البحث الجغرافى ، فى الوجهة الموضوعية التى تجنب الباحث جمود الوصف . ثم هى التى تحمله على متابعة الدراسة ، على نحو جديد ، يجاوب الهدف الجغرافى . ثم هو الذى يفضى — فى نهاية الأمر — الى تعميق الرؤية الجغرافية ، على كل المستويات ، حتى تنجز أو تقدم شيئا مفيدا ، لحساب الهدف الجغرافى العلمى .

وتمثلت هذه الابعاد الأساسية ، التى أسفرت عن دراسات جغرافية جادة ، ذات معنى ومغزى ، أو أسفرت عن بحوث جغرافية جيدة ، ذات مضمون ، فى :

**أولا — توزيع الظاهرة الجغرافية المعنية :**

وتوزيع الظاهرة الجغرافية المعنية ، سواء كانت هذه الظاهرة طبيعية أو بشرية ، يعنى بالضرورة ، توزيعا أفقيا فى ربوع المكان . ويسجل هذا التوزيع الأفقى ، متابعة الباحث الجغرافى ، وهو يتابع هذه الظاهرة المعنية ،

على صعيد المساحة المعنية • بل قل أن هـذا التوزيع الذى تنتهى اليـه أو الذى تسفر عنه المتابعة الجغرافية أو الرصد الجغرافى الدقيق ، يجسد مبلغ انتشار الظاهرة الجغرافية انتشارا واقعيـا ، فى ربوع وأنحـاء المساحـة المعنية •

ويكون الوصف الجغرافى هو الوسيلة التى تعبر عن هـــذا التوزيع الجغرافى • وقل يمضى هـــذا التوصيف الذى يجب أن يتحلى بكل الـدقة والصدق ، لكى يعبر عن هذا التوزيع ، أو يبين ملامح الانتشار على امتداد المستوى الأفقى ، فى المكان والزمان • وينبغى أن يتجنب حشد هذا الوصف الجغرافى الدقيق ، الذى يعبر عن اتجاهات التوزيع الأفقى للظاهرة الجغرافية المعنية ، ما يلى :

أ - الخلط الذى يشوه وتضيع فى زحمته الموضوعية الجغرافية البينة•

ب - المبالغة التى تفتـح أبواب الادعاء والـكذب والبحث عن دواعى الاثارة •

ج - كل دواعى أو موجبات التشويه ، أو التعتيم التى تغطى عـلى الصدق والوضوح والموضوعية الجغرافية •

ومن أجل وضوح الرؤية الجغرافية ، كما ينبغى أن يعبر عنها الوصف الجغرافى ، الذى يتعقب توزيع الظاهرة الجغرافية المعنية ، على صعيد المساحة من الأرض ، ومن أجل حسن البيان والكتابة والتعبير بالكلام عن صـــور التوصيف الجغرافى ، الذى يتابع انتشار الظاهرة الجغرافيـــة المعنية ، فى المكان والزمان ، يوظف الاجتهاد الجغرافى العلمى الخريطة الجغرافية • ويثبت الاجتهاد الجغرافى من خلال الخبرة أو المهارة المتخصصة ، فى اعداد الخرائط هذا التوزيع على خريطة المســاحة المعنية • كمـا يستخدم الرسم البيانى ، استخداما جيدا ، لكى يشارك هذا الرسم فى وضوح وبيـــان هذا التوزيع الجغرافى ، على صعيد المساحة المعنية •

وهناك أساليب فنية ومهارات متنوعة ، أجاد الاجتهاد الجغرافى العلمى ابداعها ، أو ابتكارها ، وحسن توظيفهـــا ، لحساب الوضوح ، فى هـذا التوزيع الجغرافى • وقد أجاد بموجب حسن استخدام هـــذه الوســـائل والأساليب ، حسن البيان والتعبير الوصفى ، وهـو الذى ينطق بالصـدق الموضوعى الهادف ، عن توزيع الظـــاهرة الجغرافية المعنيـة ، فى المـكان والزمان • هذا ، وينبغى أن تكون فى صحبة أو فى معية هـذه الأســاليب

كلها ، العين الجغرافية التى تعاين وترقب عن كثب ، أو التى تشاهد وترى عن قرب ، هذا التوزيع الجغرافى • بل قل ينبغى أن تكون هـــذه العين الجغرافية واعية وحساسه وماهرة ومدققة •

ويوظف الاجتهاد الجغرافى الرحلة الجغرافية ، التى قلنا أنها باتت ، فى اطار العمل الجغرافى ، متخصصة فى الهدف وفى القيادة • وأصبحت الرحلة الجغرافيـــة ، وكأنها العين الجغرافيـــة المبصرة • وتخرج الرحلة الى الميدان أو الى الحقل ، وهى العين التى لا تغفل عن معاينة المنظور الجغرافى ، فى المكان والزمان • وتتجول الرحلة الجغرافية فى ربوع المساحة المعنية ، وهى تتابع التوزيع ، وتتعقب الانتشار ، على المستوى الأفقى • وقل أنهـا لا تخذل الباحث الجغرافى أبدا ، فى أداء المهمة الجغرافية ، وهـو يتحسس هذا التوزيع الجغرافى • بل قل أنها هى التى تجاوب على كل استفسار عن هذا التوزيع الجغرافى ، على صعيد المساحة المعنية •

ويبـــدو أن الباحث الجغرافى يعرف جيـــدا ، كيف يستثمر الرحلة الجغرافية ، على صعيد المساحة المعنية • ويصبح الباحث الجغرافى بنـاء على المعاينة أو المشاهدة ، أو المتابعة ، وهو يتعقب أحـوال الظاهرة الجغرافيـــة المعنية ، فى حاجة ملحة لمعرفة الكيفية التى يتأتى بموجبها هذا التوزيع ، أو هذا الانتشار على المستوى الأفقى ، فى ربوع الميدان • وان شئت قل أنه يعتمد فى حسن الاجابة ، عن السؤال الذى يقول : كيف يتأتى هذا التوزيع على المستوى الأفقى ؟ على هذه المعاينة • ومن ثم يضمن أفضل وصف ، وهو يعبر عن هـــذا التوزيع الجغرافى ، للظاهرة الجغرافيـــة المعنية ، فى ربوع المكان والزمان • بل قل أن الباحث الجغرافى لا يعود من الرحلة الجغرافيـــة الا بعد أن يتزود برؤية جيـــدة ، تجسد له أبعـــاد المنظور الجغرافى فى الميدان ، تجسيدا واضحا •

ولا بداية فى دراســـة الظاهرة الجغرافية المعنيـــة ، الطبيعية ، أو البشرية ، على أى مستوى وفى أى ميدان ، من غير الاحاطة بهـــذا التوزيع الجغرافى ، الذى يعبر عنه الوصف الجغرافى تارة ، أو الذى تصوره الخريطة الجغرافية تارة أخرى • وهذا معناه أنه لا اعتراض عـلى الوصف الجغرافى أبدا ، ولكن يشترط أن يكون هذا الوصف صادقا بكل المقاييس ، ومنزها عن الخلط أو التعتيم • واذا كان هناك اعتراض حقيقى يتبناه عام الجغرافية ، فانه يتمثل فى التوقف فى الدراسة الجغرافية ، عند حد الوصف الجغرافى للظاهرة الجغرافية المعنية •

ولا يعنى التوقف عند حد الوصف الجغرافى شيئا ، غير الجمود • كما يعنى امتناع العمل الجغرافى عن مباشرة مشوار التوجه الصحيح ، الى الهدف الجغرافى الحقيقى ، كما أراد له الفكر الجغرافى الحديث أن يكون • وهـــذا معناه أن الوصف الجغرافى الذى يعبر عن التوزيع مهم ، ولكنه لا يمثل الا المقدمة ، أو التمهيد من أجـل الاقتراب من لب أو جـوهر العمـل الجغرافى الصحيح • ومن بعد هذه المقدمة يكون الانتقال الى متابعة الظاهرة الجغرافية المعنية ، من خلال الاجابة على الســؤال ، الذى يقول « لمـاذا جاء التوزيع الجغرافى فى المكان والزمان ، على هـــذا النحو ، الذى يعبر عنـه الوصف الجغرافى ؟ » •

**ثانيا ـ تعليل توزيع أو انتشار الظاهرة الجغرافية :**

متابعة التوزيع العام أو التوزيع الخاص ، وهـــو الذى يعبر عن مبلغ انتشار الظاهرة الجغرافية الطبيعية أو الذى يعبر عن مبلغ انتشار الظاهرة الجغرافية البشرية ، على المستوى الأفقى ، فى ربوع المساحة المعنية ، يجسد الصورة الجغرافية ، فى المكان والزمان • ورؤية الصــورة الجغرافيــة ، من خلال المعاينة ، ثم من خلال الوصف الجغرافى الجيد ، يعنى أن هذا التوزيع الجغرافى ، يعبر عن هـــذا المنظور الجغرافى تعبيرا جامدا وصــــامتا ، لأنه لا ينطق بشىء •

ومن ثم ، قل أن التوزيع الجغرافى وحده ، مهما كان معبرا وصادقا ، لا يكاد يفضى بشىء جوهرى ، يجاوب الهدف الجغرافى • وقل أيضـــا أنه لا يكاد ينتهى الى نتيجة موضوعية جادة أو مجـــدية ، لحســـاب الهـــدف الجغرافى • ولا شىء يكون فى مصلحة الهدف الجغرافى ، غير انهاء الجمـــود والتوقف عند حد التوزيع والوصف الجغرافى • ولا شىء ينهى هذا الجمود ، أو يفض هذا التصوير الجغرافى الصامت ، غير المضى قدما ، بحثا عن تفسير مناسب ، أو تحليل مقبول ، يفسر أو يحلل ويعلل ، ثم يبرر هذا التوزيع الجغرافى ، فى ربوع المساحة المعنية ، فى المكان والزمان •

ومثل هذا التفسير يكون وكأن الظاهرة الجغرافية المعنية ، تتحدث عن موجبات انتشارها الأفقى • بمعنى أنها لا تسكت ، بل تقلع عن الجمـــود والصمت وتتكلم عن مبررات وجـــودها وانتشارها على المستوى الأفقى • والبحث عن مثل هذا التفسير ، بحث حيوى ، لحساب الهدف الجغرافى • وهو الذى يضع الاجتهاد الجغرافى العلمى فى مواجهة المسئولية عن تحليل وتعليل وتبرير التوزيع الجغرافى ، أو الانتشار ، على المستوى الأفقى • ولا

ينبغى أن يتهرب الاختهـــاد الجغرافى العلمى من هـــذه المسئولية ، حتى لا يخـل البحث والتوجه السديد ، الى الهدف الجغرافى ٠

وقل أن هذا النفسير الجغرافى يستحق الاهتمام والعناية الجغرافية ٠ ويبتنى هذا التفسير بالضرورة على محصلة سعة الاطلاع والاحاطة وحسن استيعاب نتائج العلوم الانســـانية ، لتعليل أو لتحليل انتشـــار الظاهرة الجغرافية البشرية المعنية ٠ ويبتنى هذا التفسير أحيانا أخرى ، على محصلة سعة الاطلاع والاحاطة وحسن استيعاب نتائج العلوم الطبيعية ، لتعليل أو لتحليل انتشار الظاهرة الجغرافية الطبيعية المعنية ٠ ومن خلال هذا التفسير وحسن الوصول اليه ، يعرف الاجتهاد الجغرافى كل شىء ، عن موجبـــات هذا الانتشار الأفقى ، وتوزيع الظاهرة الجغرافية المعنية توزيعا أفقيا ، على صعيد المساحة المعنية فى المكان والزمان ٠

وتبدو حاجة الباحث الجغرافى الى تقصى الأســـباب والدواعى ، التى تكون من وراء الرؤية أو الصورة الجغرافية غاية فى الأهمية من أجل تعميق البحث ٠ وينبغى أن يجيد الاجتهاد الجغرافى تعقب مسئولية هذه الأسباب عن توزيع الظاهرة الجغرافية المعنية ، فى ربوع الأرض أو المساحة المعنية ٠ ومن ثم لا يجوز اهمال هذا التفسير الجغرافى ، أو التهاون فى حسن عرضه جغرافيا أو التفريط فيه ٠ بل قل يتحمل الباحث الجغرافى مسئولية العثور على القاعدة العلميـــة ، التى تضبط التـــوزيع الجغرافى ، أو التى ينضبط بموجبها الانتشار على المستوى الأفقى ٠ كمـــا يتحمـــل الباحث الجغرافى أيضا ، مسئولية تفسير الاستثناء ، ومظاهر الشـــذوذ فى هـــذا التوزيع الجغرافى ، على صعيد المساحة المعنية ٠

وفضلا عن حشد الأسباب الوجيهة ، واضافة الى حسن بيان المبررات والدواعى ، التى تفسر التوزيع الجغرافى وتعلل الانتشار العام ، ومواضـــع الشذوذ ، عـــلى المستوى الأفقى ، يوظف الباحث الجغرافى مهـــاراته فى التحليل ، توظيفا مناسبا من أجل تعميق هذا التحليل ٠ وقل انه يكون فى حاجة لبيان مبلغ انضباط التوزيع مـــع القاعدة ، أو مبلغ الخروج عن هـــذه القاعدة الجغرافية ٠ بل قل أنه ينبغى أن يتحرى الصدق والتدقيق وسلامة التعليل ، بكل ما أوتى من حسن البيان والمهارة فى توظيف نتائج العلوم الطبيعية أو البشرية ، فى حسن صياغة هـــذا التعليل الجغرافى ، أو فى حسن بيان وتعبير التفسير العلمى الجغرافى ٠

وينبغى أن تجيد الخبرة الجغرافية المهارات التى تبتنى عليهـــا القواعد

الجغرافية العامة ، للتوزيع الجغرافى • كما ينبغى أن تملك الخبرة الجغرافية القدرة ، على استشعار فعل العوامل الطبيعية أو العوامل البشرية ، وهى تفسر التوزيع الجغرافى ، أو وهى تحلل الرؤية الجغرافية • بمعنى أن يحسن الاجتهاد الجغرافى ، أو أن يتقن حسن استشعار مسئولية بعض نتائج العلوم الطبيعية أو بعض نتائج العلوم الانسانية ، التى تصطنع القواعد الجغرافية الحاكمة للتوزيع فى اطار الرؤية الجغرافية ، فى المكان والزمان • وفى وسع الخبرة الجغرافية ، أن تمتلك الرصيد المناسب من هذه النتائج العلمية البحتة لكى تسعف التفسير الجغرافى ، وحسن بيانه • ويكرس الاجتهاد الجغرافى كل ما فى الجعبة من رصيد مناسب ، اضافة الى كل المهارات التى يتحلى بها ، وهو فى رحلة الدراسة الجغرافية الميدانية من أجل :

( أ ) استشعار أو ادراك فعل العوامل الطبيعية أو العوامل البشرية ، ومبلغ تأثيرها على صيغة القواعد الجغرافية الحاكمة للتوزيع ، فى المساحة المعنية •

(ب) استشعار أو ادراك الكيفية التى تتداخل بموجبها دواعى التوزيع والانتشار ، على صعيد المساحة المعنية ، لكى يتأتى التوزيع الجغرافى ، ويبدو كما ترصده العين الجغرافية الواعية •

وهذا معناه أن يعرف الباحث الجغرافى ، وهو فى رحلة الدراسة الجغرافية الميدانية ، كيف يعاين التوزيع الجغرافى ، وكأنه يقرأ فى كتاب مفتوح • وقل لا ينبغى أن يعود من هذه الرحلة الجغرافية ، الا وقد أمسك بزمام التفسير الجغرافى • وان شئت قل أن هذا هو فقط السبيل الذى يعتمد عليه حسن التفسير الجغرافى • بل قل أنه هو الذى يسدد حسن الاجابة عن الاستفسارات ، التى تسأل عن دواعى أو موجبات التوزيع الجغرافى ، فى المساحة المعنية •

وانجاز هذا التفسير الجغرافى للتوزيع ، الذى يبتنى أصلا على تحليل الرؤية الجغرافية لانتشار الظاهرة الجغرافية المعنية ، يمثل خطوة مناسبة فى اتجاه البحث نحو الهدف الجغرافى • وقل أن هذه الخطوة التى تنهى مهمة الاجتهاد الجغرافى ، والتزامه بالبحث عن التفسير الجغرافى ، تضعه فى الوضع الصحيح أو الاتجاه الصحيح • ذلك أنه لا يتوقف عند هذا التفسير الجغرافى ، لكى تكون النهاية التى ينتهى اليها البحث الجغرافى • بل قل ينبغى أن يبدأ الاقدام الجغرافى على اتمام المسيرة ، اتماما يحقق أو يجاوب

الهدف الجغرافى ، أو اتماما يكتمل بموجبه البحث الجغرافى ٠ وخطوة ثالثة يلتزم بها هذا الاقدام الجغرافى ، تكون ضرورية ، من أجل الوصول الى كل ما ينبغى ، أن يجاوب الهدف الجغرافى ٠

وتبتنى هذه الخطوة الثالثة ، على أساس أن الظاهرة الجغرافية المعنية ، التى يعكف الباحث الجغرافى على رصـــد وتسجيل توزيعها عـلى المستوى الأفقى ، ثم يعكف على تفسير هذا التوزيع أو الانتشار ، ليست هى الظاهرة الجغرافية الوحيدة ، على صعيد المساحة المعنية ٠ وقل أنه ليس فى وســع الباحث الجغرافى أن يعزل هذه الظاهرة عزلا قاطعـــا الصلة بينهـا وبين الظاهرات الجغرافية الأخرى ٠ بل قل وكيف يتسنى هذا العزل والظاهرة الجغرافية المعنية متداخلة فى منظومة منسقة ومنسجمة ، فى اطار المنظور الجغرافى العـــام ، على صعيد المســاحة المعنية ؟ ومن ثم يستوجب البحث الجغرافى الاقدام الجغرافى على الخطوة الثالثة ٠ وفى هــذه الخطوة الثالثة ، تكون الاجابة عن الاستفسار الذى يسأل عن العلاقة بين الظاهرة الجغرافية المعنية ، وكل الظاهرات الجغرافية الأخرى ، فى منظومة الرؤية أو المنظور الجغرافى على صعيد المساحة المعنية ، فى المكان والزمان ٠

## ثالثا ـ تقصى العلاقة والربط بين الظاهرة المعنية والظاهرات الأخرى :

تقصى حقيقـــة العـــلاقة بين الظاهرة الجغرافيـة المعنية من ناحية . والظاهرات الجغرافية الأخرى فى المنظور الجغرافى من ناحية أخرى ، يكون هو الشغل الشاغل الذى يهم الباحث الجغرافى ٠ ويجسد هـــذا الاهتمام الجغرافى معانى الربط الايجابى أحيانا ، أو السلبى أحيانا أخرى ، فى اطار المنظومة التى تجمع بين كل المكونات الجغرافية ، لصورة المنظور الجغرافى ٠ على صعيد المساحة المعنية ٠ وبناء على هذا الربط وتقصى العلاقات فى المكان والزمان ، يتوجه البحث الجغرافى توجهـــا سديدا ، الى ما يبتغيه ويتطلع اليه الهدف الجغرافى ، فى نهاية المطاف ٠

وفى هذه المرحلة الحاسمة ، التى تفضى الى الهدف الجغرافى ، يتلمس الاجتهاد الجغرافى ، دواعى العلاقة ٠ وكيف تؤدى الى شكل بديع من أشكال الربط بين الظاهرات الجغرافيـــة الطبيعية والبشرية ، على صـعيد المساحة المعنية ٠ كما يلتمس الاجتهاد الجغرافى نتائج هذا الربط وفعل العلاقات ، فى اطار الرؤية الجغرافية الشاملة ، للواقع الجغرافى الـكلى الســائد ، فى المكان والزمان ٠ وهذا الربط سواء كان ايجابيـــا ، أو كان سلبيا ، هــو الذى يجمع الأجزاء وينسق فيما بينهـــا ، ويؤلف من الظاهرة الجغرافيـة

المعنية مع سائر الظاهرات الجغرافية الطبيعية والبشرية الأخرى ، الصورة في المنظور الجغرافي • وقل أنه هو الذى يبتنى ذلك الترابط بين الأجزاء لكى يتكامل الواقع الجغرافي الكلى المتكامل ، في الرؤية الجغرافية ، على صعيد أو في ربوع المساحة المعنية •

ويهيىء هذا الربط والوقوف على موجبات العلاقة أو العلاقات ، الحكم الجغرافي السديد ، على الكيفية التى تتداخل بها الظاهرات الجغرافية الطبيعية والبشرية ، تداخلا منضبطا ، في صلب توليفة المنظور الجغرافي ، وفضلا على ذلك كله ، يهيىء هذا الربط وتقصى العلاقات الفرصة ، التى يضع فيها يد الاجتهاد الجغرافي على :

( أ ) الكيفية التى يتأتى بموجبها التأثير المتبادل ، بين الظاهرات الجغرافية الطبيعية والبشرية المتعددة والمتنوعة ، في المنظور الجغرافي العام على صعيد المساحة المعنية •

(ب) الكيفية التى يتأتى بها التغيير الذى ينال من ظاهرة جغرافية معينة ، حتى تتوالى المتغيرات وتتمثل ردود فعلها المباشر وغير المباشر ، في مجموعة العلاقات في منظومة الربط الشامل ، وتكوين المنظور الجغرافي العام المتغير ، من عصر الى عصر آخر استجابة لفعل المتغيرات •

ومن خلال هذا الربط ، يجنى البحث الجغرافي ثمرات العلاقات الجغرافية ، بين مكونات المنظور الجغرافي • ويتوصل الباحث الجغرافي بالضرورة من خلال هذه العلاقات الجغرافية ، الى أهم القواعد الجغرافية العلمية الحاكمة ، أو التى يستجيب لها توزيع وتفسير انتشار الظاهرة الجغرافية المعنية ، في المكان والزمان • كما يتوصل الباحث الجغرافي أيضا الى ادراك واستيعاب فعل المتغيرات ، التى تتغير بموجبها دواعى وموجبات هذا التوزيع الجغرافي ، على صعيد المساحة المعنية ، من عصر الى عصر آخر •

وهذا ، في حد ذاته توصل جغرافي مهم ، لا ينبغى اهماله أو التفريط فيه • وهو يضيف نتيجة حاسمة جغرافيا • بل قل أنها نتيجة مجدية لحساب الهدف الجغرافي • ومن يجيد هذا الربط ، ويحسب حساب العلاقات يكون في وسعه ، أن يطالع على صفحة الأرض في المكان والزمان ، ويتعقب ظاهرة جغرافية معينة ، يبدأ من عندها وعلى أساس توزيعها ، تصور جغرافي بديع • ويكشف هذا التصور الجغرافي البديع عن أبعاد الواقع الجغرافي المتغير في المكان والزمان ، وكأن الجغرافي يقرأ في كتاب مفتوح •

وفضلا عن رصد هذه العلاقات ، التى تصور التداخل بين الظاهرات الجغرافية الطبيعية والبشرية ، ويبدو وكأنه اختلاط كما تختلط الألوان ، فى الصورة الزيتية ، يتبين الباحث الجغرافى ، مبلغ لزوم أو توقع هـــذا التداخل وتأثيره المتبادل ، ومبلغ انضـباطه ، فى المنظور الجغرافى الكلى . وهنا يكون التحلى بالمهارة الجغرافية فى الدراسة التحليلية ، مطلوبا حتى يتسنى للباحث الجغرافى أن يتعقب هذه العلاقات ، وأن يتبين نتائجها ، فى الرؤية الجغرافية الكلية ، على صعيد المساحة المعنية .

وقل أن الوصول من خلال التحليل والربط الى جوهر أو الى كنه هذه العلاقات الجغرافية ، يرسخ أحيانا ، أو يبتنى أحيانا أخرى بعض القوانين الجغرافية . ولا تكاد تضل هذه القوانين الجغرافية . بل انها لا تكذب ولا تضلل الباحث الجغرافى أو تخذله ، وهو يتوجه نحـــو الهدف الجغرافى . ومن ثم يرى الباحث الجغرافى فى هـــذه القوانين الجغرافية ، شيئا مهمـا يستحق العناية . وتتخذ هذه القوانين فى تقديره الجغرافى :

( أ ) صفة الضوابط الحاكمة لوجود ، أو لتوزيع ، أو لانتشار الظاهرة الجغرافية المعنية ، فى المكان والزمان .

(ب) صفة البيان الصريح الكاشف ، عن التأثير المتبادل أو عن الضبط والانضباط المتبادل ، بين الظاهرات الجغرافيـــة الطبيعيـــة والبشرية ، فى المكان والزمان .

**المعالجة وتجسيد الرؤية الجغرافية :**

هذا ، ومن خلال **التوزيع** ، **والتعليل** ، **والربط** ، يعلن الاجتهاد الجغرافى العلمى عن المهارة ، فى كل مجال من مجالات ، تناول أو معالجة ، أو دراسة وتقصى حقيقة الظاهرة الجغرافيـــة المعنية ، أو حقيقة الموضـــوع الجغرافى المعنى . وقل أن التوزيع والتعليل والربط على التوالى ، هو الذى يصطنع الأبعاد التى تحتوى رؤية ، الظاهرة الجغرافية أو الموضوع الجغرافى ، حتى تلقى عليه الأضواء من كل جانب ، وتكفل غاية ما يرنو اليـــه الوضـــوح الجغرافى . وهذا الاحتواء هو الذى يثرى البحث الجغرافى بصفة عامة . وهو الذى يعمق أهم المفاهيم الجغرافية . وهو الذى يجمع أوصال المدركات الجغرافية ، التى تتداخل حتى يتحقق حسن التصوير ، ووضوح التعبير ، وعمق البيان الجغرافى الصريح ، فى المكان والزمان .

وبناء على هذا الأسلوب ، ينساب العرض الجغرافى انسيابا علميـــا

منضبطا . ويتقن الاجتهاد الجغرافى بهذا الأسلوب ، آداء المهام المنوطة به فى البحث الجغرافى ، وصـولا الى جوهر الحقيقـة الجغرافية العلميـة فعلا ، لحساب الهدف الجغرافى . وهـذا هو الاعـلان الصريح عن حسن توظيف مهارات الاجتهاد الجغرافى العلمى ، استجابة لمنطق ولفلسفات الفكر الجغرافى الحديث . ويكون حسن التوظيف لحساب العمل الجغرافى على مستويين هما:

( أ ) التحليل الذى يجيد تفكيك أوصـال **الرؤية الجغرافية** ، حتى يتعرف على مكوناتها ، وعلى تداخل هذه المكونات فى نسيجها أو فى تركيبها الهيكلى الجغرافى .

(ب) التركيب الذى يجيد جمع ولم شمل أوصـال ومكونات **الرؤية الجغرافية** ، حتى يتعرف على دواعى وموجبات تجميع وصياغة وتنسيق هذه المكونات فى تركيبها الهيكلى الجغرافى ، فى المكان والزمان .



الفصل الرابع

# علم الجغرافية الحديثة وقضايا تحديد المكان والزمان

- تمهيد
- ارتباط المعالجة الجغرافية بالمكان والزمان
- التوجه الجغرافي لتحديد المكان
- العناصر الجغرافية وحبكة الاطار الاقليمي فى المكان
- التوجه الجغرافى لتحديد الزمان
- العناصر الجغرافية وقضى التغيير على امتداد البعد الزمنى فى المكان والزمان



# الفصــل الرابع

## علم الجغرافية الحديثة وقضايا تحديد المكان والزمان

استوجبت المرونة الجغرافية العلميـــة فى تحـديد المـكان والزمان ، انسلاخ العمل الجغرافى من السرد التاريخى . ومن بعد هــذا الانسلاخ ، الذى أدخل العمــل الجغرافى فى ثوبه العلمى ، أو الذى كشف الغطــاء عن أبعاد الاطار العلمى ، أو الذى هيأ دواعى وتوجهات صياغة الهدف الجغرافى العلمى ، كانت الاجتهادات الجغرافية التى حاورت وجادلت فى قضية تحديد المكان والزمان ، لحســاب العمــل الجغرافى . ولم يتناول هــذا الجـدال خصوصية هذا التحديد فقط ، بل قل انه كان جدالا فعالا ، اهتم بأبعــاد المرونة المطلقة ، التى ينبغى أن يتحلى بها هذا التحديد .

### ارتباط المعالجة الجغرافية بالمكان والزمان :

توجـــه البحث الجغرافى وانجازه ، كمـــا أراد له الفـــكر الجغرافى الحديث ، أن يكون ، وهو أمانة غالية فى عنق علم الجغرافية ، قد استوجب العناية بالظاهرة الجغرافية أحيانا ، أو بالموضوع الجغرافى أحيانا أخرى فى المكان ، وفى الزمان . وليس من الجغرافية فى شىء ، أن تجرى الدراســة أو أن يجرى البحث الجغرافى ، دون الارتباط بالمكان وبالزمان . والمـكان على صعيد الأرض ، هو الذى يجســد المسرح الجغرافى . والزمان هو الذى يحدد المدى ، الذى تجرى فيه حركة الأحداث على المسرح الجغرافى .

وسواء كانت الظاهرة الجغرافيــة طبيعية أو بشرية ، وســـواء كان الموضوع الجغرافى طبيعيا أو بشريا ، فلابد من أن تكون الدراسة الجغرافية ، فى المكان ، وفى الزمان . بمعنى أن العناية الجغرافية ، لا يمكن أن تتأتى ، دون تحديد واضح ، يحدد أبعاد المــكان والزمان . وقل لا يصلح البحث الجغرافى أبدا ، الا فى اطار واضح ، يصنع أبعاده المكان والزمان . بل قل أن الدراسة الجغرافية ، التى تنجز بحثا جغرافيا طبيعيا أو بشريا ، لاينبغى أن تتجرد ، من تحديد المكان تحديدا قاطعـــا ، وحساب الزمان حســابا صحيحا .

وتحديد المكان القاطع ، يكون على صعيد مساحة من الأرض • وحساب الزمان ، يكون على أساس مرور الوقت • وتحديد المكان ، وحساب الزمان، هما معا اللذان يصطنعان الحبكة ، التى ينبغى أن تحتوى البحث الجغرافى • ويجسد تحديد المكان حبكة الوجود فى المكان • ويجسد حساب الزمان حبكة الوجود ومتغيراته مع مرور الزمان • والتجرد من تحديد المكان ، أو من حساب الزمان ، يعنى انعدام الحبكة • وقد يعنى الخروج على موجبات هذه الحبكة ، وهى التى يحرص عليها التوجه الجغرافى العلمى ، الى الهدف الجغرافى الصحيح •

ومن وجهة النظر الجغرافية ، لا يجوز أبدا التجرد من تحديد المكان أو من حساب الزمان ، حتى لا نفتقد مع انعدام الحبكة الجغرافية ، أواصر الصلة أو العلاقات الحميمة ، بين :

( أ ) الظاهرة الجغرافية المعنية أو الموضوع الجغرافى ، فى الوضع المناسب على صعيد الأرض •

(ب) الأرض ومسرح الحياة وهو يشهد حركة الحياة الانسانية وفعل المتغيرات التى تتوالى مع حركة الزمان •

وقل كيف ولماذا يكون ، أو يجوز هذا التجرد من تحديد المكان ، ومن حساب الزمان ، وهو الذى ينتهك أصول وواقعية وصدق التصدى الجغرافى العلمى المستقيم ، للدراسة الجغرافية ، أو لاجراء البحث الجغرافى ؟ بل قل هل يجوز هذا التجرد ، الذى يسقط أو الذى يهمل تحديد المكان وحساب حركة الزمان ؟ وفى الاعتقاد الجغرافى العلمى الصحيح ، أنه أمر غير جائز على الاطلاق • وفى الاعتقاد الجغرافى العلمى أيضا ، أن هذا التجاوز هو الذى يخرج البحث الجغرافى عن الاتجاه الصحيح ، ويفقده صدق الانتماء الى العمل الجغرافى العلمى •

**التوجه الجغرافى لتحديد المكان :**

ولا تكون الدراسة الجغرافية دراسة موضوعية تجاوب الهدف الجغرافى من غير تحديد المكان • وتتبرأ الجغرافية من أى بحث جغرافى ، يجريه الباحث دون تحديد واضح للمكان • وتحديد المكان أمر لازم ولا مفر منه • وهو الذى يحدد أبعاد المساحة المعنية الأنسب ، التى تصنع الاطار ، وتحتوى الدراسة الجغرافية ، سواء توجهت هذه الدراسة الجغرافية الوجهة الطبيعية

أو توجهت الوجهة البشرية · ويمتلك الاجتهـــاد الجغرافى العلمى ، وهــو يجرى البحث الجغرافى ، أو وهو يقدم على انجاز الدراسة الجغرافية ، حــق تحديد المكان والالتزام به ·

وبناء على هذا الحق ، يكون التحديد ، لكى يحتوى المساحة المعنية على أضيق نطاق ، أو لكى يحتوى المساحة المعنية على أوسع نطاق · بمعنى أن فى وسع الباحث الجغرافى ، وهو يملك حق الاختيار ، وحق التحديد ، أن يوسع نطاق المساحة المعنية ، لكى تشمل العالم كله ، أو لكى تشمل قارة من القارات · ويكون فى وسع الباحث الجغرافى أيضــا ، أن يضيق نطاق المساحة المعنية ، لكى تشمل المكان المحدد · وفى جميع الأحوال يجاوب هذا التحديد حاجة وتوجهات البحث الجغرافى ، الى الهدف الجغرافى ·

واتساع النطاق الذى يشمل المساحة المعنية ، على صعيد القارة ، أو على الصعيد العالمى ، أمر هين وسهل ومنوقع · ولا يفتعل هذا الاتســـاع مشكلة علمية ، ولا يثير جدلا جغرافيا · وقل أن وضع المساحة المعنية على هذا النحو الواسع الفضفاض ، يحدد المكان بالفعل · بل قل أنه يصطنع الاطار ، الذى يكفل الحبكة ، التى يتأتى بموجبها اجراء البحث الجغرافى · ومع ذلك يكون البحث الجغرافى أو تكون الدراسة الجغرافية ، فى اطار حبكة المكان على هذا المستوى الواســـع الفضفاض ، مثمرة ، ولــكن دون العمق العلمى المناسب · وربما اتخذت مثل هذه الدراسة الجغرافية ، صفة المسح الجغرافى الشامل ·

ويجنح هذا المسح الجغرافى — فى الغالب — مع اتساع المساحة الى قدر كبير من التعميم والسطحية · بل قل أنه لا يطلق يد الاجتهاد الجغرافى العلمى على صعيد المساحة المعنية الواسعة الفضفاضة ، من أجل تعميق البحث الجغرافى تعميقا كافيا ، وهو يجاوب الهدف الجغرافى · وقد يغلب على هذا الانجاز الوصف الجغرافى ، ولا تتهيأ الفرصة للتعليل أو للربط · وهـــذا سبب مناسب ، يبرر الطعن فى جدوى البحث الجغرافى ، على مستوى هذا الاتساع الفضفاض فى أحيان كثيرة ·

هذا ، ويثير تحديد المكان الجغرافى ، عـــلى صعيد المســـاحة المعنية المحدودة — على كل حال — قضية حيوية وهامة · ويواجه الاجتهاد الجغرافى هذه القضية الحيوية ، بهدوء ومهارة ، وهو يطلب صياغة الاطار الأنسب ، من أجل تحديد أبعاد المساحة المعنية الأفضل · وقل تصبح هــذه القضية الشغل الشاغل الذى يهم الاجتهاد الجغرافى · بل قل كانت عينه لا تغفل

عن طلب القرار الصحيح ، فى شـأن الحبكة الذى يوفرها الاطار الأنسب ، وهو يحدد المساحة المعنية المحدودة • وفى مثل هـــذه الحالة ، لا يمكن أن يبـــدأ ، أو أن يتأتى الاقدام على اجراء البحث الجغرافى ، قبـل أن يفرغ الاجتهاد الجغرافى العلمى ، من تحديد المكان ، الذى يحتوى المساحة المعنية الأنسب ، ويصطنع من حولها الاطار ، حتى يضمن الباحث حبكة السياق الملتزم ، بالهدف الجغرافى •

ولقد تصدى الاجتهاد الجغرافى لهذه القضية الحيوية ، بالقــدر الذى تستحقه من العناية والاهتمـام ، وتلمس هذا الاجتهـــاد الجغرافى ، الذى نالت هذه القضية اهتمامه ، قبل ولادة علم الجغرافية ، البحث عن الكيفية التى يستوعب بها تحديد المكان ، ويجاوب اهتمامات الباحث الجغرافى – اذا جاز هذا التعبير – • وقل دار البحث حول هذه الاستجابة للباحث الجغرافى على مستويين هما :

( أ ) المستوى الفضــفاض حيث يهتم الباحث ويتنــاول الظاهرة الجغرافية ، فى المساحة المعنية الفضفاضة ، على الصعيد العالمى ، أو عـــلى صعيد القارة كلها •

(ب) المستوى المحــــدود ، حيث يهتم البـــاحث ويتناول الظاهرة الجغرافية على المساحة المعنية المحدودة ، فى ربوع المكان المحدد •

وأثار هذا التصدى للقضية جدلا جغرافيا بالفعل ، بين زمرة المفكرين الجغرافيين • وربما كان الحوار مفيدا ومثيرا ، ولكنه لم يصل الى قرار • بل ولم يكن فى وسع هذا الجدل ، أن يقضى ، أو أن يفضى الى اصــدار القرار الصحيح ، الحاكم فى هذه القضية • وقل أن هذا الجدل وهو جزء من التفكير الجغرافى ، لا يمكن أن يفض الحوار أو ينهيه الى قرار ، قبـل أن يكون علم الجغرافية فى ثوبه العلمى ؛ وحتى تكون كل قواعده العلميـة الأساسية ، التى يبتنى عليها ، مثل هذا القرار •

وتبقى هذه القضية المثيرة ، ويستمر الجـــدل الجغرافى المثير ، عـلى مستوى حيوية وأهمية ، ما ينبغى أن يبتنى عليه اصدار القرار القاطع • فى شأن تحديد المكان ، فى الاطار المحدود • وقل أن حيوية وأهمية هـــذه القضية ، لا تتمثل فقط ، فى تقصى القـــواعد والأسس ، التى يتأسس عليها ، قرار تحديد المكان المحدود ، بل ان جوهر هـــذه القضية ، يكمن – قبل أى شىء آخر – فى ضرورة تجاوز مسألة المرونة ، التى يتحلى بهـــا

الاجتهاد الجغرافى ، ويمارسها بالفعل ، وهو ينتقل بحرية ودون اعتراض من الرؤية الجغرافية فى المكان المحدد ، الى الرؤية الجغرافية الكلية الشاملة فى كل مكان ، لكى يعالج الجغرافى ، أو لكى يتناول ويتدارس الظاهرة الجغرافية المعنية .

وضرورة التجاوز عن منطق هذه المرونة ، دون التفريط فى هذا المنطق السليم ، كان هو وحده الذى يتلمس ويضع المقدمات المناسبة ، لحسم قضية تحديد المكان ، وصياغة الاطار الأنسب للمساحة المعنية . وفى الاعتقاد الجغرافى العلمى بعد نشأة علم الجغرافية الحديثة ، تجلى أنه لا محل للجدل المثير ، حول قضية تحديد المكان ، أو التخوف من تعارض هذا التحديد مع المرونة وحرية الانتقال فى البحث الجغرافى ، الذى يتجاوز هذه الحدود .

ورأى الاجتهاد الجغرافى العلمى ، أن لا وجه أبدا للتناقض أو التعارض العلمى الجغرافى ، بين التحلى بالمرونة بكل ما ينطوى عليه هذا التحلى من معانى ، وما يستوجبه من أداء ، وما يفضى اليه من نتائج جغرافية مفيدة وضرورية فى جانب ، وهذا التحديد الأنسب للمكان وموجباته المنطقية وصياغة الاطار الذى يحتوى المساحة المعنية فى جانب آخر . بمعنى أنه قد تبين للاجتهاد الجغرافى العلمى ، أنه لا تثريب أبدا على حسن توظيف هذه المرونة ، رغم تحديد حبكة المكان ، لكى ينتقل الباحث انتقالا منطقيا وضروريا ، وهو يتناول أو وهو يتدارس الظاهرة الجغرافية المعنية ، على مستوى حبكة المكان المحدود ، الى تناول ودراسة نفس هذه الظاهرة ، على مستوى حبكة المكان الأكثر اتساعا .

ولقد أفضى الاجتهاد الجغرافى العلمى الذى تصدى بمهارة اعتبارا من النصف الثانى من القرن التاسع عشر لقضية تحديد المكان ، وصياغة الحبكة الجغرافية على المستويات المتفاوتة ، الى تجسيد فكرة الاقليمية . بل قل وضعها هذا الاجتهاد الجغرافى ، فى شكلها العلمى القاطع ، الذى لا يجوز الطعن فيه . ويبدو وكأن هذا الحسم ، قد استلهم فكرة الاقليم من العودة الى ، والاطلاع على ، التراث الجغرافى العريق فى مراحل تاريخية سابقة .

وصحيح أن كتابات بعض المفكرين الجغرافيين ، وفى مقدمتهم بطليموس الجغرافى الاسكندرانى ، قد ذكرت الاقليم صراحة ، فى الكتابة الجغرافية ، وفى رسم الخريطة الجغرافية . وصحيح أن هناك محاولات فى التقسيم الاقليمى ، قد أقدم عليها بعض المفكرين ، ومنهم الادريسى

الجغرافى العربى • وصحيح أن هذه المحاولات قد برهنت على مبلغ الاستجابة للتوجه الجغرافى الفكرى آنذاك ، الى تغطية العالم كله مرة ، ثم عبرت عن مبلغ التحلى بالمرونة فى الانتقال • من الرؤية الجغرافية المحدودة والمحددة فى المكان ، الى الرؤية الجغرافية الموسعة فى كل مكان ، مرة أخرى • ولكن الصحيح بعد ذلك كله أن هذه المحاولات التى ذكرت فكرة الاقاليم ومارست التقسيم الاقليمى ، قد سارت على درب خاص ، غير الدرب الذى يمضى فيه التوجه الجغرافى العلمى الحديث ، الى تصور ، ثم الى تجسيد فكرة الاقليم والاعتماد عليها(١٤) •

## العناصر الجغرافية وحبكة الاطار الاقليمى فى المكان :

بداية من انجـــازات كارل ريتر ، تبنى الاجتهـــاد الجغرافى العلمى العناية بفكرة الاقليم ، والتقسيم الاقليمى • وابتنى تجسيد فكرة الاقليم ، على ما ينبغى أن يستشعره هذا الاجتهاد الجغرافى ، من مواصفات جغرافية خاصة ، يتفرد بموجبها الاقليم ، الذى يضم المساحة المعنية المحددة • وتميز هذه المواصفات الجغرافية الاقليم ، تميزا جغرافيا قاطعا عن غيره من الأقاليم الأخرى •

وأصبح فى وسع الجغرافى ، وهو على بينة كاملة باستحالة التكرار أو التماثل فيما تسفر عنه عناصر الطبيعة فى المكان ، أو فيما يسفر عنه حضور حركة حياة الانسان فى المكان ، أو فيما ينتهى اليه التفاعل الحيـــاتى بين الانسان والأرض فى المكان ، أن يحدد الاقليم الـــذى يتميز فى الصـــفة الجغرافية • كما كان فى وسعه أيضـــا ، أن يصطنع للاقليم المتميز اطـارا مناسبا ، يحتوى ويحدد المساحة المعنية المتميزة جغرافيا • بل قل أصبح فى وسع الخبرة الجغرافية العلمية ، أن تجعل من الاقليم الذى يتميز جغرافيا فى المكان وحدة تقسيم أساسية • ومن ثم يتأتى تغطية العالم كله ، وتقسيمه الى مجموعة كبيرة من الأقاليم •

---

(١٤) لم يتأسس هذا التوجه القديم أبدا على العناية بالظاهرة الجغرافية التى يتفرد أو يتميز بها الاقليم • وهذا معناه ، أن ذكر الاقليم وهو وارد فى الكتابة الجغرافية ، أو وهو وارد فى الخريطة ، على عهد بطلميوس ، وعلى عهد الادريسى ، لم يكن لكى يعبر صراحة عن رؤية جغرافية صحيحة لمفهوم الاقليم الجغرافى ، كما أراد له الاجتهاد الجغرافى العلمى أن يكون فيما بعد نشأة علم الجغرافية •

الشامى ، صلاح الدين : الفكر الجغرافى . سيرة ومسيرة — الاسكندرية سنة ١٩٨٠ •

وانطلاقا من هذه القاعدة الجغرافية ، يكون التقسيم الاقليمى الجغرافى. ويحدد هذا التقسيم الاقليمى الاطار الواضح ، ويوفر الحبكـــة الحقيقية فى المكان . وقل أنه يحدد هذا الاطار ويحقق الحبكة ، فى ظل تفرد واضح ومتفق عليه ، فى الصفة ، أو فى مجموعة الصفات الجغرافية ، التى تميز الاقليم عن الأقاليم الأخرى . بمعنى أن الاقليم لا يكون اقليما بالفعل ، ويحتوى المساحة المعنية ، على أى مستوى ، وعـــلى أى صعيد ، الا اذا كان متفردا أو متميزا جغرافيا فى صفة معينة ، أو فى أكثر من صفة جغرافية ، طبيعية أو بشرية.

وكأن اكتساب الاقليم الصفة أو مجموعة الصفات الجغرافية التى تميزه ، يمثل مسألة جوهرية ، فى ممارسة التقسيم الاقليمى . ويستوى فى ذلك ، أن تكون هذه الصفة جغرافية طبيعية ، ويفضى اليهـــا عنصر من عنـــاصر الطبيعة ، أو أن تكون هذه الصفة جغرافية بشرية ، ويفضى اليها عنصر من عناصر حركة الحياة وحضور الانسان ، وهى تميز المساحة المعنية ، التى يحتويها الاقليم . بمعنى استحالة تماثل الأقاليم جغرافيا . وبمعنى أن تفرد الاقليم بصفة جغرافية أو بمجموعة من الصفات الجغرافية ، هو الذى يميزه جغرافيا عن الأقاليم الأخرى .

ويتخذ هذا الاجتهاد الجغرافى العلمى من خواص ومواصفات العنـــاصر الجغرافية الطبيعية ، وفعلها المباشر أو غير المباشر ، التى تشترك فى صياغة صورة أو منظور الواقع الطبيعى ، قاعدة أنسب ، لكى يبتنى عليها تفـــرد الاقليم الجغرافى الطبيعى ، فى صفة جغرافية أو أكثر من صـــفة جغرافية واحدة . ويتأتى بموجب هذا التفرد الجغرافى الطبيعى ، الذى يميز الاقليم الطبيعى عن سائر الأقاليم الطبيعية الأخرى ، تقسيم العالم ، الى مجموعة من الأقاليم الجغرافية الطبيعية . ويبدو للعين الجغرافية ، التى تعاين الواقع الجغرافى الطبيعى فى كل اقليم من هـــذه الأقاليم الطبيعية المتعـــددة ، أنه متميز جغرافيا ، فى مواصفاته الجغرافية الطبيعية .

وصحيح أن العناصر الجغرافيـــة الطبيعية ، التى تتألف من الموقـــع الجغرافى والبنية ، والتضاريس ، والمناخ بكل عناصره المتداخلة ، والوجـــود الحيوى ومحتواه النباتى والحيوانى ، هى التى تكسب الواقع الجغرافى الطبيعى فى الاقليم ، وفى كل اقليم جغرافى طبيعى خواصـــه ومواصفاته الجغرافية الطبيعية . ولكن الصحيح أيضا ، أن نصيب كل عنصر من هذه العناصر ، وهى تفعل ذلك ، أو وهى تشترك فى صياغة الصورة أو المنظور العام الذى يعبر عنه الواقع الجغرافى الطبيعى فى الاقليم الجغرافى الطبيعى ، لا يكاد

يتكرر ، أو لا يكاد يتماثل فعله وتأثيره من اقليم جغرافى طبيعى ، الى اقليم جغرافى طبيعى آخر • ويبتنى على عدم التكرار ، أو على عدم التماثل الجغرافى ، معنى التفرد المتميز • وهذا التفرد المتميز ، هو الذى يفضى فى نهاية الأمر ، الى صياغة الواقع الجغرافى المتميز على صعيد الاقليم الجغرافى الطبيعى ، فى الزمان •

ويتخذ الاجتهاد الجغرافى العلمى ، من خواص ومواصفات العناصر الجغرافية البشرية ، وفعلها المباشر وغير المباشر ، التى تشترك فى صياغة صورة ، أو منظور الواقع البشرى ، قاعدة أنسب أخرى ، لكى يبتنى عليها تفرد الأقاليم الجغرافية البشرية ، فى صفة جغرافية ، أو فى أكثر من صفة جغرافية واحدة • ويتأتى بموجب هذا ، صفة التفرد الجغرافى البشرى ، الذى يميز الاقليم البشرى ، عن سائر الأقاليم البشرية • ومن ثم يكون تقسيم العالم الى مجموعة من الأقاليم الجغرافية البشرية • ويبدو للعين الجغرافية ، التى تعاين الواقع الجغرافى البشرى ، فى كل اقليم من هذه الأقاليم الجغرافية البشرية ، أنه متميز جغرافيا ، فى مواصفاته الجغرافية البشرية •

وصحيح أن العناصر الجغرافية البشرية ، التى تتألف من حضور الانسان وحساب الكم ، وحساب الكيف ، وحساب التوجه الى التعامل مع الأرض ، وتوفير فرص التعايش ، وغير ذلك من أبعاد اجتماعية ، واقتصادية ، وسياسية ، وحضارية ، يفضى اليها ويرتكز عليها وجود الانسان ، هى التى تكسب الواقع البشرى فى الاقليم ، وفى كل اقليم جغرافى بشرى خواصه ومواصفاته الجغرافية البشرية • ولكن الصحيح أيضا ، أن نصيب كل عنصر من هذه العناصر ، وهى تفعل ذلك ، أو هى تشترك فى صياغة الصورة ، أو المنظور العام ، الذى يعبر عنه الواقع الجغرافى البشرى ، فى الاقليم الجغرافى البشرى ، لا يكاد يتكرر ، أو لا يكاد يتماثل فعله وتأثيره ، من اقليم جغرافى بشرى الى اقليم جغرافى بشرى آخر • ويبتنى على عدم التكرار ، أو على عدم التماثل الجغرافى ، معنى التفرد المتميز • وهذا التفرد المتميز ، هو الذى يفضى فى نهاية الأمر ، الى صياغة الواقع الجغرافى المتميز ، على صعيد الاقليم الجغرافى البشرى ، فى الزمان •

هكذا أمن الاجتهاد الجغرافى العلمى ، وحدة التقسيم الجغرافى الاقليمى على الصعيد العالمى • كما تلمس الكيفية التى يبتنى عليها هذا التقسيم ، وهو تكفل التمييز الجغرافى بين الأقاليم ، على كل المستويات • ويرهن هذا الاجتهاد الجغرافى ، على مبلغ العناية بتحديد المكان ، فى مرحلتين هما :

( أ ) فى المرحلة الأولى يحدد الصفة أو الصفات الجغرافية التى يتميز بها الاقليم ، وهو يحتوى المساحة المعنية .

(ب) فى المرحلة الثانية يصطنع من الصفة أو من الصفات الجغرافيــة الاطار أو الحد الاقليمى الواضح ، الذى يحتوى المساحة المعنية ، وهى يتميز جغرافيا .

وبات هذا التقسيم الاقليمى الجغرافى معمولا به ، لحساب تحـــديد المكان ، الذى يضم المساحة المعنية . ومن شأن هذا التقسيم الاقليمى الجغرافى أن يضم مجموعة من الأقاليم الجغرافية الطبيعية ، تغطى كل الأرض عـــلى الصعيد العالمى . كما يضم أيضا مجموعة من الاقاليم الجغرافية البشرية ، تغطى كل الأرض ، على الصعيد العالمى . وتجاوب المساحة المعنية ، فى كل اقليم طبيعى ، أو فى كل اقليم بشرى ، فكرة تحديد المكان لحساب البحث الجغرافى العلمى . ويفصل الحد الطبيعى ، أو الحـــد البشرى ، بين الاقليم الجغرافى ، والاقليم الجغرافى الآخر ، فصلا جغرافيا حقيقيا .

وهذا معناه أن يكون البحث الجغرافى ، على صعيد المساحة المعنية فى الاقليم ، الذى يتفرد أو يتميز طبيعيا ، لكى يجـاوب الحاجـــة الى دراسة الظاهرة الجغرافية الطبيعية ، أو الى دراسة الموضوع الجغرافى الطبيعى . كما يكون البحث الجغرافى ، على صعيد المساحة المعنية فى الاقليم ، الـذى يتفرد أو يتميز بشريا لكى يجاوب الحاجة ، الى دراسة الظـــاهرة الجغرافية البشرية ، أو الى دراسة الموضوع الجغرافى البشرى . وفى اطار هذا التحديد تكون الدراسة الجغرافية سليمة ، أو يكون البحث الجغرافى سليما ، وهـــو يتوجه الى صلب وجوهر الهدف الجغرافى .

وتأسيسا على هذا المنطق الجغرافى المعمول به فى التقسيم الاقليمى ، انطلق الاجتهاد الجغرافى العلمى . أو قل تمادى فى الجمـع بين الواقـــع الطبيعى والواقع البشرى . على صعيد المساحة المعنية ، لكى يكون الواقع الجغرافى الكلى . ومن خلال هذا الجمع ، الذى يؤلف الواقع الجغرافى ، يفلح الاجتهاد الجغرافى فى تحديد المكان فى اقليم متفرد آخر . وأسفر ذلك عن صياغة الاقليم الجغرافى . وهذا الاقليم الجغرافى ، هو الذى يتفرد ، وتتميز مواصفاته ، على صعيد المساحة المعنية طبيعيا وبشريا ، فى وقت واحد . ولا محل للتماثل أبدا ، بين اقليم جغرافى واقليم جغرافى آخر .

ومن ثم يصبح هذا الاقليم الجغرافى ، وحدة كبرى من وحدات التقاسيم

الاقليمية المعمول بها ، لحساب البحث الجغرافى • ويجسد هـــذا التقسيم الاقليمى ، تحديد المكان من خـلال التفرد الطبيعى ، ومن خـلال التفرد البشرى ، فى الزمان • وبناء على هذا التفرد المزدوج ، على صعيد المساحة المعنية ، فى الاقليم الجغرافى ، يكون التميز حاسما • وقد تتشابه الاقاليم الجغرافية تشابها جزئيـا فى بعض الحالات ، ولـكنها أقاليم متميزة دائما ، ولا تتماثل أبدا •

واذا كان التركيب الهيكلى لمفهـــوم الاقليم الطبيعى أو لمفهوم الاقليم البشرى ، يجسد التداخل فى زحمة العناصر الجغرافية الطبيعية أو البشرية ، التى تكسب كل اقليم منهما مواصفاته الجغرافية الخاصـــة ، فان التركيب الهيكلى لمفهوم الاقليم الجغرافى ، يجسد التداخل المركب ، أو التعقيد الشديد فى التداخل ، الذى يجمع فى وقت واحد ، بين العناصر الطبيعية والعناصر البشرية وهى تكسب هذا الاقليم المركب جغرافيا ، خواصه المتفردة • ولا محل أبدا لكى نتصور أن فى وسع الاجتهاد الجغرافى العلمى ، بموجب هذا الجمع والتكوين المركب ، أن يفكك ثم يستخرج من صلب الاقليم الجغرافى ، اقليما طبيعيا واقليما بشريا ، أو أن يجمـــع ويصطنع من الاقليم الطبيعى والاقليم البشرى ، اقليما جغرافيا واحدا •

وقل أن كل تقسيم من هذه التقاسيم الاقليمية ، يبتنى عـــلى أساس قاعدة خاصة • وتكون هذه القاعدة مؤهلة لهذا الغرض ، على النحو الذى يناسب ، كل مستوى من مستويات هذه التقسيمات الاقليمية • بمعنى أن القاعدة المعمول بها ، لحساب تحديد المكان وصياغة الاطار للاقليم الطبيعى أو لحساب تحديد المكان وصياغة الاطار للاقليم البشرى • وخصوصية القاعدة التى يبتنى عليها هذا التقسيم الاقليمى ، فى مستوياته المتفـــاوتة ، تعنى بالضرورة ، خصوصية هذا التقسيم الاقليمى ، عند توظيفه أو استخدامه فى العمل الجغرافى ، أو فى انجاز الدراسة الجغرافية العلمية •

ولم يتوقف الاجتهاد الجغرافى العلمى عند هذا الحد ، فى شأن توظيف التقسيم الاقليمى ، من أجل تحديد المكان • بل لقد تمادى فى البحث عـن بعض أهم موجبات تفاصيل التفرد فى المواصفات الجغرافية • وكان الهدف وضع أو انجاز تقسيمات اقليمية دقيقة أو تفصيلية ، تبتنى على التفــــرد الدقيق فى تفاصيل العناصر الجغرافية الطبيعية ، أو فى تفاصيل العنـــاصر الجغرافية البشرية • وأفلح هذا التمادى الجغرافى ، الذى لا يبدأ من فراغ ، فى رصد تفرد هذه العناصر فى أدق التفاصيل ، التى يتألف منها بعض هذه

العناصر على الأقل •

ولقد اعتمد الاجتهاد الجغرافى العلمى ، على المهارة الجغرافية فى التحليل وفى التركيب ، وهو يتقصى حقيقة التفرد الذى يتميز بموجبه كل عنصر أحيانا ، وتفاصيل كل عنصر أحيانا أخرى ، من عناصر التفرد الطبيعى أو من عناصر التفرد البشرى ، فى المكان والزمان ، حتى يتلمس قاعدة للتقسيمات الاقليمية الصغرى • بمعنى أنه كان يسأل عن الكيفية ، التى يصطنع بموجبها ، كل عنصر من عناصر التفرد البشرى ، مزيدا من التفرد الأدق ، فى المكان والزمان • ومن ثم يتلمس الاجتهاد الجغرافى العلمى ، الكيفية التى يوظف بموجبها هذا التفرد الطبيعى التفصيلى الدقيق ، أو هذا التفرد البشرى التفصيلى الدقيق ، فى انجاز تقسيمات اقليمية دقيقة ، طبيعية أو بشرية ، وهى أكثر تفردا وتميزا ، من وجهة النظر الجغرافية •

وكان فى وسع الاجتهاد الجغرافى العلمى ، اعتمادا على التفرد الجغرافى الطبيعى الدقيق ، الذى يتميز به كل عنصر من عناصر التفرد الجغرافى الطبيعى ، أو الذى يتميز بموجبه تأثير وفاعلية كل عنصر على انفراد ، وهو يشترك فى صياغة التفرد الطبيعى الاقليمى ، أن يجسد مفهوم الاقليم الطبيعى ، فى اطار التقسيمات الاقليمية الدقيقة والاكثر تخصصا • ونضرب لذلك مثلا ، بالاقليم التضاريسى ، أو الاقليم المناخى ، أو الاقليم الحيوى النباتى ، أو الاقليم الحيوى الحيوانى • وقد يتمادى التقسيم الاقليمى فى مزيد من التفرد المناخى الأدق ، ويمثله الاقليم الحرارى ، أو الاقليم المطرى • ويميز كل اقليم من هذه الأقاليم الدقيقة ، صفة جغرافية طبيعية معينة ، وبموجبها يتفرد مثل هذا الاقليم تفردا ، لا يجوز الطعن فيه • ويبتنى على ذلك تغطية العالم بهذه التقسيمات الجغرافية الاقليمية الطبيعية الدقيقة •

وانطلاقا من وضوح رؤية الجغرافى الجيدة ، لمفهوم هذا التفرد الطبيعى، الذى يميز كل اقليم من هذه الأقاليم المتنوعة ، توضع القواعد والأسس الجغرافية التى يبتنى عليها تقسيم العالم ، الى أقاليم تضاريسية وتفردها تضاريسى ، أو الى أقاليم مناخية وتفردها مناخى ، أو الى أقاليم حيوية وتفردها حيوى • بمعنى أن يحتوى كل اقليم من هذه الأقاليم الدقيقة ، المساحة المعنية الأنسب ، التى تحتوى البحث أو الدراسة الجغرافية المتخصصة ، تضاريسيا ، أو مناخيا ، أو حيويا • وبناء على مثل هذا التقسيم الاقليمى الدقيق ، الذى يحدد المساحة المعنية ، ويصطنع لها اطارا محددا ومحدودا فى المكان والزمان لا يجوز تجاوزه أبدا ، تتحقق حبكة الدراسة •

وهى حبكة لا تتعارض مع مرونة الانتقال من الاقليم الجغرافى الدقيق ، الى سائر الأقاليم الأخرى ، التى تغطى فى اطار هذا التفرد الجغرافى المتميز ، العالم كله ·

واعتمادا على التفرد الدقيق ، الذى يتميز به كل عنصر من عناصر التفرد الجغرافى البشرى ، أو الذى يتميز بموجبه تأثير كل عنصر من هذه العناصر على انفراد ، وهو يشترك فى صياغة التفرد البشرى الاقليمى الكلى ، كان فى وسع الاجتهاد الجغرافى العلمى ، أن يجسد مفهوم الاقليم البشرى ، فى اطار التقسيمات الاقليمية الدقيقة والأكثر تخصصا · ونضرب لذلك مثلا ، بالاقليم السلالى ، أو بالاقليم الحضارى ، أو بالاقليم السكانى ، أو بالاقليم السياسى ( الدولة ) ، أو باقليم الاقتصادى · وقد يتمادى التقسيم الاقليمى ، فى مزيد من التفرد الاقتصادى الأدق ، ويمثله اقليم الزراعة ، واقليم الرعى واقليم الصناعة · ويميز كل اقليم من هذه الأقاليم الدقيقة ، صفة جغرافية بشرية معينة · وبموجبها يتفرد مثل هـذا الاقليم ، تفردا لا يجوز الطعن · ويبتنى على ذلك الأساس تغطية مساحات العالم ، بهذه التقسيمات الاقليمية الجغرافية البشرية الدقيقة ·

وانطلاقا من وضوح رؤية الجغرافى الجيدة ، لمفهوم هذا التفرد الجغرافى البشرى ، الذى يميز كل اقليم من هذه الأقاليم المتنوعة ، توضع القواعد والأسس ، التى يبتنى عليها تقسيم العالم تقسيما اقليميا · وتكون هذه التقسيمات البشرية الاقليمية ، سلالية وتفردها سلالى ، أو حضارية وتفردها حضارى ، أو اجتماعية وتفردها اجتماعى ، أو سياسية وتفردها سياسى ، أو اقتصادية وتفردها اقتصادى · ويميز كـل تقسيم اقليمى من هـذه التقسيمات الاقليمية ، صفة جغرافية بشرية خاصة ، حيث يحتوى الاقليم المتميز فى الصفة المساحة المعنية · وعلى صعيد هذه المساحة المعنية ، يتحقق البحث الجغرافى المتخصص بشريا فيكون بحثا سلاليا ، أو بحثا سكانيا ، أو بحثا اقتصاديا · وبناء على مثل هذا التقسيم الاقليمى الدقيق ، الذى يحدد المساحة المعنية ، ويصطنع لها اطارا محددا ومحدودا ، فى المكان والزمان ، لا يجوز تجاوزه أبدا ، تتحقق حبكة الدراسة · وهى حبكة لا تتعارض مع مرونة الانتقال من الاقليم الجغرافى الدقيق ، الى سائر الاقاليم الأخرى ، التى تغطى فى اطار هذا التفرد الجغرافى المتميز ، العالم كله ·

وهكذا ، يحقق تحديد المكان فى المساحة المعنية ، التى يحتويها الاقليم ، على أى مستوى من مستويات التقسيمات الاقليمية ، أحسن وعاء لحساب

البحث الجغرافى ، وانجاز الدراسة انجازا مناسبا ، يجاوب الهدف الجغرافى . ولا يتعارض هذا التحديد فى هذه المساحة المعنية أبدا ، مع مرونة الانتقال لحساب البحث الجغرافى الأكثر اتساعا ، من الرؤية الجغرافية ، وهى محدودة فى المكان على صعيد الاقليم ، الى الرؤية الجغرافية ، وهى كلية وشاملة فى كل مكان ، على صعيد مجموعة الأقاليم التى تغطى القـــارة أو التى تغطى العالم - ومثل هذا التوجه الجغرافى الى تحديد المكان فى اطـار التقيسمات الاقليمية ، يبدو حميدا ومفيدا ، لأنه يفيد حرية ومرونة الانتقال . وقل أنه لا ولم ولن يوقع البحث الجغرافى ، فى اطار التحديد المكانى ، وهو يتمتع فى نفس الوقت بهذه المرونة ، فى قبضة القوالب الدراسية الجامدة . بل قل أيضا ، أن حرص الاجتهاد الجغرافى العلمى ، على موجبات التفرد الطبيعى أو البشرى ، أو على موجبا تالتفرد الجغرافى الكلى عـــلى الوجهين الطبيعى والبشرى ، أو على موجبات التفرد التفصيلى الجغرافى طبيعيا أو بشريا ، وهو الذى يسعف التقسيمات الاقليمية المتنوعة ، حتى تحمى البحث الجغـــرافى المتخصص ، من نمطية القوالب الدراسية الجغرافية الجامدة .

وهذا معناه — على كل حال — أن الاجتهاد الجغرافى العلمى ، الذى كان قد ابتنى على قواعد وأسس ، اصطنعها ورسخها الفكر الجغرافى الحديث ، أصبح متمكنا فى صياغة التقسيمات الاقليمية ، وفى حسن استخدامها ، لحساب العمل أو البحث الجغرافى . وأصبح فى وسع الجغرافى أن يمارس التقسيمات الاقليمية على المدى الكبير من التنوع ، ويختار الأنسب ، لكى يتدارس الظاهرة الجغرافية المعنية ، فى ربوع المساحة المعنية المحددة ، التى يحتويها الاقليم . ويكون الجغرافى — عندئذ — فى كامل الوعى وحسن العناية والتقدير ، وهو يختار التقسيم الجغرافى الاقليمى الأنسب ، اختيارا يتلمس أبعاد التفرد الجغرافى فى هذا التقسيم الجغرافى الاقليمى المنتخب .

وهذا معناه أيضا ، أن الاجتهاد الجغرافى العلمى يكون على بينة وعلم ، بالكيفية التى يتأتى بموجبها هذا التفرد الجغرافى فى الاقليم المعين ، ضمن التقسيم الاقليمى المنتخب . كما يكون على بينة وعلم ، باحتمالات التشابه الذى يبتنى علية وحدة التقسيم الاقليمى ، واحتمالات تفرد كل اقليم من الأقاليم فى اطار هذه الوحدة . بمعنى أن تقسيم العالم الى أقاليم تضاريسية مثلا ، يجسد التشابه فى التفرد الجغرافى التضاريسى ، ولكن يبقى تفرد كل اقليم من هذه الأقاليم التضاريسية ، واردا ، ولا يمكن انكاره . وكأن رصد هذا التشابه ، الذى يجمع ويلم شمل أو يصطنع وحدة التقسيم الاقليمى ،

لا ينتهك أبدا موجبات التفرد الجغرافى ، فى أى اقليم من الأقاليم المجتمعة جغرافيا فى التقسيم الاقليمى •

وفى الوقت ، الذى يتجنب فيه الاجتهاد الجغرافى العلمى ، وهو ينتهج هذا التوجه السديد ، أو وهو يجيد توظيف التفرد الجغرافى على أى مستوى من مستوياته ، فى التقسيم الاقليمى ، الجمود ونمطية القوالب الجغرافية الجامدة ، يتحلى بالمرونة الكاملة ، وحسن الانتقال الدراسى من الاقليم الى الأقاليم الأخرى ، دون الخروج عن وحدة التقسيم الاقليمى أبدا • وتجنب الجمود ، والتحلى بالمرونة ، فى وقت واحد ، يمنحان الاجتهاد الجغرافى ، وهو يجرى البحث الجغرافى ، أو الدراسة الجغرافية ، فى اطار الاقليم أو فى اطار مجموعة من اقاليم تجمعها وحدة التقسيم الاقليمى ، الحق الكامل فى عدم الانغلاق • بل قل أنهما يكفلان تحرر الاجتهاد الجغرافى ، من دواعى الانغلاق ، تحت شعار تحديد المكان ، ووضع الاطار الحاكم الذى يحتوى أو الذى يضم المساحة المعنية •

وصحيح أ ن الاجتهاد الجغرافى العلمى يعتنى بالتفرد الجغرافى ، الذى يصطنع بموجبه اطارا محكما ، يحدد أبعاد الاقليم الجغرافى المتفرد ، على أى مستوى من مستويات هذا التفرد • وصحيح أيضا ، أن التزام الاجتهاد الجغرافى العلمى بتحديد المكان ، وهو الذى يحتويه الاطار ، هو الذى يكفل الحبكة الأنسب ، لاجراء البحث أو الدراسة الجغرافية المعنية • ولكن الصحيح بعد ذلك كله ، أن هذا التحديد ، أو أن هذا الاطار ، وهو يصطنع هذا التحديد فى المكان ، ويحتوى المساحة المعنية الأنسب ، لا ينبغى أن يصبح سدا جامدا ، أو حاجزا مانعا ، يحول دون تجاوز حدود الاقليم والمساحة المعنية فيه • بمعنى أن الاطار الذى يصطنع التحديد فى المكان ، لا يقصد منه أبدا ، ممارسة البحث الجغرافى فى اطار الانغلاق الجامد •

وهذا معناه ، أن الاجتهاد الجغرافى العلمى ، قد أباح لنفسه تخطى هذا الاطار ، أو تجاوز هذا الحد الاقليمى ، تجاوزا محمودا ، لو اقتضى البحث الجغرافى ، أو لو استوجب تقصى الحقيقة الجغرافية هذا التجاوز • وقل أنه قد حرم على نفسه الانغلاق فى اطار الاقليم ، انغلاقا يسد الابواب أمام البحث الجغرافى ، وتقصى أبعاد الحقيقة الجغرافية الكاملة • بمعنى أن هناك أوضاع معينة ، تبرر وتستوجب ، بل أنها تحتم على الباحث الجغرافى تجاوز حد الاقليم ، والخروج من المساحة المعنية فيه ، لكى يتعقب هذا الباحث ، بعض أصول ، أو بعض أطراف ، أو بعض جذور الحقيقة الجغرافية ، فى كل مكان

جغرافى خارج حدود الاقليم ·

ولا غبار على هذا التجاوز ، ولا تتريب على الخروج الجغرافى من الاقليم ، بحثا عن أطراف ضرورية ، تكشف عن أبعاد الحقيقة الجغرافية · وقل أن هذا التجاوز أو الخروج من حدود الاقليم ، يمثل شكلا من أشكال التوسع الافقى فى المكان ، لحساب البحث الجغرافى الأفضل · وقد يسميه البعض التوسع المكانى · والمهم أن مثل هذا التوسع المكانى والخروج من الاقليم ، لا ينتهك أبدا فكرة الاقليمية والتقسيمات الاقليمية · وقل أنه توسع أفقى مشروع ومباح ، لا ينتهك أبدا فكرة الاقليمية والتقسيمات الاقليمية · وقل أنه توسع أفقى مشروع ومباح ، لأنه يخدم البحث الجغرافى ، ويلبى حاجة الدراسة الجغرافية التحليلية ، وهى تبحث عن الحقيقة الجغرافية ، أو وهى تبحث عن التفسير الجغرافى الأنسب فى اطار الاقليم ، أو فى خارج الاقليم · بل قل أنه يجسد شكلا مناسبا ، من أشكال المرونة الجغرفية ، التى تجاوب الانفتاح الجغرافى ، ولا تتجاوز معنى ومغزى الحبكة التى تتحدد أبعادها فى المكان على صعيد المساحة المعنية ، داخل حدود الاقليم ·

**التوجه الجغرافى لتحديد الزمان :**

لا تتسم الظاهرة الجغرافية ، سواء كانت طبيعية ، أو كانت بشرية ، بالثبات فى المكان · ولا يستغرق الواقع الجغرافى الطبيعى أو الواقع الجغرافى البشرى ، فى الجمود والثبات ، فى المكان · وقل أن عدم الثبات ، والتغيير الجغرافى فى المكان هو القاعدة ، وربما لا تكون ثمة فرصة للاستثناء والخروج على قاعدة هذا التغيير · وقل أيضا أن كل ظاهرة جغرافية طبيعية أو بشرية وأن الواقع الجغرافى الطبيعى أو البشرى لا يعرف الثبات ، الذى يعنى الجمود · بل قل أن هناك دائما احتمال التعرض لفعل عوامل ودواعى التغيير ، فى المكان ، ويستجيب كل شىء ، جغرافى لهذه المتغيرات ، مع حركة الزمان · ويكون من شأن المدركات أو الحقائق الجغرافية ، التى تجاوب المتغيرات المتنوعة ، أن تتغير فى المكان ، من عصر الى عصر آخر · وهذا بالضبط هو المفهوم الذى يعبر عن معنى عدم الثبات ، أو عن عدم الجمود الجغرافى فى المكان ·

وبصرف النظر عن دواعى التغيير التى تواجهها الظاهرة الجغرافية الطبيعية وتجاوبها فى المكان ، أو التى تواجهها الظاهرة الجغرافية البشرية وتجاوبها فى المكان · وبصرف النظر عن أبعاد وكنه التغيير المتوقع بالفعل استجابة لهذه الدواعى ، أو استجابة لفعل وتأثير المتغيرات ، وهو يتوالى

من عصر الى عصر آخر ، ينبغى أن يدرك الاجتهاد الجغرافى هذا التغيير ويتوقعه • وقل ينبغى أن يدرك أيضا كيف يتأتى هذا التغيير ومعدلاته ، أو كيف يكون التوقع على امتداد المدى الزمنى • وهذا معناه أنه على امتداد المدى الزمنى ، وهو جيولوجى أحيانا ، أو وهو طويل ، أو وهو قصير ، أحيانا أخرى ، تتعرض جغرافية المكان ، لدواعى التغيير أو لفعل بعض المتغيرات البطيئة أو المتعجلة أو المفاجئة • ومن ثم يتأتى التغيير فى الصورة أو فى الشكل أو فى الواقع الجغرافى بالفعل ، من حين الى حين آخر •

ويهتم الاجتهاد الجغرافى العلمى بهذا التغيير • ويتابع فعل المتغيرات ، ويحفل بدواعى التغيير التى تجسد استجابة الواقع الجغرافى لهذه المتغيرات• وهذا معناه أن الاجتهاد الجغرافى يحفل بمرور الوقت ، أو بحركة الزمان التى تشهد هذه المتغيرات وتأثيرها المباشر أو غير المباشر على المدركات أو الواقع الجغرافى فى المكان • وعلى نفس مستوى العناية الجغرافية العلمية ، التى تفرغت لحسم قضية المكان ، وكيف يحتوى المساحة المعنية ، كانت العناية الجغرافية العلمية أيضا ، التى توجه بموجبها الاجتهاد الجغرافى ، الى حسم قضية حساب امتداد المدى الزمنى فى المكان •

ويكون ذلك كله ، بمعنى عناية الاجتهاد الجغرافى دائما واهتمامه ، بأن تتأتى الدراسة الجغرافية على كل المستويات ، وفى جميع الأحوال ، فى سياق واضح ، وحبكة جيدة • ومن أجل هذا السياق الزمنى الواضح والحبكة الجيدة ، تتناول الدراسة الجغرافية ، الموضوع أو الظاهرة المعنية ، تناولا مناسبا ، فى المكان ، وفى الزمان • وقل أن لا محل لدراسة جغرافية فى المكان ، دون العناية بها أيضا ، فى الزمان • بل قل أنه لا يجوز أبدا التفريط فى بعد من هذين البعدين الأساسيين ، وهما بعد المكان وحدوده المحدودة ، وبعد الزمان وحساب مداه المناسب • وحتى لو تولت الدراسة الجغرافية ، العناية بالظاهرة الجغرافية ، أو بالموضوع فى الوضع الراهن مثلا ، فان ذلك لا يعنى اسقاط أو اهمال البعد الزمنى من الحساب ، لكى تتأتى الدراسة فى المكان فقط •

وكان المطلوب من الاجتهاد الجغرافى العلمى دائما ، عندما يتصدى للبحث أو للدراسة ، أن يعرف كيف يحدد موقفه ، من حساب البعد الزمنى ، تحديدا صريحا وقاطعا • كما كان الواجب عليه ، أن يعرف جيدا كيف تكون متابعة البحث والدراسة الجغرافية المعنية ، على أساس تحديد هذا الموقف الصريح من البعد الزمنى • وتحديد موقف الاجتهاد الجغرافى العلمى ، من البعد

الزمنى ، هو الذى يضع الباحث الجغرافى ، فى موضع الاختيار • ويكون هذا الاختيار موضع العناية ، لكى يتحدد هـــذا البعـــد الزمنى ، حتى يتسنى الالتزام به •

**العناصر الجغرافية ومضى التغيير على امتداد البعد الزمنى فى المكان والزمان :**

ويتراوح هذا الاختيار للبعد الزمنى ، بين ثلاثة احتمالات • وتتمثل هذه الاحتمالات — فى العادة — فيما يلى :

( أ ) الاحتمال الأول ، ويركز على الماضى حيث تجسد الدراسة الجغرافية شيئا معلوما عن جغرافية الماضى •

(ب) الاحتمال الثانى ، ويركز عـــلى الحاضر ، حيث تجسد الدراسة الجغرافية ، شيئا معلوما عن جغرافية الحاضر •

(جـ) الاحتمال الثالث ويركز على الاستمرار الذى يصل بين المـــاضى والحـــاضر ، حيث تجسد الدراسة الجغـــرافية شيئا معلوما عن جغـــرافية الاستمرار فى صحبة التغيير ، أو الجغرافية التاريخية •

ويملك الباحث الجغرافى حق الاختيار ، وتحديد مدى امتداد هذا البعد الزمنى • وتوجه طبيعة الدراسة الجغرافية هذا الاختيار ، لكى تكون جغرافية المـــاضى ، أو جغرافية الحاضر ، أو جغرافية الاستمرار من الماضى الى الحاضر . مناسبة ، وهى تجاوب الهدف الجغرافى • ولا شىء أهم من أن يكون البعـــد الزمنى محسوما بعناية شديدة • بل ولا شىء يبتنى عليه هذا الاختيـــار القاطع ، أهم من أن يكون تحديد البعد الزمنى ، محصورا بين بداية ونهاية ، ثجاوب الهدف فى جغرافية الماضى ، أو الهدف فى جغرافية الحاضر ، أو الهدف فى جغرافية الاستمرار من الماضى الى الحاضر •

وفى **جغرافية الماضى** ، يملك الباحث الجغرافى حرية العودة الى هذا الماضى وتحديده • وقد تكون دراسة جغرافية الماضى معنية بالماضى القريب ، أو معنية بالماضى البعيد ، أو معنية بالماضى الجيولوجى • ولا شىء يملى على هذا الاختيار وتحديد هذا الماضى وبعده الزمنى ، غير طبيعة الظاهرة الجغرافية المعنية ، التى يتناولها البحث تناولا جغرافيا مدققا وهادفا ، فى المكان المحـــدد وفى الزمان المعلوم •

وفى **جغرافية الحاضر** ، يلتزم الباحث الجغرافى بالصورة الجغرافية المعنية فى الوضع الراهن • وقل ينبغى أ نيتحدد المدى الزمنى المناسب ، الذى لا يتجاوز هذا الوضع الراهن • بمعنى أن يتأتى البحث من خلال معاينة المنظور الجغرافى فى المكان ، فى الوقت الحاضر ، وقد لا تعوز الباحث حاجة العودة الى الماضى • ولا شىء يملى على معاينة هذا المنظور الجغرافى فى الوضع الراهن ، غير طبيعة الظاهرة الجغرافية المعنية التى يتناولها البحث تنـاولا جغرافيا مدققا وهادفا ، فى المكان المحدد ، وفى الزمان المعلوم •

وفى **جغرافية الاستمرار بين الماضى والحاضر** ، يلتزم الباحث الجغرافى بالتغيير والمتغيرات ، التى تكشف عنها المتابعة الجغرافية من حين الى حين آخر • وينبغى أن تتحدد من أجل هذه المتابعة المستمرة ، بداية ونهاية هذا المدى الزمنى • بمعنى حتمية أن يتأتى البحث من خلال ملاحقة الرؤية الجغرافية المتغيرة فى المكان • ويحتاج الباحث الى تقصى حقيقة الدواعى أو المتغيرات التى تؤدى الى هذا التغير ، من وقت الى وقت آخر ، فى نفس المكان • ولا شىء يملى على ملاحقة هذا التغيير وفعل المتغيرات ، غير طبيعة الظاهرة الجغرافية المعنية، التى يتناولها البحث تناولا جغرافيا مدققا وهادفا ، فى المكان المحدد ، وفى الزمان المستمر •

ويتعين تحديد الزمان فى جغرافية المـاضى ، وجغرافية الحـاضر ، وتثبيته • أما فى جغرافية الاستمرار على المدى الزمنى بين الماضى والحاضر ، فلا ينبغى تثبيت الزمان ، وهـو يمضى من بداية وينتهى الى نهـاية • وفى جميع الأحوال ، يملى التباين بين تحديد الزمان الذى يميز بين جغرافية الماضى وجغرافية الحاضر وجغرافية الاستمرار بين الماضى والحاضر ، على توجه البحث الجغرافى ، وعلى اختيار المنهج ، وعلى انجاز البحث فى نهاية الأمر • بمعنى أن هناك تفاوت واختلاف شديد بين دراسة الظاهرة الجغرافية بأسلوب أو بمنهج جغرافية الماضى ، ودراسة نفس الظاهرة الجغرافية بأسلوب أو بمنهج جغرافية الحاضر ، ودراسة نفس الظاهرة الجغرافية بأسلوب أو بمنهج جغرافية الاستمرار بين الماضى والحاضر ، فى نفس المكان •

واضافة الى هذا الاختيار ، الذى يميز بين جغرافية المـاضى وجغرافية الحاضر وثبات المدى الزمنى ، وجغرافية الاستمرار من بداية الى نهاية عـلى امتداد حركة المدى الزمنى ، وهو معلق فى الأساس على الهدف الجغرافى ، هناك اختيار آخر لتحديد البداية والنهاية ، على امتداد المدى الزمنى ، الذى يحقق الهدف الجغرافى ، الذى تفضى اليه جغرافية الاستمرار • وبناء على هذا

الاختيار الأخير ، يتراوح هذا التحديد الزمنى لتحديد البداية وتحديدالنهاية، على امتداد المدى الزمنى ، بين المدى القصير، والمدى الطويل والمدى الجيولوجى• وموضوع البحث الجغرافى ، والهدف الجغرافى ، الذى يتبناه هذا البحث ، هو الذى يحدد مفهوم المدى القصير ، ومفهوم المدى الطويل • ويحدد أيضاً مبلغ العودة الى أبعاد المدى الجيولوجى • بل قل أن البحث الجغرافى نفسه ، هو الذى يصطنع الضوابط الحاكمة لاختيار هذا المدى الزمنى ، وتحديد امتداده ، فى المكان ويتلمس متغيرات هذا الامتداد الزمنى ، من حين الى حين آخر •

وتتخذ الدراسة الجغرافية على امتداد المدى الزمنى ، وتفيد الاستمرار فى تلاحق أو تتعقب المتغيرات ، شكل الجغرافية التاريخية • وهى دراسة تبدأ من الماضى البعيد أو من الماضى القريب ، أو من الماضى الجيولوجى ، وتنتهى الى الحاضر • وتأسيسا على الاختيار الأنسب للمدى الزمنى ، يتناول الاجتهاد الجغرافى الظاهرة الجغرافية الطبيعية أو البشرية ، تناولا جغرافيا هادفا ومدققا ، يهتم بالتطور وبالتغيير وبالمتغيرات ، على مستوى امتداد هذا المدى الزمنى المنتخب ، بمعنى أن هذه الدراسة الجغرافية التاريخية ، ترصد موجبات التطور أحيانا ، وموجبات التغيير أحيانا أخرى ، على صعيد المكان المحدد • بل قل أن هذه الدراسة الجغرافية التاريخية ، تبحث عن ، وتجيب فى سياق العرض الموضوعى الجغرافى ، عن ماذا وكيف ومتى والى أى حد ، يتأتى فعل المتغيرات على صعيد المساحة المعنية فى المكان ، ومبلغ تأثيرها المباشر أو غير المباشر على الظاهرة الجغرافية المعنية ، سواء كانت طبيعية ، أو كانت بشرية •

وفى مثل هذه الدراسة الجغرافية التاريخية ، أفلح الاجتهاد الجغرافى تماما ، فى الاستمرار والمتابعة على امتداد المدى الزمنى ، وهو يتعقب ويلاحق دواعى وموجبات فعل المتغيرات فى المكان • كما أفلح هذا الاجتهاد الجغرافى أيضا ، فى بيان ومتابعة الكيفية ، التى يتوالى ويستمر بموجبها تأثير فعل هذه المتغيرات ، على خواص ، أو على أوضاع ، أو على أحوال الظاهرة الجغرافية المعنية ، فى المكان ، ومع مضى حركة أو مرور الزمان ، من عصر الى عصر آخر • ولا وجه اطلاقا ، ولا مبرر أبدا ، لأى احتمال متوقع ، يمكن أن يتأتى فيه الخلط أو التداخل ، بين مثل هذه الدراسة الجغرافية التاريخية وتوجهاتها الى الهدف الجغرافى من ناحية ، والدراسة التاريخية البحتة التى تتابع حركة الأحداث التاريخية ، ولا تهتم أبدا بالهدف الجغرافى ، ولا تلتزم بالوصول اليه ، بل ولا تعرف الطريق طلبا للوصول اليه من ناحية أخرى •

وبهذا المنطلق الذى يعتنى بتحديد المدى الزمنى ، تستحق الظاهرة الجغرافية المعنية ، فى اطار الواقع فى المكان ، الدراسة والبحث ، على مستوى أو على امتداد أربعة مستويات زمنية متفـاوتة • وتتمثل هــذه الامتدادات الزمنية فى :

( أ ) امتداد زمنى يغطى الرؤية الجغرافية للظاهرة الجغرافية المعنية ، على صعيد المساحة المعنية ، فى الوضع الراهن • وهذا هو عين ما نعنى به جغرافية الحاضر • ولا تكون هناك حاجة عندئذ ، تدعو الباحث الجغــرافى للعودة الى الماضى ، الا فى أضيق الحدود • وتعتمد هذه الدراسة الجغرافية على المعاينة المباشرة ، وحسن استخدام الرحلة الجغرافية ، لحساب هذه المعاينة • واختيار الدراسة الجغرافية هذا المدى الزمنى المحدد ، لرؤية الوضع الجغرافى الراهن ، قد يستوجب العودة الى الماضى ، لتأصيل العمل أو النتيجة التى تسفر عنها المعاينة أحيانا ، ولكنها لا تستوجب المتابعة والتعقب • بمعنى أنها لا تجسد الاستمرار فى تعقب الظـــاهرة ، ولا تستحق الانتساب أبدا الى الجغرافية التاريخية •

(ب) امتداد زمنى يغطى الرؤية الجغرافية للظاهرة الجغرافية المعنية ، على صعيد المساحة المعنية ، فى الوضع الذى كانت عليه فى حقبة من حقب الماضى • وهذا هو عين ما تعتنى به جغرافية الماضى • وتكون حاجة عندئذ ملحة ، تدعو الباحث الجغرافى للعودة الى الحقبة التى يتجسد فيها هذا المــاضى البعيد أو القريب • وتعتمد مثل هذه الدراسة الجغرافية على جمع الأدلة ، وتسأل عن البيانات التى يمكن أن تستخدم ـفى تجميع أوصال الرؤية الجغرافية فى ذلك الماضى • ولا تلاحق هذه الدراسة الجغرافية المتغيرات ولا تهتم أبدا بالتغيير بين هذه الرؤية الجغرافية فى الماضى ، والرؤية الجغرافية فى الحاضر • بمعنى أنها دراسة لا تجسد الاستمرار فى تعقب الظاهرة الجغرافية ، ولا تستحق أبدا الانتساب الى الجغرافية التاريخية •

(جـ) امتداد زمنى طويل ، قد يتفاوت طوله بصفة عامة ، يغطى الرؤية الجغرافية الطبيعية المعنية ، على صعيد المساحة المعنية ، فى الوضع الذى يتابع ويلاحق فعل المتغيرات • وتتبين هذه الدراسة الجغرافية ، كيف يتأتى هذا التغيير أو التطور ، من حين الى حين آخر ، أو من عصر الى آخر • ومثل هذه العودة الى الماضى التاريخى ، ومثل هذه المتابعة التى تتعمد الاستمرار ورصد التغيير والمتغيرات ، تستوجب أن تسأل الجغرافية علم التاريخ وعلوم كثيرة أخرى ، وأن تطلب الاطلاع على حركة الأحداث ، التى تسجل هــذا التغيير

ومسئولية فعل المتغيرات، على صعيد المساحة المعنية ، فى المدى التاريخى • وتنتسب هذه الدراسة بكل حذافيرها ، انتسابا أصيلا الى الجغرافية التاريخية ، وهى تتابع مبلغ التغير فى الرؤية الجغرافية الطبيعية ، من عصر الى عصر آخر ، فى نفس المكان •

( د ) امتداد زمنى جيولوجى ، قد يتفاوت انتمائه للأزمنة الجيولوجية بصفة عامة ، يغطى الرؤية الجغرافية الطبيعية المعنية ، على صعيد المساحة المعنية ، وفى الوضع الذى يتابع أو يلاحق فعل المتغيرات والتغيير ، من عصر جيولوجى الى عصر جيولوجى آخر • وتتبين مثل هذه الدراسة ، كيف يتأتى التغيير أو التطور ، من عصر الى عصر آخر ، أو من زمن جيولوجى الى زمن جيولوجى آخر • ومثل هذه العودة الى الماضى الجيولوجى ، ومثل هذه المتابعة التى تتعمد الاستمرار ورصد التغيير والمتغيرات، تستوجب أن تسأل الجغرافية علم الجيولوجيا ، وغيره من العلوم ، وأن تطلب منه النتائج ، التى ترشد وتبصر هذه العودة الى ذلك الماضى الجيولوجى • وتنتسب هذه الدراسة الجغرافية حتما الى الجغرافية التاريخية ، وهى تتابع وتلاحق ، مبلغ تغير الرؤية الجغرافية الطبيعية ، من عصر جيولوجى الى عصر جيولوجى آخر •

* * *

وبنفس هذا المنطلق الذى يعتنى بتحديد المدى الزمنى ، تستحق الظاهرة الجغرافية ، فى اطار الواقع البشرى ، فى المكان ، الدراسة والبحث الجغرافى ، على مستوى أو على امتداد أربعة مستويات زمنية متفاوتة • وتتمثل هذه الامتدادات الزمنية فى :

( أ ) امتداد زمنى محدد ، يغطى الرؤية الجغرافية البشرية ، على صعيد المساحة المعنية ، فى الوضع الراهن • وهذا هو عين ما يعنى به ، جغرافية الحاضر فى المكان • ولا تكون هناك حاجة عندئذ ، تدعو الباحث للعودة الى الماضى ، الا فى أضيق الحدود • وتعتمد هذه الدراسة الجغرافية ، على المعايشة والمعاينة المباشرة والاستبيان ، وحسن توظيف الرحلة الجغرافية ، لحساب هذا الاستبيان • واختيار الدراسة الجغرافية ، على هذا المدى الزمنى المحدد ، لرؤية الوضع الجغرافى الراهن ، قد يستوجب العودة الى الماضى ، لمجرد تأصل العمل أو النتيجة ، التى تسفر عنها المعاينة أحيانا ، ولكنها أبدا لا تستوجب المتابعة والتعقب • بمعنى أنها لا تجسد الاستمرار فى تعقب الرؤية الجغرافية، ولا تستحق الانتساب أبدا الى الجغرافية التاريخية •

(ب) امتداد زمنى محدد ، يغطى الرؤية للظاهرة الجغرافية البشرية ، على صعيد المساحة المعنية ، فى الوضع الجغرافى الذى كانت عليه ، فى حقبة من حقب الماضى • وهذا هو عين ما تعنى به جغرافية الماضى • وتكون هناك حاجة ملحة عندئذ تدعو الباحث الجغرافى ، للعودة الى الحقبة ، التى يتجسد فيها هذا الماضى البعيد أو القريب • وتعتمد مثل هذه الدراسة الجغرافية ، على جمع الأدلة ، وهى تسأل عن البيانات ، التى يمكن أن تستخدم فى تجميع أوصال الرؤية الجغرافية فى ذلك الماضى • ولا تلاحق هذه الدراسة الجغرافية المتغيرات ولا تهتم أبدا بالتغيير بين هذه الرؤية الجغرافية فى الماضى ، والرؤية الجغرافية فى الحاضر • بمعنى أنها دراسة جغرافية لا تجسد الاستمرار فى تعقب الظاهرة الجغرافية البشرية ، ولا تستحق أبدا الانتساب الى الجغرافية التاريخية •

(ج) امتداد زمنى طويل ، قد يتفاوت طوله بصفة عامة ، يغطى الرؤية الجغرافية البشرية المعنية ، على صعيد المساحة المعنية ، فى الوضع الذى يتابع ويلاحق فعل المتغيرات • وتتبين هذه الدراسة الجغرافية ، كيف يتأتى هذا التغيير ، أو هذا التطور ، من حين الى حين آخر أو من عصر الى عصر آخر • ومثل هذه العودة الى الماضى التاريخى ، ومثل هذه المتابعة التى تتعمد الاستمرار ، ورصد التغيير والمتغيرات تستوجب أن تسأل الجغرافية علم التاريخ وعلوم انسانية كثيرة أخرى ، وأن تطلب الاطلاع على حركة الحياة وأحداثها التى تسجل هذا التغيير ، ومسئولية فعل المتغيرات ، على صعيد المساحة المعنية ، على المدى التاريخى • وتنتسب هذه الدراسة بكل حذافيرها، انتسابا أصيلا الى الجغرافية التاريخية ، وهى تتابع مبلغ التغير فى الرؤية الجغرافية البشرية ، من عصر الى عصر آخر ، فى نفس المكان •

( د ) امتداد زمنى جيولوجى ، يغطى الرؤية البشرية ، على صعيد المساحة المعنية ، فى الوضع المتغير من عصر البلايستوسين ، الى العصر الذى نعيش فيه الآن • ومثل هذه العودة الى الماضى الجيولوجى ، الذى شهد ظهور الانسان على الأرض ، وبدايات حركة الحياة ، تستوجب أن تسأل الجغرافية علم الجيولوجيا وعلوم انسانية متعددة ، وأن تطلب الاطلاع على النتائج التى ترشد وتبصر هذه العودة الجغرافية الى الماضى الجيولوجى البعيد ، وهى ترصد التغيير وفعل المتغيرات الطبيعية والبشرية التى مرت بها حركة الحياة ، على صعيد المساحة المعنية ، على المدى الجيولوجى • وتنتسب هذه الدراسة الجغرافية البشرية بكل حذافيرها الى الجغرافية التاريخية ، انتسابا أصيلا لا يجوز الطعن فيه • بل قل انها دراسة جغرافية تمثل أصدق ما تنجزه

الجغرافية التاريخية ، وهى تتـــابع الرؤية الجغرافيـــة البشرية ، من عصر جيولوجى شهد ظهور الانسان ، الى عصر جيولوجى آخر يشهد تقدم حركة الحياة وكل أشكال التغيير ، حضاريا واجتماعيا وسياسيا ، واقتصاديا فى نفس المكان ٠

* * *

وتعليقا على **جغرافية الوضع الراهن** ، وهى تتمثل فى الماضى ، أو وهى تتمثل فى الحاضر ، نذكر أن عدم الانتساب الى الجغرافية التاريخية ، لا يعنى أبدا اهمال ، أو اسقاط ، أو التجاوز عن تحديد المدى الزمنى ٠ وقـــل أن جغرافية الحاضر تتناول اهتماماتها الجغرافية تناولا شديد العناية بتحديد المكان وتحديد الزمان ٠ وتتناول جغرافية الماضى أيضا اهتماماتها الجغرافية، تناولا شديد الحرص على تحديد المكان وتحديد الزمان ٠ بل قل لا دراســة جغرافية ، فى أى شكل ، وفى أى وضـــع ، يمكن أن تكون من غير تحديد واضح للمكان ، وتحديد صريح للزمان ٠ ذلك أن الوضع الراهن فى الماضى ، والوضع الراهن فى الحاضر ، هو بالقطع الوضع الذى لا يكون الا اذا شغل شريحة من الزمان ٠

وصـــحيح أن دراســـة جغرافية الوضـــع الراهن فى الماضى ، على أنها جغرافية الماضى ، ودراســة الوضـــع الراهن فى الحاضر ، على أنها جغرافيه الحاضر ، لا تهتم بشىء غير المنظور الجغرافى فى هذا الوضع الراهن ٠ ولكن الصحيح أيضـــا أن احتمال العودة الى الماضى ، الذى يسبق هذا المنظـــور ، تكون متوقعة أحيانا ٠ وتكون هذه العودة الى أطراف من هذا الماضى متعمدة، من أجل البحث عن تفسير مقبول ، أو من أجل تعقب أصول الظاهرة المعنية، فى المكان والزمان ، قبل أن تفضى المتغيرات الى صياغة المنظور الجغرافى ، فى صورة الوضع الجغرافى الراهن ٠

ومثـــل هذه العودة المقصـــودة الى الماضى ، تبدو محـــدودة وهادفة ٠ وهى لا تعنى شرودا أو خروجا عن اهداف جغرافية الوضع الراهن ، سواء كانت هى جغرافية الماضى فى زمن معين أو كانت هى جغرافية الحاضر فى الوقت الحـــاضر ٠ وقل أن هذا التوجه الى الماضى بحســـاب ، لا يعنى أبـــدا الانتساب أو التمسح فى الجغرافية التاريخية ٠ بل قل أنه يمثل شكلا من أشكال التوسع الزمانى ، أو التوسع الرأسى ، لكى يسعف ويجاوب حاجة البحث الجغرافى فى جغرافية الوضع الراهن ، عن أصول معنية ، تلقى الأضواء على الرؤية الجغرافية ، حتى تزداد وضوحا وبيانا وتعبيرا ، فى المكان والزمان٠

ويقابل هذا التوسع الزمانى ، التوسع المكانى • وهما معا يخدمان نفس الغرض ، فى شأن تعميق الرؤية الجغرافية فى الوضع الراهن ، سواء كان البحث الجغرافى عن هذه الرؤية فى الماضى ، أو كان عنها فى الحاضر •

هذا ، والفرق كبير جدا ، من وجهة النظر الجغرافية ، بين مهمة الاجتهاد الجغرافى ، وهو يجرى البحث حسب مفهوم الدراسة الجغرافية التاريخية ، أحيانا ، ومهمة الاجتهاد الجغرافى ، وهو يجرى البحث ، حسب مفهوم الدراسة الجغرافية للوضع الراهن فى الماضى أو فى الحاضر أحيانا أخرى • وصحيح أن اجراء البحث الجغرافى ، يكون فى الحالتين ، رغم الاختلاف ، لحساب الهدف الجغرافى ، فى اطار حبكة تحديد المكان ووضوح تحديد الزمان • ولكن الصحيح بعد ذلك أن معطيات الالتزام الجغرافى بتحديد الزمان ، تتفاوت كثيرا • وقل أن عرض الرؤية الجغرافية للوضع الراهن • فى الماضى أو فى الحاضر ، لا يلتزم بشىء غير الواقع الجغرافى ، فى المكان والزمان ، أما عرض الرؤية الجغرافية التاريخية ، فانه يلتزم بالواقع الجغرافى ، وهو فى نفس المكان ، والمتغير تغيرا مستمرا مع حركة الزمان • ولا يعنى هذا التفاوت فى الالتزام أقل من التمييز بين :

( أ ) عرض صورة الواقع الجغرافى وهو شبه ثابت ، فى المكان والزمان ، كما تحدث عنه جغرافية الوضع الراهن فى الماضى ، أو فى الحاضر •

(ب) عرض صورة الواقع الجغرافى وهى غير ثابتة ، لأنها تتغير من وقت الى وقت آخر ، أو من عصر الى عصر آخر ، فى نفس المكان ، كما تحدث عنه مسألة المتابعة والاستمرار فى الجغرافية التاريخية •

ومن ثم ينبغى أن نفهم جيدا ، كيف يكون التزام الدراسة الجغرافية التاريخية بالمتغيرات التزاما مؤكدا ، لا يجوز فيه الأهمال أو التفريط ، أو التهاون • أما التزام الدراسة فى جغرافية الوضع الراهن فى الماضى أو فى الحاضر بالمتغيرات ، فلا يكون الا فى أقل حالات الاستثناء • وقل لا تثريب على جغرافية الوضع الراهن ، لو أهمل الباحث الجغرافى المتغيرات ، أو لو لم يلتفت اليها ، وأسقطها تماما من الحساب • وينبغى فى التمييز عندئذ ، بين نوعين من الدراسة الجغرافية ، وما تفضى اليه من بحوث جغرافية علمية لحساب الهدف الجغرافى ، تمييزا قاطعا • وهذان النوعان من البحوث الجغرافية هما :

**أولا** - بحوث جغرافية علمية ، تجســد مفهوم الجغرافية التــاريخية وتجاوبه ، وهى تهتم وتعتنى بالمتغيرات · بل انها لا تسكت عن فعل هذه المتغيرات المؤثرة ، على الرؤية الجغرافية للظاهرة الجغرافية المعنية فى المكان المحدد ، على المدى الطويل تاريخيا أحيانا ، وجيولوجيا أحيانا أخرى ·

**ثانيا** - بحـوث جغرافية علمية ، تجســد مفهوم جغرافية الوضــع الراهن ، فى الماضى ، أو فى الحاضر ، وهى لا تهتم ولا تعتنى بالمتغيرات ، أو بفعلها المؤثر على الرؤية الجغرافية للظاهرة الجغرافية المعنية ، فى المكان المحــدد ، وفى الزمان المعين ، حتى لو أســتوجب الأمر شــيئا من المرونة والتوسع المــكانى والتوســع الزمانى ، والعـــودة الى المــاضى ، فى طلب التفسير ، على صعيد المساحة المعنية ·

وتجــاوب نتائج هذه البحوث الجغرافية العلمية ، فى الحالتين ، ارادة علم الجغرافية ، كما قدر لها الفــكر الجغرافى الحديث أن تكون ، وهى تجاوب الهدف الجغرافى العلمى · ولا اعتراض أبدا ، ولا اعراض بالضرورة ، عن اجراء البحوث الجغرافية ، فى ظل هذا التنوع أو الاختلاف البين ، بين مفهوم الجغرافية التاريخية ، وجغرافية الوضع الراهن · وليس أهم من أن يعرف الاجتهاد الجغرافى ، كيف يختار ، ولماذا يختار ، ومتى يختار ، أى من هذين التوجهين ، وهما يفترقان تماما ، فى حساب تحديد المدى الزمنى ، وصولا الى الهــدف الجغرافى ، الذى لا يتنــازل أبدا عن اجـراء البحث الجغرافى فى اطار تحديد ، **واضح للمكان ، وحاسم للزمان** ·

* * *

الفصل الخامس

# الفكر الجغرافى الحديث

## مضى سديد فى العمل الجغرافى وتطور رشيد فى الهدف الجغرافى

- تمهيـــد .
- التفكير الجغرافى والعمل الجغرافى .
- التفكير الجغرافى المتفتح والتوجه الى التطوير .
- الحوار حول قضية العلاقة بين الانسان والطبيعة ، وتطوير الهدف .
- حسم الحوار بداية التطور الحقيقى فى صياغة الهدف الجغرافى .



# الفصـــل الخـــامس

## الفـكر الجغرافى الحديث

## مضى سديد فى العمل الجغرافى ، وتطور رشيد فى الهدف الجغرافى

اعتبـــارا من أواخر القرن التاسع عشر الميــلادى ، اعتنى الاجتهـــاد العلمى الجغرافى ، وهو فى كامل الرشد ، وحسن الاســتماع والاستجابة المتفتحة ، لمـــا يجول فى خاطر التفـكير الجغرافى الحديث ، بالعمل العامى الجغرافى • وقل أنه يستغرق استغراقا رزينا ومتأنيا ، فى الآداء والعمـــل المكتبى والعمـــل الميدانى ، وانجـــاز البحوث الجغرافية ، تطلعـــا الى الهدف الجغرافى • وكأن التفكير الجغرافى الحديث ، وهو من وراء علم الجغرافية ، قد أفلح فى صياغة أبعاد وتوجهات الهدف الجغرافى ، صياغة مناسبة ، حتى بانت واتضحت معالمه • ولقد التزم علم الجغرافية بهذا الهدف الجغرافى التزاما كاملا ، وهو لا يشرد أو وهو لا يتمرد على موجبات الالتزام به •

### التفكير الجغرافى والعمل الجغرافى :

ويتحمـــل الاجتهـــاد الجغرافى العلمى ، مســئولية العمـــل الجغرافى الأكاديمى على الصعيد الجامعى ، وهو شديد العناية بانجازات علم الجغرافيه العلمية • بل قل أنه قد اســتجاب لتوجهـــات الفـــكر الجغرافى ، وتحمس للهدف الجغرافى حماسا شديدا ، من غير تقصير • ولقد شاع وانتشر وتأكد هـــذا الحماس العلمى الأكاديمى للهـــدف الجغرافى ، على صـــعيد المدارس الجغرافية العلمية الوطنية ، التى كانت تتألق فى تفرغهـــا العلمى ، وتزهو بانجازاتها وبحوثها الجغرافية العلمية الممتازة ، على الصعيد الجامعى •

وكما أثمرت جهود المدارس الجغرافية العلمية الوطنية ، على الصعيد الجامعى ، أثمرت جهود الجمعيات الجغرافية الوطنية ، التى كانت تضم الهواة، جنبا الى جنب مع المحترفين المتخصصين من الجغرافيين • وفى أحيان كثيرة ،

---

(١٥) يحتوى الفكر الجغرافى معرفة جغرافية هلامية ، تشغله من غير حدود ، أما علـــم الجغرافية ، فهو الذى يحتوى هذه المعرفة الجغرافية ويحدد شكلها وأبعادها ، فى الاطار العلمى المحدودة • وتظل الصلة أو العلاقة بين الفكر الجغرافى وفلسفاته وعلم الجغرافية وقواعـــده ، علاقة أصلية واصولية ، لا يمكن انكارها أو استنكارها أبدا •

تضافرت جهود واجتهادات المدارس الجغرافية العلمية ، وجهود واجتهادات الجمعيات الجغرافية الوطنية ، فى دعم حسن الآداء الجغرافى ، على صعيد العمل الجغرافى المكتبى ، وعلى صعيد العمل الجغرافى الميدانى • وأنجز هذا الاجتهاد العلمى الجغرافى المشترك ، بحوثا جغرافية ممتازة ، وقدم كتابات جغرافية علمية وعملية ، راسخة ومفيدة •

وابتنى هذا الترسيخ الجغرافى العلمى المفيد ، الذى أثرى المكتبة الجغرافية المتخصصة ، على القواعد والأسس العلمية والأصول المنهجية ، التى حددت أبعاد ومعالم ومطالب الهدف الجغرافى العلمى • ولقد هيأت وسائل البحث الجغرافى ، أو أساليب ومناهج محددة متفق عليها ، أو معمول بها ، أمر الوصول الجغرافى الناجح ، فى معظم الأحوال الى جوهر هذا الهدف الجغرافى • وأحسنت هذه البحوث الجغرافية والدراسات ، واتقنت تمحيص وتأمل ودراسة الرؤية الجغرافية فى المكان والزمان • بل قل ان هذه البحوث الجغرافية ، قد أشبعت كل من تطلع فى شغف الى رصيد المعرفة الجغرافية أحيانا ، أو تطلع فى اهتمام الى رصيد البحوث الجغرافية العلمية أحيانا أخرى • وكانت هذه البحوث الجغرافية التى تجاوب الهدف الجغرافى ، قد تولت متابعة المدركات الجغرافية الحسية ، وهى تتكشف بالتفسير والتحليل عمقا واتساعا ، فى المكان والزمان •

وصحيح أن حسن صياغة الهدف الجغرافى ، كان أمرا ضروريا ، وهو يؤكد الاتجاه الجغرافى العلمى • وصحيح أن وضوح رؤية هذا الهدف الجغرافى ، والاستجابة له ، كان أمرا لا يجوز اهماله أو التفريط فيه ، لانجاز البحث الجغرافى الجيد • وصحيح أن حسن اختيار الدرب ، الذى يمضى فيه التوجه الجغرافى العلمى الرشيد ، الى الهدف الجغرافى ، كان التزاما لا يجوز تجاوزه ، حتى يتسنى الوصول ، الى الغاية أو باوغ الهدف الجغرافى • ولكن الصحيح بعد ذلك كله ، هو أن هذا التوجه الجغرافى الى الهدف ، قد أباح ، أو قل حفز وألزم التفكير الجغرافى ، لكى يقدم على - ويفكر جيدا فى :

( أ ) تطوير السبيل أو السبل والأساليب والمناهج ، تطويرا مناسبا يسعف الاقدام الجغرافى ، على جنى ثمرات المتغيرات فى مجالات التفكير الجغرافى ، وحسن الانتفاع بالمستجدات الفكرية المتألقة ، على الساحة العلمية بصفة عامة ، وعلى الساحة الجغرافية بصفة خاصة • ويجاوب ذلك الاقدام الجغرافى التطلع والبحث الرشيد ، عن الهدف الجغرافى

الأجود والمتجدد ، الذى لا ينبغى أن يتجمد ، أو أن يتوقف ساكنا عند حد معلوم •

(ب) تطوير الهدف الجغرافى العلمى ، تطويرا مناسبا ، يجاوب حاجة العصر ومتغيراته المتنوعة ، اجتماعيا ، وحضاريا ، وسياسيا ، واقتصاديا • وينبغى لن تخترق هذه الاستجابة ، أو أن تتجاوز كل دواعى وموجبات الجمود ، التى تستنكر وتتنافى تماما ، مع روح العصر ، وتتألق بعض المستجدات الفكرية والعلمية ، على أوسع مدى •

**التفكير الجغرافى المتفتح والتوجه الى التطوير :**

كان التفكير الجغرافى ، وهو من وراء علم الجغرافية ، تفكيرا ذكيا ومتفتحا ، لا يسكت أبدا ، ولا يكف عن استيعاب المتغيرات ومتوالياتها ، فى كل مكان ، وفى كل زمان • وقل أن هذه المتغيرات البشرية ، كانت هى شغله الشاغل ، على اعتبار أنها تتعجل التغيير ولا تسكت فى آى مكان • وما من شك فى أن هذا التفكير الجغرافى المتفتح ، كان حصيفا عندما استشعر قيمة أو جدوى الاستجابة لهذه المتغيرات البشرية ، حتى لا يعيش علم الجغرافية غريبا فى زحمة التغيير ، أو فى غربة على صعيد هذا التغيير •

وكان من الضرورى أن يفطن التفكير الجغرافى ، الى معنى هذه الغربة على صعيد التغيير ، وكيف ترسخ الغربة الجمود • ولا شىء يمكن أن يفضى اليه هذا الجمود ، غير الاستعداد للتخلف ، أو للبحث عن مكان لعلم الجغرافية، فى متحف العلوم البائدة • ومن ثم كان لا مفر أبدا ، ولا بديل عن الاقدام الجغرافى على الاستجابة لدواعى التغيير ، أو لفعل المتغيرات • ويدل التفكير الجغرافى المتفتح ، على مبلغ الاستعداد الحقيقى على استيعاب هذه المتغيرات • كما يدلل على مبلغ استعداد علم الجغرافية ، للأخذ بمنطق وفلسفات جديدة ومتجددة ، وتفضى حتما الى التطوير •

وهكذا ، ينبغى أن ندرك كيف كان هذا التوجه الجغرافى الفكرى ، الى انجاز التجهيزات والاستعدادات ، التى تفتح الأبواب أمام التطوير والأخذ بمنطق التغيير ، شيئا مهما وفعالا ، لا يجوز اهماله ، أو التهرب منه •

ولم يكن فى وسع التفكير الجغرافى أن يتجمد ، حتى يستعصى عليه توجيه علم الجغرافية الى تبنى موجبات التغيير ، أو حتى يتخلف علم الجغرافية

تخلفا مثيرا عن ركب التغيير ، الذى تفرضه وتستوجبه حاجة وروح ومنطق كل شىء فى هذا العصر ٠

وكان شغل التفكير الجغرافى الشاغل ، هو البحث عن نقطة البداية الأنسب والتى يبدأ من عندها هذا التوجه الجغرافى العلمى الى التطوير ٠ ويعكف هذا التفكير الجغرافى المتفتح بكل التأنى ، على حسن استيعاب موجبات هذا التطوير ٠ وكان وكأنه يبحث عن طرف الخيط الذى يمكن حسن استخدامه فى صياغة نسيج التغيير والتطوير ، الذى لا يؤدى الى شىء أهم من التجديد والتجويد ٠ وتتمثل نقطة البداية ، فى رأى التفكير الجغرافى ، وهى جوهرية بالفعل ، فى تطوير الهدف الجغرافى ٠ وبناء على تطوير الهدف الجغرافى ، يأخذ التغيير والتطوير مداه الفعلى ٠ ويعرف علم الجغرافية ، وهو يجاوب هذا الهدف الجغرافى الجديد ، طريقه الأنسب الى التجديد والاضافة أحيانا ، والى التجويد والتألق أحيانا آخرى ٠

ويمثل الاقدام الفكرى الجغرافى المتفتح ، على تطوير الهدف الجغرافى ، استجابة لحاجة العصر ومتغيراته ، اقداما رزينا وغير متعجل ٠ ويعرض هذا الاقدام الفكرى الجغرافى الرزين ، بعض أهم المستجدات ، على المساحة الجغرافية العلمية ، عرض الواثق من جدوى هذه المستجدات الفكرية الجغرافية ٠ ويجاوب علم الجغرافية هذه المستجدات ، ويحسن استيعابها ، وهو يطور الهدف الجغرافى ٠ وفضلا عن كونه قد أصاب أو أفلح فى هذه المهمة ، فانه لم يتخبط ، أو لم يضل أبدا ، وهو يخوض هذه التجربة التى تجدد حيويته ، وتجود فاعليته العلمية ٠

ويحق أن نستفسر عن دواعى الاستجابة أولا لحاجة العصر ، وعن مبلغ استجابة التفكير الجغرافى لهذه الحاجة ، التى لا يجوز التهرب منها أبدا ٠ كما ينبغى أن نسأل عن الكيفية التى توضح بموجبها هذه الاستجابة الفكرية الجغرافية ، حتى يتهيأ علم الجغرافية ، ويصبح فى خدمة وطوع بنان ومنطق وفلسفات وتوجهات الحاجة فى هذا العصر ٠ ثم يحق علينا ، قبل أن يحق لنا ، أن نجاوب بوضوح ، على من يسأل عن المستجدات على الساحة الجغرافية ، وكيف تأتت الدواعى التى أخذت بزمام التفكير الجغرافى ، حتى أفضى فى نهاية المطاف ، الى تطوير الهدف الجغرافى ٠ وما من شك فى أن تطوير هذا الهدف ، هو الذى أعلن عن نشأة أو ظهور علم الجغرافية المعاصرة ٠

وهكذا ، ينبغى أن نبحث عن النقطة الحاسمة ، التى يتأتى عندها

أو يتأتى بموجبها ، التحول الحقيقى من مرحلة العناية بالهدف الجغرافى ، كما أراد له الفكر الجغرافى الحديث أن يكون ، الى مرحلة العناية بالهدف الجغرافى المتطور ، كما يريد له الفكر الجغرافى المعاصر أن يتحقق ، فيجاوب حاجة العصر ومتغيراته • وقل بعد ذلك ، وأهم من ذلك كله ، أنه ينبغى البحث جيدا عن كنه هذا التحول ، أو عن جوهر هذا التطوير ، فى الهدف الجغرافى • ومن ثم نعرف كيف يحمل هذا التغيير الدراسة الجغرافية العلمية ، شكلا وموضوعا ، على المضى الرشيد ، فى الاتجاه العلمى السديد، نحو الهدف الجغرافى الأفضل •

ولم يبدأ اقدام الاجتهاد الفكرى الجغرافى على هذا التحول ، أو على ابداع وانجاز دواعى وأسس تطوير الهدف الجغرافى ، أصلا من فراغ • وفى الاعتقاد الجغرافى أن هذا الاقدام ، قد أبتنى على تفتح التفكير الجغرافى ، حتى تكون الاستجابة المناسبة ، لدواعى هذا التحول ، والانشغال بها • ومع ذلك فيجب أن نثق فى أن الفكر الجغرافى الحديث ، كان قد أحتوى فى صلب أو فى جوهر مكوناته وتوجهاته ، دواعى أو موجبات الاستعداد المناسب لهذا التطور السديد • وقل أن التفكير الجغرافى لم يكن أصلا ، على استعداد للجمود ، بل تطلع دائما الى التطور • بمعنى أن التفكير الجغرافى ، على امتداد المشوار الطويل ، وهو فى صحبة حركة الحياة الانسانية ، لا ولم ولن يكون عقيما ، أو جامدا • بل لقد برهن دائما ، على الحيوية والاصرار على التجديد والتجويد • كما يبرهن أيضا على الاستعداد الدائم للتطور ، وهو الذى لا يكف عن التأمل ، فى كنه أو جوهر المدركات الجغرافية الحسية ، وانشغاله الفكرى بها ، فى المكان والزمان •

ومن خلال الحوار الفكرى الجغرافى الرزين ، والجدل العلمى الموضوعى الهادىء ، الذى تفجره بعض التأملات ، أو هذا التمحيص ، كانت كل الدواعى والموجبات ، التى أحسنت توظيف الاستعداد الفكرى الجغرافى للتطور ، أو التى فرضت الاستجابة الرشيدة لفعل المتغيرات والاقبال على التغيير • وقل أن هذا الحوار الفكرى الجغرافى ، قد ألهب هذا الاستعداد • وحفز التفكير الجغرافى فلم يسكت أبدا عن العمل الجاد ، لحساب التطور والتغيير • وهذا معناه ، بكل تأكيد ، أن مسألة أستيعاب المتغيرات ، التى كانت وما زالت تمنيها حاجة العصر ، هو الذى يفجر الحوار الفكرى الجغرافى ، ويثير الجدل العلمى الموضوعى ، فى ظل استعدادات الوعى الجغرافى واقباله على التغيير والتطوير • ويفضى هذا الحوار الفكرى الجغرافى ، بالضرورة الى نقطة التحول • وعند هذه النقطة ، يولد الفكر الجغرافى

المعاصر ، من صلب الفكر الجغرافى الحديث • وتكون هذه الولادة طبيعية ، لا يجوز الطعن فيها ، أو الطعن فى صحة وسلامة هذا النسب ، أو التشكيك فيـه •

وعندئذ ، ينبغى أن نستفسر عن القضية أو القضايا ، التى تثير هذا الجدل ، أو التى تفجر هذا الحوار المثمر • وصحيح أن هذا الحوار الفكرى الجغرافى قد تناول أكثر من قضية من القضايا ، التى تجسد اهتمامات العناية الجغرافية بالأرض ، وبالانسان فى ربوع الأرض ، وبالتفاعل الحياتى والعلاقة بين الانسان والأرض • ولكن الصحيح أن تقصى حقيقة هذه العلاقة وهى تسفر عن التفاعل الحياتى ، هو الذى يجسد أهم القضايا ، التى كانت تستحق هذا الجدل والحوار الفكرى الجغرافى • وقل أن هذه العلاقة وهى التى تتخذ شكلا من أشكال المواجهة ، وتجرى فى اطار هذه العلاقة ، بين الانسان وهو يطلب التعايش فى المكان والزمان من ناحية ، والأرض وهى التى تجاوب أحيانا ، أو التى تماطل أحيانا أخرى فى الاستجابة لهذا الطلب من ناحية أخرى ، قد ألهبت هذا الحوار الفكرى الجغرافى • بل قل أنها هى التى تفجر ديناميكية هذا الحوار الفكرى الجغرافى ، تفجيرا أفضى الى التوجه الحاسم نحو هذا التحول ، أو التغيير فى الهدف الجغرافى ، الى ما هو أعمق ، وأكثر جدوى • وتعجل ديناميكية هذا الجدل ، أو هذا الحوار ، بولادة الفكر الجغرافى المعاصر • وينحسر الفكر الجغرافى الحديث ويقدم تنازلاته • ونتألق اتجاهات واهتمامات وآداء علم الجغرافية المعاصرة لحساب التجديد والتجويد الجغرافى بصفة عامة •

## الحوار حول قضية العلاقة بين الانسان والطبيعة :

فى هذا الحوار الفكرى الجغرافى ، اتفقت كل الأطراف الجغرافية المعنية والمشتركة ، على أن العلاقة بين الانسان والأرض ، من أجل التعايش ، تستوجب المواجهة بينهما ، فى المكان ، من حين الى حين آخر • ولا تفضى هذه المواجهة ، بين عناصر الطبيعة ، وهى التى تتغير ولا تعرف الثبات فى المكان والزمان من ناحية ، ومهارات الانسان المتنوعة ، وهى التى تتغير أيضا فى المكان والزمان من أجل التعايش من ناحية أخرى ، الى شىء أهم من صنع وابداع التغيير والمتغيرات • وبناء على تكرار هذه المواجهة من حين الى حين آخر ، كلما استجدت بعض المتغيرات ، تحافظ هذه العلاقة بين الانسان والأرض على دواعى ومقومات ديناميكية التغيير • وبنـاء على المحافظة على هذه الديناميكية ، تكون هذه المواجهة فى المكان والزمان حتميـة ، وتتكرر

مع تكرار دواعي التغيير من أجل حسم وانهاء هذه المواجهة في نفس المكان ، من حين الى حين آخر ، لحساب الانسان ٠

وفي هذا الحوار الفكرى الجغرافي ٠ اتفقت الأطراف المعنية ، على أن العلاقة بين الانسان والارض هي علاقة تبعيه ٠ بمعنى أن يكون هناك التابع وهناك المتبوع ٠ ومن ثم يكون التصور الذى يوقع التابع في قبضة المتبوع ويفرض عليه أن يمتثل ٠

وفي هذا الحوار الجغرافي الفكرى ، اختلفت الأطراف المعنية ، على من كان في وسعه ، من خلال المواجهة أن يفرض التغيير ، وينهى المواجهة لصالحه ، في المكان والزمان ٠ وانحازت بعض الأطراف في هذا الحوار الى صف الطبيعة أو الأرض ، وانحازت بعض الأطراف الى صف الانسان٠واعتمد كل طرف في انحيازه على ، حساب قدرات وامكانيات الفعل في الصف الذى انحاز اليه ٠ ومع ذلك كان ينبغي أن يصل هذا الحوار الفكرى الى الاتفاق في نهاية المطاف ، الى رأى حاسم ، ينهى ، أو يفض هذا الاختلاف ، حول محصلة التفاعل الحياتى ، والعلاقة بين الانسان والأرض ٠

وكان من الضرورى ، أن يبتنى هذا الرأى الحاسم ، على تصور معقول ومتوازن ، لموقف وامكانيات ، أطراف المواجهة ، وهي التى تتكرر في نفس المكان ، استجابة للمتغيرات وديناميكية التغيير ، من حين الى حين آخر ٠ وليس أقل من أن يجسد هذا التصور المتوازن ، مهارات الانسان وهو لا يستدبر الطبيعة ، ولا يترك لها أن تخذله ، أو أن تتلاعب به وبحياته في المكان من جانب ، وفعل الطبيعة وقوتها ، وهي لا تصرف النظر عن حضور الانسان ، ولا تترك له أن يعبث بها ، أو أن يعيث في المكان فسادا من جانب آخر ٠ بمعنى وجوب الوصول ، في اطار هذا التصور المتوازن ، الى :

( أ ) معنى استمرار العلاقة ، بين الانسان والأرض ، وحتمية المواجهة بينهما في المكان والزمان من أجل التعايش ٠

(ب) توقع حدوث هذه المواجهة المتكررة ، في نفس المكان ، من حين الى حين آخر ، في اطار فعل وفاعلية وتفاعل المتغيرات المتبادلة بين أطرافها المعنيين ٠

وانطلاقا من هذه الرؤية الفكرية الجغرافية لهذه المواجهة ، ومن الرأى الجغرافي عن أطرافها المعنيين ، تفاوتت أحكام ووجهات نظر الاجتهاد

الجغرافى ، تفاوتا شديدا • وانزلق هذا التفاوت الذى ابتنى على التقويم فى خطيئة التعصب ، لطرف من الطرفين • وقل اختلفت هـــذه الآراء ، وتصارعت واســتغرقت فى ســيل جارف من الجــدل والحوار الفكرى الجغرافى • ومن خــلال التعصب للرأى الجغرافى ، انكب الجـدل العلمى ، والحوار الفكرى الجغرافى فى ســيل من المغالطات والمبالغــات والتنــاقض الشديد ، وهو يطالع أو وهو يتعقب أبعــاد هذه المواجهة بين الانســان والطبيعة ، فى المــكان والزمان • كمــا استغرق فى محصــلة التعصب والانحياز ، وهو يتامس الكيفية التى تتكرر بموجبها هذه المواجهة فى نفس المكان ، من عصر الى عصر آخر ، والـكيفية التى يحسم بموجبهـا هـــذا التكرار ، لحساب الاسـان والتعايش المستمر فى المـكان • ولقـد أثرت البحوث الجغرافية التى أسفر عنهـا هـــذا الحوار الفـكرى الجغرافى ، علم الجغرافية بصفة عامة • وقل أنها أضافت شيئا مفيدا الى الرصيد الجغرافى الفكرى والعلمى ، على حـد سواء • ويكفى أن نذكر كيف أثارت هـــذه المحاورات مسألة الاتجــاه الى **التقويم الجغرافى** ، وحساب جـدوى قدرات الأطراف المعنية فى المواجهة ، بين الانسان والطبيعة •

وأصاب الاجتهاد الجغرافى ، الذى أثار هـذا الجدل العلمى ، أو الذى أجرى هذا الحوار الفكرى ، عندما عاين جولات المصارعة أو المواجهة ، بين الانسان والطبيعة ، على صعيد الأرض ، فى ظل عـلاقة لا يمكن أن تنفصم أبدا • كما أصاب هذا الاجتهاد الجغرافى أيضا ، فى الجدل والحوار الفكرى ، عندما أقر بتكرار أو بحتمية هذا التكرار بين أطراف المواجهة ، فى المكان ، من حين الى حين آخر ، وعندما أقر بالوصول فى أعقاب كل جولة من جولات المواجهة الى نتيجة مناسبة ، يبتنى عليها فى كل مرة قواعد التعايش ، أو أسس المصالحة بينهما ، فى المكان والزمان • ولكن يتجنى الاجتهاد الجغرافى الفكرى ، ويقع فى أســوأ الخطأ ، عندما ينحاز من خــلال الحوار الفكرى الجغرافى متعمدا الى طرف من أطراف هـــذه المواجهة ، على حســاب الطرف الآخر ، فى المكان والزمان •

وتأسيسا على هذا المبدأ ، الذى انكب على وجهه ، فى خطيئة الانحيــاز من غير حق ، الى أحد الطرفين فى هذه المواجهة ، افترقت وجهــات النظر الجغرافية ، وافتقــد الرأى الجغرافى موجبات التصور المتوازن عنهمــا • وتأسيسا على تناقض الآراء الجغرافية ، تمضى وجهــات النظر الجغرافية على دربين متباينين ، فى صحبة التعصب والانحياز • ويمضى هـذا الانحياز ، على النحو التالى :

( أ ) على درب من هـذين الدربين ، لم يلتزم الاجتهـاد الجغرافى الفكرى ، وهو ينحاز ، بل وهو لا يتجرد من خطيئة التعصب ، ولا يعتنى بالتصور المتوازن لأطراف المواجهة ، الى تصور ، يجرد الطبيعـة من قوة الفعل ، وواقعية التغيير فى اطار هذا الفعل ، ويترك للانسـان الحبل على الغارب •

(ب) على الدرب الآخر ، لم يلتزم الاجتهاد الجغرافى الفكرى ، وهـو ينحاز ، بل وهو لا يتجرد من خطيئة التعصب ، ولا يعتنى بالتصور المتوازن لأطراف المواجهة ، ويصل الى تصور يجرد الانسان من مهاراته ، وواقعيـة التغيير فى اطار هذه المهارات ، ويترك للطبيعة الحبل على الغارب •

وذهب كـل رأى من هـذين الرأيين ، مذهبـا منحازا(١٦) ومتحمسا لرؤية المواجهة التى تنكرر بين الانسان والأرض ، من حين الى حين آخر • وقل أطل كل رأى منهما ، على أطراف هذه المواجهة ، من زاوية الانحيـاز والتعصب الضيقة • ومن شأن هذه النظرة الضيقة ، أن تضيق الخناق على انحياز ، كل من أطل على هذه المواجهة ، وأدلى برأى عن أطرافها ، فى المكان والزمان • وكان حتما أن يضل ، من تصور بناء على هـذه النظرة الضيقة المستغرقة فى الانحياز ، وهو يباشر ويقوم ويحسب عناصر الحسم ، التى تسفر عن نتائج الفعل ورد الفعـل من المتغيرات ، وتصـنع جدوى هـذه المواجهة • كما يضل أيضا ، وهو يتصور كيف تضع هـذه النتائج قواعد التعايش الأنسب ، بين الانسان والطبيعة فى ربوع الأرض ، فى شـكلها وجوهرها الصحيح ، على صعيد المكان والزمان •

واتجه فريق جغرافى برأيه المنحاز ، وبحثه الجغرافى المتعصب ، الى حشد الحجج والبراهين لـكى يدلل على قوة فعـل الطبيعـة ، ومبلغ تأثير متغيراتها المتوقعة ، فى المكان والزمان • كما كان يدلل على أنهـا هى التى فى وسعها أن تضبط حركة الحيـاة ، وليس على الانسـان أو على حركة الحياة ، الا أن تنضبط انضـباطا يطاوع الطبيعة • وأهدر هـذا التوجه المنحاز ، مهارات الانسان ، وفاعلية وسائله الحضارية • كما أهـدر تقويم المتغيرات البشرية ، ولم يعمل لهـا الحساب الذى تستحقه جدوى هـذه المتغيرات ، فى المكان والزمان •

واتجه فريق جغرافى آخر برأيه المنحاز ، وبحثه الجغرافى المتعصب ، الى حشد الحجج والبراهين ، لكى يدلل على قوة فعل الانسان ، ومبلغ تأثير

---

(١٦) الشامى ، صلاح الدين : الندية بين الطبيعة والانسان ، الكويت ، ١٩٨٥ •

متغيراته المتوقعة ، في المكان والزمان . كما كان يدلل على أنهـا ، هي التي في وسعها أن تضبط عناصر الطبيعة في ربوع الأرض ، وليس على الطبيعة الا أن تنضبط انضباطا يطاوع الانسان ، وأن تستسلم لمهاراته أو لوسائله الحضارية الفاعلة . وأهدر هذا التوجه المنحاز ، قوة فعل الطبيعة ، وفاعلية عناصرها المؤثرة . كما أهدر أيضا ، مبلغ تأثير متغيراتها ولم يعمل لهـا الحساب ، الذي تستحقه جدوى هذه المتغيرات ، في المكان والزمان .

وأثرى هذا الجدل بين هذين الفريقين ، الحوار الجغرافي الفكري ، اثراء كبيرا ومتألقا . وأضاف البحث الجغرافي اضافات جيدة تستحق الاهتمام ، الى الرصيد الجغرافي العلمي والفكري ، على حد سواء . وبرهنت نتائج هذه البحوث الجغرافية عن محاولات أولية في التقويم ، وابداء الرأى في الرؤية الجغرافية. ومع ذلك برهنت بحوث جغرافية كثيرة، كانت غارقة ومستغرقة في الحتم الجغرافي ، عن انحياز فاضح الى صف الطبيعـة . وكان ينبغي ابداء كثير من التحفظات على هذا الانحياز ونتائجه . كما برهنت بحوث جغرافية كثيرة أخرى ، كانت متورطة في الامكانية الجغرافية ، على تحيز أو تعصب مفضوح الى صف الانسان . وكان ينبغي أيضا ابداء الكثير من التحفظات على هذا التعصب ونتائجه .

## حسم الحوار وبداية التطور الحقيقي في الهدف الجغرافي :

وأسفر هذا الجدل والحورا الجغرافي الفكري ، الذي يتمادى في الانحياز والتعصب ، على الوجهين المتناقضين ، عن ظهور الرأى الجغرافي المتحفظ . ويتجنب هذا الرأى المتحفظ الوقوع في خطيئة التعصب والانحياز . بل قل أن هذا الرأى الجغرافي المتحفظ ، قد أعرض عن كـل موجبات الانحيـاز والتعصب . وأبدى هـذا الرأى الرزين قدرا مناسبا من التحفظ ، علـى تصور قوة فعل الطبيعة ومتغيراتها الفـاعلة في ربوع الأرض في جانب ، وعلى تصور قوة فعل وسائل الانسان ومتغيراته الفاعلة في ربوع الأرض ، في جانب آخر .

وبناء على شيء من حسن التقويم الجغرافي ، الذي يطالع العـلاقة بين الانسان والأرض ، ويحسب حسـاب قوة فعل كل منهمـا ، كان الرأى الجغرافي المتحفظ . وهـذا الرأى المتحفظ ، هو الذي يستهجن الانحيـاز تماما ويتجنبه ، وهو الذي يحسن استيعاب أبعاد المواجهة بين الانسـان والأرض . في المكان والزمان ، وهو الذي يحسب حساب الجـدوى وعينه لا تغفل عن قوة فعل أطراف هذه المواجهة . وكأن هذا الاتجاه الجديد ، قد

تأتى ، فى تقويم جغرافى أفضـــل للرؤية الجغرافيـــة ، ولم يتـورط فى الانحياز • بل قل أن هذا هو الرأى السليم الذى أعرض عن تصور العلاقة وهى علاقة تبعية • يضبط فيها المتبوع وينضبط المتابع ، وأقبل على تصور العلاقة ، وهى علاقة بين ندين متكافئين فى قوة الضبط والانضباط المتبادل•

ويتعمد هذا الانجـــاه الجغرافى الجديد ، الانتصـــار لفكرة جغرافيـــة متوازنة ورزينة متحفظة ، لا تقع فى ورطة الانحياز • وتصور هذه الفكرة الجغرافية المتوازنة ، من خلال التمعن فى المواجهة ، وحسن تقويم نتائجهـا كلما تكررت على صعيد نفس المـــكان ، من حين الى حين آخر • مسألتين هامتين هما :

( أ ) قوة فعل الطبيعة المباشر وغير المباشر ، ومبلغ تأثير متغيراتها وكيف أنها فى نهاية الأمر تضبط وتنضبط •

(ب) قوة فعل وسائل الانســـان المباشر وغـير المباشر ، ومبلغ تأثير متغيراتها ، وكيف أنه فى نهاية الأمر ، يضبط وينضبط •

ويسفر مفهوم هذا الضبط والانضباط المتبادل ، فى اطار المواجهة ، كلما تأتت على صعيد الأرض فى المكان والزمان ، عن فهم جيد للعلاقة بين الانسان فى ربوع الأرض ، والطبيعة فى هذه الأرض ، وعن تصور جغرافى يتبين كيف تمضى هذه العلاقة ، وما الذى تفضى اليه نتيجة المواجهة ، فى المكان والزمان • كما تسفر أيضا ، عن تصور مفهوم المصالحة بينهما بعـد انهاء المواجهة وحسم الموقف ، وكيف يبتنى الحـد الأنسب ، الذى يرسخ هذه المصالحة بين أطراف المواجهة ، لحساب التعايش فى المـكان والزمان • ومن خلال رصد التكرار وتجدد الأوضاع التى تستوجب المواجهة فى نفس المكان من حين الى حين آخر ، يتبين الرأى الجغرافى • كيف أن المصالحة تمثل حدا قابلا للتغير فى المكان ، لحساب أحد الأطراف ، بعد كل جولة من جولات المواجهة ، التى تتكرر من حين الى حين آخر •

ولحساب هـذا الفهم الجغرافى ، أدرك الفـكر الجغرافى المتفتح ، مبلغ الحاجة الى الرأى الجغرافى السديد ، الذى يصـــدر حكما على العـلاقة بين الانسان والطبيعة فى ربوع الأرض ، وهما على صعيد المواجهة ، أو بعد أن تنتهى هذه المواجهة ، بانشاء الحد الجديد للمصالحة بينهما • ولا شيء يوفر هذا الرأى الجغرافى الأنسب ، ويسدد خطاه ، فلا يقع فى خطيئة الانحياز .. أفضل من حسن التقويم الجغرافى •

وحسن توظيف التقويم الجغرافى ، يكون مطلوبا بالضرورة ، للحكم السليم على قوة فعل الطبيعة ومتغيراتها وحساب مدى القدرة على الضبط فى المكان والزمان ، ومبلغ الاستعداد فى المقابل ، للانضباط استجابة لمهارة فعل الانسان ومتغيراته · كما يكون حسن التقويم الجغرافى مطلوبا مرة أخرى ، للحكم السليم ، على مهارة فعل الانسان ، وحساب مبلغ القدرة على الضبط ، وحساب مدى الاستعداد للانضباط ، استجابة لقوة فعل الطبيعة ومتغيراتها ·

وفى الاعتقاد الجغرافى السائد ، على صعيد التفكير الجغرافى الرشيد أن اضافة هذا التقويم الجغرافى الى اهتمامات الاجتهاد الجغرافى ، يمثل اضافة مثيرة · وقل أنها تمثل خطوة مهمة وفعالة ، وهى التى تضيف الى العناية الجغرافية بالتوزيع ، وبالتعليل ، وبالربط ، شيئا مفيدا وغاية فى الأهمية · ذلك أن هذا التقويم الجغرافى يصطنع بعدا جديدا ، من الأبعاد التى يزداد بموجبها البحث الجغرافى عمقا · بل قل أنه يفتح الطريق أمام حسن ابداء وحسن صياغة الرأى الجغرافى السديد · وهو الذى يؤدى — فى نهاية المطاف — الى تأكيد التزام الاجتهاد الجغرافى بحسن حساب جدوى كل العناصر ، لكى تكون العناية الجغرافية ، لحساب الانسان وانتصاراته ، أو لحساب سيادته المتفردة ، على صعيد الأرض ، فى المكان ، وفى الزمان ·

وتوظيف **التقويم الجغرافى** وحسن استخدامه فى صياغة الرأى الجغرافى ، واضافته الى أبعاد دراسية أخرى ، وهى تتناول الظاهرة الجغرافية أو الموضوع الجغرافى ، قد أفضى الى نقطة التحول فى علم الجغرافية · ولقد سجلت نقطة التحول ، بدايات التألق فى الفكر الجغرافى المعاصر وعلامات الانحسار المرتقب فى الفكر الجغرافى الحديث · واستوجبت بدايات هذا التألق فى الفكر الجغرافى المعاصر ، اعادة النظر بكل التأنى ، فى الهدف الجغرافى شكلا وموضوعا ، من أجل تطويره · والفرق كبير جدا ، بين دراسة جغرافية ، أو انجاز بحث جغرافى ، من خلال التوزيع والتعليل والربط ، حسب مفاهيم الفكر الجغرافى الحديث ، الذى لا يبادر الى عرض الرأى الجغرافى ، ودراسة جغرافية ، أو انجاز بحث جغرافى ، من خلال التوزيع والتعليل والربط ، والتقويم حسب مفاهيم الفكر الجغرافى المعاصر ، الذى يعتنى بابداء الرأى الجغرافى · بل قل الفرق كبير جدا ، بين بحوث تجسد الرؤية الجغرافية فقط ، وبحوث مستحدثة تضيف الرأى الجغرافى السديد ، تعقيبا على هذه الرؤية الجغرافية ·

ومهما يكن من أمر ، فان اقدام الاجتهاد الجغرافى العلمى ، على حسن الاستماع لمفاهيم الفكر الجغرافى المعـــاصر ، كان اقداما يتفجر بالحيـوية ، وحسن العناية باجراء التقويم الجغرافى • ولقد هيأ ذلك كل أسباب أو كل موجبات الاستعداد الجغرافى الرشيد ، للتجديد والمتجويد ، الذى يثرى به البحث الجغرافى ، وتقصى الحقيقة الجغرافية • كمـا هيأ أيضـا ، الاستعداد الجغرافى العلمى والعملى ، لمبـــاشرة الأداء والعمل الجغرافى ، فى الحقـــل الجغرافى التطبيقى(١٧) •

ويفتح هذا الاستعداد الجغرافى – على كل حال – آفاقا جـــديدة فى مجالات كل القضايا الحيوية • وتمثل هذه القضايا ، كما كانت من قبل ، الشغل الشاغل للباحث الجغرافى ، عن الأرض ، وعن الانســـان فى ربوع الأرض ، وعن التفاعل الحياتى بين الانســـان والأرض • وقل تفتح أبواب الخروج الجغرافى العلمى المتفتح ، من جمـــود النظرية ، الى مرونة التطبيق الجغرافى • ولا تسفر مرونة التطبيق الجغرافى العلمى والعملى ، عن شىء مثير ، أهم من الاسهام الجغرافى الحقيقى ، فى توفير وصياغة النتـائج الجغرافية ، التى تنتفع بها حركة الحياة ، وسيادة الانســان على الأرض ، أو التى تؤمن حضور الانسان ومصيره ، فى ربوع الأرض ، فى المكان وفى الزمان •

---

(١٧) الشامى ، صلاح الدين : التقويم الجغرافى ، انطلاقة التجديد والتجويد فى العمل الجغرافية – مجلة كلية الآداب – جامعة صنعاء – سنة ١٩٨٢ •



الفصل السادس

# التقويم الجغرافى ....
# والمضى فى تطوير الهدف

- تمهيـــــد
- التقويم الجغرافى وتجاوز الرؤية الجغرافية الى الرأى الجغرافى
- التقويم الجغرافى والعمل التطبيقى
- العمل الجغرافى التطبيقى فى خدمة التنمية الشاملة

# الفصـل السادس

## التقويم الجغرافى ، والمضى فى تطوير الهدف

ينبغى أن نتفق ، ولا نختلف أبدا على أن الاجتهاد الجغرافى العلمى ، يكون فى وسعه ، وتسعفه الوسيلة والمنهج دائما ، وهـو يتناول الظاهرة الجغرافية المعنية فى المكان والزمان ، أن يجسد الرؤية الجغرافية ، تجسيدا مناسبا • وكلما أحسن هذا الاجتهاد الجغرافى العلمى ، وأجاد فى توظيف التوزيع والتعليل والربط ، فى أجزاء الدراسة الجغرافية المتأنية ، أفلح فى وضوح هذه الرؤية الجغرافية ، وفى تجويد التعبير عنهـا ، على صـعيد المساحة المعنية • وكم أجاد الاجتهاد الجغرافى فى مجـالات حسن توظيف سعة الاطلاع وحسن الانتفاع بالدراسة المكتبية ، وفى مجـالات حسن أداء العمل الجغرافى الحقلى ، من أجل هذا التجويد فى البحث الجغرافى

ووضوح الرؤية الجغرافية على صعيد المساحة المعنية ، وحسن بيـان أبعادها من خلال التوزيع والتعليـل والربط ، وجودة التعبـير الجغرافى عنها ، كان هو غاية ما كانت ترنو اليه الجغرافية الحـديثة • بل قل أن الوضوح وحسن البيان وجودة التعبير ، كان هـو الانجاز المناسب ، الذى جاوب الهدف الجغرافى • وما استوجب هـذا الهدف الجغرافى من الباحث شيئا أهم من جمع أوصال الرؤية الجغرافية ، عن الظاهرة الجغرافية المعنية ، او عن الموضوع الجغرافى •

### التقويم الجغرافى وتجاوز الرؤية الجغرافية الى الرأى الجغرافى :

ولكن ما أن أقدمت الجغرافية المعاصرة على العناية والاهتمـام الذى تجاوز حدود التوزيع والتعليل والربط ، وانهمك فى التقـويم الجغرافى ، حتى تطور الهدف الجغرافى • ولقد تأتت بناء على هذه الاضافة المهمة ، كل دواعى التجديد والتجويد فى العمل الجغرافى • وحملت هذه الاضافة التى تتمثل فى التقويم الجغرافى ، الاجتهاد الجغرافى مسئولية ، الانتقـال من مجرد عرض الرؤية الجغرافيـة الى ابداء الرأى الجغرافى الصريح فى هـذه الرؤية • ومن خلال تطور الهدف الجغرافى ، يأتى الالحـاح فى طلب هـذا الرأى الجغرافى •

ويكون هـذا الرأى الجغرافى الصريح أو الحصيف ، امتدادا للرؤية الجغرافية ، وتعليقا عليها ، وتعقيبا على حسن تقويمها ، فى المكان والزمان • وقل أنه يمثل الاضافة الجادة ، التى لا يجوز الاستخفاف بهـا ، وهى التى تكفل التجويد أحيانا ، أو وهى التى تكفل التجديد أحيانا أخرى • ولا شىء يمكن أن يجسد الرأى الجغرافى فيما تعبر عنه الرؤية الجغرافية المعنية فى المكان والزمان ، أو فيما تنبىء به ، غير اقدام الاجتهاد الجغرافى المعاصر ، على حسن توظيف التقـويم الجغرافى ، وعـلى حسن ابداء الرأى الجغرافى القاطع عن الظاهرة الجغرافية ، أو عن الرؤية الجغرافية المعنية• وحسن عرض الصورة الجغرافية ، يجاوب جزءا من الهدف الجغرافى ، وابداء الرأى الجغرافى فى هذه الصورة الجغرافية ، يحقق كل الهدف الجغرافى •

وفى الاعتقاد الجغرافى المعاصر ، أن الرؤية الجغرافية ، التى يعرضها البحث الجغرافى عرضا جادا وجيدا ، تكون مفيدة ومطلوبة • بل لا يجوز اهمال هذا العرض الجيـد ، أو التفريط فى المنهج ، أو فى حسن التوجـه الجغرافى ، الذى يتحلى بالمهارة ، فى جمع ولم شمل مكونات هـذه الرؤية الجغرافية • ولكن الرؤية الجغرافية ، التى يضاف اليهـا ، أو التى يبتنى عليها الرأى الجغرافى ، وهو الذى يقدر قيمة هذه الرؤية ، فى المكان وفى الزمان ، تكون أكثر فائدة وأكثر موضوعية ، من وجهة النظر الجغرافية • بمعنى أن رؤية جغرافية يتبعها رأى جغرافى يعبر عن قيمة هذه الرؤية فى المكان والزمان ، تكون أتم وأنفع من رؤية جغرافية متجردة تماما ، من هذا الرأى الجغرافى •

وما من شك ، فى أن الرأى الجغرافى ، الذى يقـول شـيئا مهمـا وقاطعا ، عن قيمة الرؤية الجغرافية • يعرف جيدا ، ماذا وكيف ومتى يقول هذا الحكم ، وهو يقدر قيمة هذه الرؤية الجغرافية ، لحساب الانسان • وقل أن الهدف الجغرافى ، قد تطور تطورا مناسـبا ، يناسب هـذه الاضـافة الجيدة ، التى يتقدم بها ، أو التى يسفر عنها هذا الرأى الجغرافى • وهـذا معناه ، أن الرأى الجغرافى الذى لا يبدأ من فراغ ، بل هو يبتنى على صاب الرؤية الجغرافيـة ، كان لا ينتهى أبدا ، أو كان لا يتـأتى ، من غـير غاية منشودة • وتجاوب هـذه الغـاية المقصودة جغرافيـا ، الهدف الجغرافى ، وصلب جوهره المعاصر •

ومن غير الاستغراق العميق فى جـوهر المنطق الجغرافى الموضـوعى المعاصر ، أو فى كنه الفلسفات الفكرية الجغرافية المعـاصرة ، التى وجهت

وتوجه البصيرة الى التقويم الجغرافى ، وأنبتته وتنبته نباتا حسنا لحساب الرأى الجغرافى واضافته المفيدة عن الرؤية الجغرافية المعنية ، ينبغى أن نشير الى حقيقة هامة ، عن هذا التوجه الجغرافى المعاصر الحميد • وتجسد هذه الحقيقة معنى التحول من الاعتماد الجغرافى على البصر فى المعاينة فقط ، الى الاعتماد على البصر فى هذه المعاينة ، وعلى البصيرة فى ابداء الرأى ، والحكم على هذه المعاينة الجغرافية ، فى المكان والزمان •

وتأتى هذا التحول حقيقة ، عندما استشعر الاجتهاد الجغرافى العلمى وهو يتناول التعامل • بين الانسان والأرض ، من أجل جنى ثمرات استخدام الأرض ، وترسيخ حضور الانسان وتأمين تعايشه ، وتقوية قبضته ، فى المكان والزمان ، التفاوت الكبير فى مستويات هذا التعامل ، وفى نتائجه • وكان هذا التفاوت فى مستويات التعامل فى المكان من عصر الى عصر آخر ، من أهم الدواعى التى كانت تستوجب وقفة التأمل وحساب الجدوى ، التى يسفر عنها التقويم الجغرافى • وسواء توجه هذا التقويم الجغرافى ، الى حساب أبعاد هذا التفاوت ، أو توجه الى تقويم مستويات هذا التفاوت ، وصولا الى جوهره الحقيقى ، فانه قد أحسن توجيه هذا التقويم الجغرافى • ولقد استوجب حسن توجيه التقويم الجغرافى ، توجيه عناية الباحث الجغرافى ، الى حصر وبيان المسئول الحقيقى عن مثل هذا التفاوت ، ومبلغ اختلاف مستوياته ، فى المكان والزمان •

وأرجع على سبيل المثال - الى توجهات الاجتهاد الجغرافى العلمى ، الذى يخرج الى الميدان ، أو الى الحقل ، لانجاز العمل الجغرافى • وأعلم أنه يطل بالعين الجغرافية الواعية ، على استخدامات الانسان للأرض ، ثم يطل بالبصيرة الجغرافية عليها ، لكى يقوم ويحكم على :

• ( أ ) مهارات وخبرات الانسان ، فى صحبة العمل والوسيلة ، التى تسعفه فى طلب انتاج الموارد المتاحة ، على أى شكل ، وفى أى وضع •

(ب) مهارات وخبرات الانسان ، فى صحبة العمل والوسيلة ، التى تسعفه فى طلب السكن والحضور فى ربوع الريف ، أو فى ربوع الحضر •

(ج) مهارات وخبرات الانسان ، فى صحبة العمل والوسيلة ، التى تسعفه فى طلب الخدمات أو فى توفير المرافق وكل الميسرات ، التى تؤمن حركة الحياة •

وكان حتما على هذه العين الجغرافية الواعية ، وهى ترقب ذلك كله ، أن تكون مدققة بالفعل ، ولا ينبغى أن تتوقف عند حد الاكتفاء بالرؤية الجغرافية • بل كان من الضرورى أن تكون البصيرة الجغرافية التى تعلن عن الرأى الجغرافى ، واصدار الحكم الجغرافى عن هذه الاستخدامات • وقل أن طلب هذا الحكم على هذه الاستخدامات ، وهى تلبى مطالب الانسان فى المكان والزمان ، هو الذى استوجب التقويم الجغرافى ، حتى يتسنى تقويم هذه الاستخدامات ومستوياتها تقويما جغرافيا كاشفا ، لمبلغ التفاوت بين هذه المستويات • ومن خلال هذا التقويم الجغرافى الذى يعتمد على كفاءة البصيرة الجغرافية ، يعرف الاجتهاد الجغرافى ، كيف يميز بين الاستخدام الجائر ، والاستخدام الردىء ، والاستخدام التقليدى الجامد ، والاستخدام الجيد المتطور • بل قل أن هذا التقويم الجغرافى ، كان فى وسعه ما يلى :

( أ ) أن يرشد البحث الجغرافى عن حقيقة وأبعاد التفاوت فى مستويات التعامل بين الانسان والأرض ، حتى يحسب كفاءة هذا التعامل على كل المستويات •

(ب) أن يسدد الرأى الجغرافى الكاشف ، عن سلبيات وايجابيات التعامل بين الانسان والأرض ، على كافة المستويات المتفاوتة •

**التقويم والعمل الجغرافى التطبيقى :**

يخرج التقويم الجغرافى خير ما فى جعبة البصيرة الجغرافية المتفتحة • وهو فى الاعتقاد الاجتهاد الجغرافى المعاصر ، خير ما يرشد الرأى الجغرافى لكى يضيف شيئا مهما الى نتائج البحث الجغرافى ، أو لكى يبتنى نتيجة مفيدة ومناسبة ، على حسن معاينة الرؤية الجغرافية ، فى المكان والزمان • وقل أن الاجتهاد الجغرافى المعاصر ، قد اتخذ من التقويم الجغرافى ، وسيلة عمل جغرافى ، انطلق بموجبها أو حلق بها فى آفاق التجديد والتجويد • ويجاوب هذا التقويم الجغرافى الهدف الجغرافى ، فى أبعاده الجديدة المتطورة ، وهو يلبى حاجة العصر ، والمتغيرات التى لا تسكت فى نفس المكان، من عصر الى عصر آخر •

وفى نفس الوقت الذى يأخذ فيه هذا الفكر الجغرافى ، بمنطق وفلسفة وتوجيهات التقويم الجغرافى ، ويضعه أمانة غالية فى عنق الاجتهاد الجغرافى .

يتأتى التحول الحقيقى عن فلسفة الفكر الجغرافى الحديث ، والاقبال المتفتح على فلسفة الفكر الجغرافى المعاصر • ولم يهمل هذا الاجتهاد الجغرافى المعاصر أبدا ، ولم يتخاذل فى أمر من أمور العناية ، بقضية انجاز البحث ، من خلال التقويم الجغرافى ، وتسجيل الرأى الجغرافى • وأصبحت عناية الباحث الجغرافى بالظاهرة الجغرافية المعنية ، أو بالموضوع الجغرافى ، عناية أكثر عمقا واتساعا • وسواء كانت الدراسة الجغرافية ، طبيعة تتعلق بخواص ومواصفات الأرض ، أو كانت الدراسة الجغرافية ، بشرية تتعلق بالانسان وحركة الحياة والسيادة على الأرض ، فانها لا تجد مبررا واحدا ، لكى تتوقف عند حد التوزيع ، والتعليل ، والربط ، فقط • بل قل انها أصبحت ملتزمة بتجاوز هذا الحد ، حتى لا ينتهى البحث الجغرافى ، دون العناية بالتقويم الجغرافى • ومن ثم يكون ابداء الرأى الجغرافى ، هو بداية الحكم الجغرافى المعلن صراحة ، لحساب الانسان •

ولا يبتنى التقويم الجغرافى ، بما فى ذلك تقويم التعامل بين الانسان والأرض ، وتقويم مستويات هذا التعامل أو الاستخدام ، على غير أساس . ولا يمكن أن يبدأ من فراغ • بل هو تقويم جغرافى ، يستوجب معرفة جغرافية متخصصة ، بالأرض لكى يبتنى عليها ، تقويم خواصها وضوابطها ، وحساب استعداداتها للضبط وللانضباط ، فى وقت واحد • كما هو تقويم جغرافى ، يستوجب معرفة جغرافية متخصصة ، بالانسان وحركة الحياة . لكى يتبنى عليها تقويم أدواته ووسائله الحضارية المادية والمعنوية وضوابطه وحساب استعداداته للضبط وللانضباط فى وقت واحد •

وينبغى أن تمضى عملية التقويم الجغرافى الى آخر المدى ، لكى تحسب حسابات الجدوى للعلاقات السوية ، من خلال الضبط والانضباط المتبادل ، التى تنشأ من أجل التعامل بين الانسان والأرض • كما يجب أن يعتنى التقويم بتوجهات هذا التعامل والاستخدامات ، وأن يحسب حساب مستوياته ، حتى يتكشف بناء على هذا الحساب ، أو على هذا التقويم الجغرافى ، الرأى الجغرافى المعلن عن :

( أ ) طبيعة العلاقة التى يترتب عليها الاستخدام ، أو التى يفضى اليها هذا التعامل ، على صعيد الأرض ، فى المساحة المعنية •

(ب) قوة وفاعاية الضبط والانضباط المتبادل بين الانسان والأرض ، وهو من وراء مستويات التعامل أو الاستخدام ، على صعيد الأرض فى المساحة المعنية •

(جـ) مستويات الاستخدام أو التعامل ومحصلته ، وامكانيات التغيير ، استجابة لدواعى التغيير أو للمتغيرات الطبيعية أو للمتغيرات البشرية ، على صعيد الأرض ، فى المساحة المعنية .

وتجـاوز حدود التوزيع والتعليل والربط ، تجاوزا حقيقيا ، يلزم الاجتهاد الجغرافى المعاصر بالتقويم الجغرافى ، لحساب الهدف الجغرافى ومصلحة الانسـان فى هذا الهدف ، هو الذى يجسـد أهم معنى من معـانى التجديد والتجويد ، فى انجاز البحث الجغرافى(١٨) . وتوجيه هذا التقويم الجغرافى، التوجه الحميد الى الرأى الجغرافى ، لكى يعلن عنه لحساب الانسـان وحركة الحياة فى ربوع الأرض ، معناه أن يوضع الهدف الجغرافى بحذافيره ، فى الوضع الأنسب ، الذى ينفـع الناس ، أو الذى تنتفـع به حركة الحيـاة ، اجتماعيا ، واقتصاديا ، وحضاريا ، وسياسيا ، فى المكان والزمان .

وتصـدى علم الجغرافية للرؤية الجغرافية وتجسيدها ، استجابة لطلب المعرفة الجغرافية ، على صـعيد الأرض فى المساحة المعنية ، يمثل شيئا مهما بالقطع ، ولا يجوز اهماله أو التفريط فيه ، أو التنصـل منه أبدا . ولكن تصدى علم الجغرافية لابداء الرأى الجغرافى تعليقا على ما تعبر عنه ، أو تنبىء به هذه الرؤية الجغرافية وحساب جدواها فى المكان والزمان ، واستجابة لطلب الانتفاع التطبيقى بالمعرفة الجغرافية ، يمثل شيئا أكثر أهمية . بل قل أن هـذا هو التوجه الحميـد الذى يتحقق بموجبه الانتفـاع التطبيقى . ولا ينبغى التفريط فيه ، أولا ينبغى اهماله والتقصير فيه .

وليس أجـدى من التقويم الجغرافى ، وهو يوجه الاجتهـاد الجغرافى المعـاصر ، فى الوجهـة العملية العلمية التطبيقية . ويضـع هـذا التوجه التطبيقى ، على عاتق علم الجغرافية ، مسـئوليات الانجاز العلمى التطبيقى ، على صعيد الأرض ، فى المسـاحة المعنية . وبناء على هذا الانجاز الجغرافى التطبيقى ، يتسنى انتفاع الانسـان وحركة الحياة ، انتفاعا حقيقيا ، بثمرات البحث الجغرافى ، فى المكان والزمان . وقل أن هذا التوجه الجغرافى السديد ، الى البحث الميدانى التطبيقى ، هو عين ما يعبر عن هذا التحول ، أو الخروج من جمود النظرية ، الى مرونة التطبيق ، عـلى مستوى العمـل الجغرافى التطبيقى .

---

(١٨) الشامى ، صلاح الدين : التقويم الجغرافى ، انطلاقة التجديد والتجويد فى العمل الجغرافى — مجلة كلية الآداب — جامعة صنعاء — سنة ١٩٨٢ .

وبموجب هذه العناية الجغرافية المعاصرة بالتقويم الجغرافى ، ينطلق الاجتهاد الجغرافى الى هذا الميدان الجديد ، أو الى هذا الوضع التطبيقى • ويلتزم هذا الاجتهاد الجغرافى المعاصر عندئذ ، بأن يوظف انجازات هذا العمل الجغرافى التطبيقى ، الذى يخدم أهداف التقويم الجغرافى ، توظيفا مناسبا ، فى دعم قدرات الانسان ، وفى ترشيد مهاراته ووسائله ، وهو يتعامل مع الأرض • ويقبل الاجتهاد الجغرافى على توفير هذا الدعم الجغرافى الى الانسان ، على صعيد الأرض ، فى المساحة المعنية ، تطلعا وتأيدا لوضع التعامل والاستخدام ، فى المستوى الأفضل •

ويبتنى على ذلك استعداد الخبراء فىالعمل الجغرافى التطبيقى ، استعدادا كاملا وحصيفا ، يطوع نتائج التقويم الجغرافى ، على صعيد المساحة المعنية • ويرشد هذا الاستعداد عمليات التعامل مع الأرض ، والانتفاع بها ، فى كل شكل من أشكال الانتفاع الأفضل ، الذى ترنو اليه عمليات التنمية • بل قل أن العمل أو الانجاز الجغرافى التطبيقى ، الذى يجيد هذا التقويم الجغرافى ، حتى يدلى ويسجل الرأى الجغرافى الأفضل ، هو الذى يخدم ويبصر عمليات التنمية • وهل تبتغى عمليات التنمية فى كل صورها ، شيئا أهم من تحسين مستويات التعامل وترشيد استخدام الوسيلة فى هذا التعامل ، وصولا الى الاستخدام الأفضل فى المكان والزمان ؟

من خلال عين جغرافية مبصرة واعية ، وهى تطالع الرؤية الجغرافية ، فى المكان والزمان ، تألقت انجازات علم الجغرافية الحديثة • وخرجت الرحلة الجغرافية المتخصصة ، من أجل البحث الى حقل الدراسة الميدانية • وكانت تطل على المساحة المعنية ، وتعاين الرؤية الجغرافية • وكان الاجتهاد الجغرافى يعتنى بها ، ويستغرق فى تأمل عناصرها ومكوناتها ، على صعيد الأرض ، فى المساحة المعنية • ومن ثم تأتى من خلال التوزيع والتعليل والربط ، اعداد ، أو انجاز البحث الجغرافى •

ومن خلال بصيرة جغرافية متنورة وأكثر وعيا ، وهى تقوم الرؤية الجغرافية ، فى المكان والزمان ، تفوقت انجازات علم الجغرافية المعاصرة • وتخرج الرحلة الجغرافية المتخصصة ، من أجل البحث ، الى حقل الدراسة الميدانية • وتطل هذه الرحلة ، على المساحة المعنية ، وتعاين الرؤية الجغرافية ، لحساب العمل التطبيقى • ويعتنى الاجتهاد الجغرافى تماما بالرؤية الجغرافية ، ويجرى التقويم الجغرافى المناسب ، وصولا الى الرأى الجغرافى عنها ، لحساب الانسان وحركة الحياة • ومن ثم يتأتى من خلال التوزيع والتعليل والربط تجسيد الرؤية الجغرافية ، فى المساحة المعنية ، ثم يتأتى

من خلال التقويم الجغرافى اعداد أو انجاز الرأى الجغرافى السديد لحساب البحث الجغرافى التطبيقى الأنسب(١٩) ، على صعيد المساحة المعنية ٠

* * *

**العمل الجغرافى التطبيقى فى خدمة التنمية الشاملة :**

يتوجه الاجتهاد الجغرافى الى انجاز هذا العمل الجغرافى التطبيقى ، على النحو الذى تمليه أو توجهه ، فلسفات الفكر الجغرافى المعاصر ، لحساب الهدف الجغرافى الجديد ٠ ويصبح فى وسع الجغرافى المعاصر ، أن يطوع نتائج البحث والدراسات التى يسفر عنها العمل الجغرافى التطبيقى ، لكى يعلن عن الرأى الجغرافى ، ويضع الهدف الجغرافى ويكرسه لخدمة عمليات التنمية ٠ ولقد ابتنى هذا التوجه الجغرافى على أساس الرأى الجغرافى السليم الذى يعترض على تجاهل التخطيط القاعدة أو الخلفية التى ينبغى أن تبتنى عليها عملية التنمية ، وهى فى أحسن حبكة على صعيد المساحة المعنية ، وفى أتم شمول ونمو متوازن ومتواز ومتزامن ٠ وتتمثل هذه الاعتراضات الجغرافية فى :

**أولا** - اعتراض جغرافى شديد ، على وضع خطط التنمية ، وهى تحتوى المشاريع الانمائية ، دون عناية أو اهتمام حقيقى ، بحسن تقويم المهارات والقدرات والاستعدادات والوسائل ، التى يتحمل بموجبها الانسان مسئولياته الفاعلة ، وعلى أحسن مستوى ، عند التنفيذ ٠ وصحيح أن نجاح هذا التنفيذ ، هو لحساب الانسان ، ولكن الصحيح أن هذا النجاح يصنعه اجتهاد الانسان ، من خلال الاستعداد المعنوى للتغيير ، ومن خلال استجابة المهارات والوسائل المادية ، لأداء مناسب يتحقق بموجبه هذا التغيير ٠

**ثانيا** - اعتراض جغرافى شديد ، على وضع خطط التنمية . وهى تحتوى المشاريع الانمائية ، دون عناية ، أو اهتمام حقيقى ، بالحبكة وحسن الاختيار والترسيخ الجيد والتوطين ، فى المكان الجغرافى الأنسب ٠ وصحيح أن التنفيذ يتأتى على صعيد المكان ٠ ولكن الصحيح أيضا أن حسن اختيار المساحة المعنية ، وحسن الترسيخ والتوطين فى هذا المكان الجغرافى الأنسب ، هو عنصر من أهم عناصر الحبكة ، التى تؤكد أقصى درجات النجاح فى الانجاز التطبيقى ، وتأمين عمليات النمو ، واتجاهاته الى ما هو أفضل ، لحساب الانسان وحركة الحياة ٠

---

(١٩) الشامى ، صلاح الدين ، الجغرافية دعامة التخطيط - الاسكندرية سنة ١٩٧٦ ٠

ثالثا ـ اعتراض جغرافى شديد ، على وضع خطط التنمية ، وهى تحتوى المشـاريع الانمائية ، دون عناية ، أو اهتمام حقيقى ، بأهم موجبات التوازن والتوازى ، والتزامن ، بين معـدلات النمو ، فى كافة القطـاعات المتداخلة ، فى توليفة منسـقة وسليمة ، لحسـاب حركة الحياة ، فى المكان والزمان • ولا نجاح فعلى فى عمليات التنمية ، من غير هذا التنسيق البديع الذى يحافظ على التوازن والتوازى والتزامن بين قطـاع الانتاج ، وقطـاع الخدمات ، وقطـاع السكن ، وغيرها من القطاعات التى تهم حضور الانسان وانتعاش حركة الحياة • وصحيح أن تنمية قطاع معين يحقق النمو ، ولكن الصحيح أن الجمع بين النمو فى قطـاع ، وعدم النمو فى قطـاعات أخرى • فى المكان والزمان ، يسفر عن عدم التجانس • ويتحمل النمو دائما عواقب عدم التجانس الوخيمة ، وتتخبط مسيرة التغيير الى ما هو أفضل •

وتأسيسـا على معطيـات **الاعتراض الأول** ، كان الاجتهـاد الجغرافى المعاصر ، شديد العناية والاهتمام بحسن دراسة الواقع البشرى ، من قبيل العناية بالانسـان ، اجتماعيا ، وديموجرافيا ، واقتصـاديا ، وحضـاريا ، وسياسيا • ويوظف الباحث ، التقويم الجغرافى توظيفا ذكيا ، لكى يتلمس أحوال الانسـان واستعداداته ، ولكى يستمع الى صوت النداء فى طلب التغيير ، ولكى يستشعر مبلغ الاستجابة الحقيقية لدواعى التغيير • كما توظف الدراسة الجغرافية فى العمل الميدانى ، التقويم الجغرافى ، لكى يحسب حساب المهارات أو القدرات المتاحة بالفعل ، التى يمكن أن تطاوع الاستجابة لدواعى التغيير ، أو التى توفر الاقبال الفورى ، على الأداء والتنفيذ العملى ، لحسـاب التغيير الى ما هو أفضل • وأضف الى ذلك كله ، توظيف التقويم الجغرافى • توظيفا جيدا ، لقياس حجم قوة العمل وحساب مستوى الكفاءة فى الآداء وتأمين حسن توزيع العمالة توزيعا متوازنا ، حسب حاجة قطاعات التنمية الشاملة • وهذا الانجاز الذى يتصدى له أو يتولى أمره الاجتهاد الجغرافى المعاصر ، هو عين ما يعنى حسن توفير ، وحسن ابداء الرأى الجغرافى السديد عن الواقع البشرى ، فى المساحة المعنية •

وفضـلا عن ذلك كله يكون فى وسـع الاجتهاد الجغرافى المعاصر ، أن يبدى الرأى الجغرافى ، الذى يسهم اسهاما مفيدا ، فى التجهيز المـادى للتغيير ، واعداد الانسان الاعداد الأنسب ، لتكريس استعداداته ، لصناعة هذا التغيير ، اقتصاديا ، واجتماعيا ، وحضاريا • كما يتأتى هذا الاسـهام الجغرافى ، لكى يهيىء الأوضاع البشرية ، بصفة عامة ، للانتفاع بهذا التغيير الذى تسفر عنه عمليات التنمية • وقل أن هذا الرأى الجغرافى الذى يبتنى

على حسن التقويم الجغرافى ، يكون فى وسعه أن يعتنى بالانسان فى المساحة المعنية ، عناية تسقط حواجز الغربة بينه ، وهو مطالب بالآداء لحساب التغيير ، وانجاز المشاريع الانمائية ، أو وهو مطالب بالانتفاع بثمرات هذا التغيير ، ومحصلة عمليات التنمية من ناحية ، وبين الخطة ومحتواها من المشاريع ، أو من الأهداف والطموحات التنموية من ناحية أخرى • ومعرفة فريق المخططين عن الواقع البشرى من خلال الرؤية الجغرافية ، والرأى الجغرافى ، ترشده وتبصره ، وكأنه يقرأ كتابا مفتوحا عن الانسان ، الذى من أجله تكون ثمرات التغيير والانجازات التنموية ، وعلى سواعده وحسن أدائه يكون الانجاز والنجاح الفعلى للانجازات التنموية •

وتأسيسا على معطيات **الاعتراض الثانى** ، كان الاجتهاد الجغرافى المعاصر شديد العناية والاهتمام بحسن اختيار المكان ، الذى يحتوى المساحة المعنية الأنسب • وما من شك فى أن حسن الاختيار ، فى هذا المجال ، يضع المشاريع الانمائية ، فى الوضع الصحيح ، ويرسخها الترسيخ المحبوك فى ربوع هذه المساحة المعنية الأنسب • ولم يجد الاجتهاد الجغرافى المعاصر ، أفضل من توظيف المهارة الجغرافية المكتسبة ، التى تمرست فى صياغة التقسيمات الاقليمية ، لكى تعثر على الاطار المحدد ، الذى يحتوى المساحة المعنية • ويدلل هذا التوجه الجغرافى المعاصر ، على مهارة فى الربط بين التقسيم الاقليمى ، وهو من صميم الهدف الجغرافى ، فى جانب ، وحسن اختيار الاقليم التنموى الأنسب ، وهو من صميم الهدف التنموى فى جانب آخر •

ولقد تطلع الاجتهاد الجغرافى المعاصر بالفعل ، الى البحث عن الاقليم التخطيطى • ويراعى فى اختيار هذا **الاقليم التخطيطى** ، وهو الوعاء الأنسب لعمليات التنمية ، أن يتحقق على صعيد الأرض فى مساحته المعنية ، التفرد الجغرافى الطبيعى ، والتفرد الجغرافى البشرى • وتتكشف للاجتهاد الجغرافى وجاهة الحقيقة الجغرافية ، التى تجعل الاقليم الجغرافى ، هو بعينه الاقليم التخطيطى الأنسب ، لاحتواء مشاريع الخطة التنموية • وقل ليس أفضل من الحبكة ، التى تتوفر على صعيد المساحة المعنية فى الاقليم التخطيطى ، لكى يتسنى ترسيخ المشاريع الانمائية ، فى اطار هذه الحبكة ، فى المكان والزمان •

ويعلن الاجتهاد الجغرافى المعاصر الاعلان الواثق عن قيمة الاقليم التخطيطى ، وعن التخطيط الاقليمى • وقل أنه يصور فى وضوح ، الرأى الجغرافى الصريح عن المساحة المعنية ، فى الاقليم التخطيطى ، وكيف تتهيأ لوضع التنموية الأنسب ، لخواص وطبيعة الأرض من ناحية ، والأنسب

لأوضاع وأحوال الناس وامكانياتهم لمباشرة عمليات التنمية ، وحسن الانتفاع بها من ناحية أخرى • وعلى صعيد الدولة ، وهى التى تتألف من مجموعة من الأقاليم التخطيطية ، تتم وتتحقق الخطة التنموية القومية ، من حسن التوفيق وصياغة التجانس والانسجام ، بين مجموعة الخطط الاقليمية • وينال عندئذ كل اقليم تخطيطى ما هو أهل له ، من المشاريع الانمائية ، وعلى النحو الذى يحقق أكبر وأحسن قدر من النمو المتوازى والمتوازن والمتزامن ، بين اتجاهات ومعدلات النمو ، على صعيد الدولة •

وتأسيسا على معطيات **الاعتراض الثالث** ، كان الاجتهاد الجغرافى المعاصر شديد العناية والاهتمام بمضمون الخطة التنموية ، على صعيد الاقليم التخطيطى • واضافة الى العناية بأن تكون المشاريع الانمائية فى الخطة هى الأنسب لخواص الاقليم الطبيعية ، ولأوضاعه وامكانياته البشرية ، يعتنى الاجتهاد الجغرافى المعاصر ، بشمول الخطة التنموية • وهذا معناه ، أن توفر الخطة لكل قطاع من القطاعات التى تلبى احتياجات حركة الحياة فى الاقليم التخطيطى ، ما يستحقه من المشاريع الانمائية • ولا يجوز اهمال حق النمو فى قطاع ، لحساب قطاع آخر ، أو حرمان قطاع من النمو ، واباحة وتوفير حق النمو فى قطاع آخر •

وفى اطار الشمول الذى يغطى النمو فى كل القطاعات ، يتبين الجغرافى أن لا شىء يبشر بنجاح عملية التنمية فى الاقليم التخطيطى ، أهم من وضع الخطة التنموية التى تكفل القدر الأمثل من ، التوازى والتوازن والتزامن ، الذى يحافظ على وينسق بين معدلات النمو فى كل القطاعات • وقل أن الشمول التنموى المتوازى والمتوازن والمتزامن ، هو الذى يجنب عملية التنمية عواقب الخلل وعدم التنسيق • كما يحمى عملية التنمية الشاملة ، من خطيئة الجمع بين النمو فى قطاع ، وعدم النمو فى قطاع آخر ، أو بين التغيير وعدم التغيير ، أو بين التجديد والتحديث ، وعدم التجديد والتقليد ، على صعيد واحد ، فى الاقليم التخطيطى •

وفى الاعتقاد الجغرافى المعاصر ، أن مثل هذا الجمع بين المتناقضات فى عملية التنمية على صعيد الاقليم التخطيطى ، خطر يتهدد فيه جمود التقليد مرونة التجديد • وقل أن الجمود وعدم النمو فى قطاع ، يعرقل النمو ، أو يربك النمو فى القطاعات الأخرى • وفى الاعتقاد الجغرافى أيضا ، أن حركة التغيير الى الأفضل ، فى قطاع من خلال التنمية ، تستوجب وتؤدى الى توالى التغيير ، وأن أخطر الخطر على النمو ، يكون عندما تفقد الخطة التنموية ،

المقدرة على ضمان الحد الأنسب ، لتوالى أو لانسياب حركة التغيير ، لكي يشمل كل شيء ، لحساب حركة الحياة ، على صعيد الاقليم التخطيطي • كما يستوجب توالى انسياب هذا التغيير والتنمية الشاملة ، الحد الأنسب أيضا ، من التوازن والتوازى والتزامن ، بين كل عمليات النمو المخططة ، على جميع أصعدة الاقاليم التخطيطية ، فى ربوع الدولة • ولا محل أبدا لمباشرة النمو فى أقليم تخطيطى لأى سبب أو مبرر ، واهمال النمو أو تأجيله فى اقليم تخطيطى آخر •

هكذا يقدم الاجتهاد الجغرافى المعاصر على هذا الاعتراض ، ويوفر فى نفس الوقت البديل الأنسب ، لأن الاعتراض وحده ليس يكفى • ومن أجل انجاز المهمة الجغرافية فى اطار هذا البديل ، يكون الاقدام الجغرافى على العمل البناء • ويفضى هذا العمل الى الآداء الجغرافى ، الذى يحدد الحصة الجغرافية المناسبة ، فى مجال الاعداد والتجهيز لعملية التنمية • ويتمثل الآداء الجغرافى المناسب ، فى تحديد جيد للاقليم التخطيطى ، أو فى تحديد جيد شامل مجموعة الأقاليم التخطيطية ، على صعيد الدولة • كما يتمثل هذا الآداء أيضا فى المسح الجغرافى الشامل ، على صعيد كل اقليم من الأقاليم التخطيطية •

وفى اطار المسئولية الجغرافية عن تحديد الاقليم التخطيطى ، على صعيد الدولة ، يتحمل الاجتهاد الجغرافى المعاصر مسئولية العمل الجغرافى العملى الميدانى • ويخرج الباحث الجغرافى المدرب الى الحقل أو الى الميدان ، فى رحلات عمل ميدانية متخصصة ، مع أعضاء الفريق المعاون • ويتولى هذا الفريق مسئولية ، كل ما يستوجبه العمل الجغرافى التطبيقى ، فى الميدان ، حتى يتسنى اجراء هذا التقسيم الاقليمى ، وتحديد مجموعة الأقاليم التخطيطية ويتلمس مع هذا التقسيم الاقليمى التخطيطى ، قنوات الاتصال المنفتحة ، التى تربط بين الأقاليم التخطيطية ، فى وحدة تكامل تخطيطى شامل ومنسق ، على صعيد الدولة •

ولا يكاد يفرغ الاجتهاد الجغرافى المعاصر ، من مهمة التقسيم الاقليمى التخطيطى ، حتى تبدأ مرحلة جادة أخرى ، من مراحل العمل الجغرافى التطبيقى • ويكون المطلوب فى هذه المرحلة ، خروج الفريق الجغرافى الى الميدان على صعيد المساحة المعنية فى الاقليم التخطيطى ، لاجراء المسح الجغرافى • ويكون هذا المسح الجغرافى شاملا ، من أجل تعميق المعرفة الجغرافية ، فى ربوع الاقليم التخطيطى ، على الوجهين الطبيعى والبشرى • ولا يعود فريق هذا العمل الجغرافى الميدانى من الميدان ، الا بعد أن تنتهى

هده المهمة ، وتمتلأ الجعبة الجغرافية ، حتى يمكن الوصول الى الرأى الجغرافى السـديد ٠

ويتوجه الفريق الجغرافى **أولا** الى تمحيص الرؤية الجغرافيـة للواقـع الطبيعى ، على صعيد المساحة المعنية فى الاقليم التخطيطى ٠ ويشمل هذا التمحيص دراسة الأرض وخواصها الطبيعية ، وتقصى حقيقة العناصر التى تشترك فى صياغة الواقع الجغرافى الطبيعى ٠ ويتصدى هذا التمحيص بمهارة لتقويم جغرافى شامل يغطى الواقع الطبيعى ، ويحسب حساب كل شىء متداخل فى صيغة هذا الواقع ٠ ويفضى هذا التقويم الجغرافى الى جمـع البيانات ووضوح الرؤية التى يبتنى عليها الرأى الجغرافى ٠ ويحكى هذا الرأى الجغرافى ، عن مبلغ اسـتعداد الأرض على صـعيد المسـاحة المعنية ، وفى اطار الواقع الطبيعى السائد ، للضبط وللانضباط ٠ كما يحكى هذا الرأى الجغرافى ويحدث عن مبلغ استعداد الأرض فى هذه المساحة المعنية ، للاستجابة المناسبة ، لوسائل الانسـان الحضارية ، وهو يطوعها ، ويبدأ فيها مشوار التنمية ، ويحدد فى أنحائها ، مسار التنفيذ الرشيد للمشاريع الانمائية ٠

ويتوجه الفريق الجغرافى **ثانيا** ، الى تمحيص الرؤية الجغرافية للواقـع البشرى ، على صعيد المساحة المعنية ، فى الاقاليم التخطيطى ٠ ويشمل هذا التمحيص الجغرافى ، دراسة الناس وحضورهم فى المكان ، فى اطار حركة الحيـاة ، وأوضـاعها وأحوالها ، اجتمـاعيا ، وديموجرافيا ، وحضـاريا ، واقتصاديا ٠ ويتصدى هذا التمحيص بمهارة ، لتقويم جغرافى شامل ، يغطى الواقع البشرى ، فى اطار حركة الحياة ، ويحسب حساب كل شىء . متداخل فى صيغة هذا الواقع ٠ ويفضى هذا التقويم الجغرافى الى جمع البيانات ووضـوح الرؤية التى يبتنى عليها الرأى الجغرافى ٠ ويحـكى هذا الرأى الجغرافى ، عن مبلغ استعداد الناس ، على صعيد المساحة المعنية ، وفى اطار الواقع البشرى السائد ، للضـبط والانضـباط ٠ كما يحـكى هذا الرأى الجغرافى ويحدث فى مبلغ استعداد الناس للتغيير ، وعن حماسة الاقدام على آداء ما ينبغى أن يتأتى من عمل ، حتى يتسنى له تطويع الأرض ، أو حتى يبدأ فى ربوعها مشـوار التنمية ، ويسـدد المسـار التنفيذى الأنسب الى ما هو أفضل ، فى الاقليم التخطيطى ٠

ولن ندخل فى زحمة التفاصـيل الكثيرة ، عن الكيفية يتحقق بموجبها نجاح أو توفيق الخبره الجغرافية فى أداء وانجاز هذه المهام الجوهرية ، وهى

تمهد أو وهى تجهز تجهيزا حقيقيا ومناسبا ، لكى توضح الخطة ومشاريعها التنموية على بصيرة ، ولكى يتأتى التنفيذ والانجاز التنموى على بينة • ويوفر الرأى الجغرافى هذه البصيرة ، وهذه البينة ، فلا يضل وضع الخطة أو التنفيذ أبدا • ومن خلال المهارة الجغرافية ، فى التقويم الجغرافى ، وفى التقسيم الاقليمى ، وفى التحليل والتركيب ، يسفر هذا التجهيز الجغرافى عن :

( أ ) تحديد أنسب للاقليم التخطيطى ، ومجموعة الأقاليم التخطيطية على صعيد الدولة ، حتى يتسنى حصر المساحة المعنية المثلى ، التى يتوفر فى ربوعها التجانس الجغرافى الطبيعى والبشرى • وتصبح هذه المساحة المعنية الوعاء الأنسب ، وهو يحتوى ويشهد تنفيذ المشاريع الانمائية •

(ب) انجاز العمل الجغرافى الميدانى التطبيقى ، وجمع حصاد هذا العمل فى ربوع الاقليم التخطيطى وتزويد فرق المخططين بالنتائج ، حتى يتسنى وضع المشاريع الانمائية ، فى اطار الخطة الشاملة ، وعلى مستوى أحسن حبكة فى المكان ، وأحسن سياق تنفيذى فى الزمان ، وفى أفضل وضع شمولى يعتنى بالتوازى والتوازن والتزامن فى مجالات النمو •

ويتأهل الاجتهاد الجغرافى المعاصر ، تأهيلا مناسبا ، وهو يكتسب الخبرة فى حسن أداء المسح الجغرافى على صعيد المساحة المعنية ، فى الاقليم التخطيطى • وقل أنه مع التحول العظيم ، من مفاهيم واهتمامات عالم الجغرافية الحديثة ، الى مفاهيم واهتمامات الجغرافية المعاصرة ، أفلح الاجتهاد الجغرافى ، فى تطوير الرحلة الجغرافية الى الميدان • وقل أن هذه الرحلة الجغرافية المتخصصة فى القيادة وفى الهدف ، أصبحت رحلة الفريق المتكامل، لحساب المسح الجغرافى الطبيعى والبشرى[٢٠] • وتكامل الفريق معناه ، تفرغ المتخصص الجغرافى لأداء المسح الجغرافى على الوجه الطبيعى ، وعلى الوجه البشرى • ومعناه أيضا اشتراك أعضاء الفريق[٢١] ، فى صياغة الرأى الجغرافى ، فى نهاية الأمر •

وبعد انجاز المسح الجغرافى ، واعداد الرأى الجغرافى ، ينبغى تقديمه فى شكل توصية يلتزم بها فريق المخططين ، لوضع المشاريع الانمائية •

---

(٢٠) الشامى ، صلاح الدين : الرحلة ، عين الجغرافية المبصرة فى الدراسة الميدانية - الاسكندرية سنة ١٩٨٣ •

(٢١) يضم الفريق صفوة من المتخصصين فى العلوم الطبيعية وفى العلوم الانسانية وتوكل اليهم تكليفات معينة فى اطار الدراسة الميدانية •

فى اطار الخطة ، على بصيرة • بل قل ينبغى أن يشترك الخبير الجغرافى فى فريق المخططين • ويكون فى وسع هذا الشريك الجغرافى ، أن يبصر ، وأن يرشد انجاز الحبكة ، التى تسفر عن وضع الخطة الأنسب ، وهى تجاوب مفهوم الواقع الجغرافى ، على صعيد المساحة المعنية ، فى الاقليم التخطيطى •

* * *

ومهما يكن من أمر ، فأن توجه علم الجغرافية ، استجابة لمنطق وفلسفات الفكر الجغرافى المعاصر ، توجها حريصا على تقويم الظاهرة الجغرافية المعنية ، فى المكان والزمان ، قد ألهب العناية الجغرافية العلمية ، بالعمل العملى التطبيقى • وأفضت هذه العناية ، الى نتائج مفيدة ، لأن هذا التقويم الجغرافى كان دائما لحساب الانسان • بل قل أنه لا يسقط مصلحة الانسان ، وهو يحيا ويتعايش مع الواقع الجغرافى فى ربوع الأرض ، من حسابة أبدا • وهل يمكن أن يحيا الانسان فى غربة مع الواقع الجغرافى فى المكان ؟ وهل يمكن أن يتحقق التعايش دون غربة مع الواقع الجغرافى فى المكان والزمان . من غير التقويم الجغرافى ، وحساب الجدوى وانجاز الوضوح الجغرافى الذى يقطع دابر هذه الغربة ؟ •

ولقد أتاح التقويم الجغرافى – على كل حال – الفرصة ، لكى يتحمل الاجتهاد الجغرافى ازالة حواجز الغربة بين الانسان والأرض ، وترسيخ السيادة على صعيد الأرض • ومن ثم أمسك الاجتهاد الجغرافى بزمام التجويد والتجديد فى الانجاز الجغرافى ، حتى يوفر كل ما من شأنه أن ينفع الناس ويؤمن مصلحتهم فى حسن التعايش فى اطار الواقع الجغرافى فى ربوع الأرض • وقل أن مثل هذه النتائج الجغرافية هى التى تجسد ثمرات كل اتجاه من اتجاهات التجديد والتجويد ، وينتهى اليها التقويم الجغرافى ، لحساب الانسان ، فى المكان والزمان • وهى التى تقوى القبضة الانسانية فى مواجهة الأرض وتطويع الطبيعة ، وتشد أزر حركة الحياة ، فى ربوع الأرض بصفة عامة •

وتصبح الجغرافية المعاصرة ، وهى التى فى وسعها أن تضع المعرفة الجغرافية وأن تكرس النتائج الجغرافية التطبيقية ، فى صف واحد مع مهارات الانسان ، حتى يتزود بالدعم والقوة عندما يصارع ، ولا يسكت أبدا . عن تحسين أحواله وترسيخ سيادته ، فى المكان والزمان ، علم عملى تطبيقى • ولم يعد فى وسع علم الجغرافية المعاصرة ، وهى تؤدى هذه المهام التطبيقية ، لحساب الهدف الجغرافى ، الذى يوضع بالكامل فى خدمة

حركة الحياة ، أن يترك شاردة أو واردة عن الظاهرة الجغرافية الطبيعية أو البشرية ، دون وضعها فى بؤرة العناية الجغرافية ، والاهتمام بتقويمها لحساب الانسان . ومن هنا يأتى التجديد الذى يؤدى الى التجويد . ولا تجديد من غير تجويد ، ولا تجويد من غير تجديد ، فى حقل العمل الجغرافى العملى التطبيقى .

ويبقى أن نشير الى أن علم الجغرافية فى الصيغة الجديدة ، أو فى التوجهات المعاصرة ، أو فى الاستجابة الموفقة لمنطق وفلسفات الفكر الجغرافى المعاصر ، يعرف طريقه الآن ، الى موجبات التجديد واضافة الجديد . كما يعرف أيضا ، كيف يكون التجويد اضافة ثرية ، وهى تنضم الى ذلك التجديد الجغرافى . وقل أنه يعرف جيدا ، كيفية الوصول الى صلب الهدف الجغرافى ، وكيفية تكريس هذا الهدف الجغرافى ، تكريسا مناسبا ، لحساب حركة الحياة ، فى المكان والزمان . وهذا معناه أن علم الجغرافية المعاصرة ، يمتلك فى الوقت الحاضر مهارات علمية وعملية ، فى تطويع الهدف الجغرافى تطويعا تطبيقيا ، حتى يتحقق انتفاع حركة الحياة ، بالرأى الجغرافى السديد ، فى المكان والزمان ، اجتماعيا ، وحضاريا ، واقتصاديا ، وسياسيا .

وصحيح أن علم الجغرافية المعاصرة ، ينجح فى انهاء مهمة علم الجغرافية الحديثة ، ويحتل مكانها ، وتتألق مكانته العلمية العملية التطبيقية فى صحبة العلوم المتطورة . وصحيح أيضا ، أن الاجتهاد الجغرافى المعاصر ، يوفر للجغرافية المعاصرة ، وتتوفر له معها ، كل دواعى وموجبات هذا التألق العلمى التطبيقى ، فى خدمة الهدف الجغرافى ، وتطويعه لحساب حركة الحياة فى المكان والزمان . ولكن الصحيح بعد ذلك كله هو أن هذا الاجتهاد الجغرافى ، يضع الجغرافية المعاصرة ، بحسن نية أحيانا ، وبسوء نية أحيانا أخرى ، فى مواجهة الأزمة . ولو أهملت هذه الأزمة ، أو لو لم نتداركها حتى نبطل مفعولها الردىء ، لكانت هى العاصفة العاتية ، التى يمكن أن تعصف بعلم الجغرافية المعاصرة ، شكلا وموضوعا .

* * *

الفصل السابع

# الجغرافية المعاصرة ومواجهة الأزمة

تمهيـــد

أزمة التحول دون نضج الى الجغرافية المعاصرة ·

أزمة اعادة النظر فى بنية الجغرافية المعاصرة ·

أزمة انسلاخ بعض الاهتمامات من صلب البنية العلمية الجغرافية ·



# الفصـل السابع

## الجغرافية المعاصرة مواجهة الأزمة

نجاح علم الجغرافية المعاصرة ، بعد أن تحلت أفكاره وفلسفته الابداعية بالتجديد والتجويد ، وحلت محل أفكار وفلسفة علم الجغرافية الحديثة ، كان نجاحا حقيقيا يتوج الاجتهاد الجغرافى المعاصر • بل قل أنه هو النجاح فى الأداء ، وفى العمل ، وفى الانجاز الجغـرافى ، الـذى لا يستحق الشك أو التشكيك • وكان هذا النجاح العلمى ، وهو محسوب بعنـاية شديدة فى مجالات العمل الجغرافى ، ثمرة الانجاز الجـاد لحساب الاجتهـاد الجغرافى الممتاز • ويتألق هذا النجاح علميا وعمليا ، وهو يجـاوب حاجـة العصر ومتغيراته ، من كل نوع ، وعلى كل وجـه ، من العمل الجغرافى التطبيقى ، فى المكان والزمان •

هكذا يفلح الاجتهاد الجغرافى كثيرا فى تطوير الهدف الجغرافى ، تطويرا مناسبا حسب حاجة العصر من العمل الجغرافى • كما يفلح الاجتهاد الجغرافى أيضا ، فى المحافظة على وضع علم الجغرافية المعاصرة ، فى مكانه المناسب ، وهو علم بينى يعتنى بالعلاقة الحميمة بين العلوم الطبيعية فى جانب ، والعلوم الانسانية فى جانب آخر • بل قل ان أفضل ما يتوج هذا النجاح ، هو اقدام الاجتهاد الجغرافى الحصيف على تطويع الهدف الجغرافى تطويعا موفقا ، يبلغ الغاية ويستخلص النتائج ، حتى يخدم حركة الحياة ، ويقوى قبضة الحضور البشرى ويشد أزر تعايشه فى ربوع الأرض ، على صعيد أى مساحة معنية ، فى هذا العصر • ويزداد هذا التطويع البديع تألقا وانتصارا لحساب الانسان فى الأرض ، والاجتهاد الجغرافى المعـاصر ، يتصدى بخبرة ومهـارة ورأى جغرافى سديد ، لانجاز العمل الجغرافى التطبيقى ، فى الميدان •

ويستحق علم الجغرافية المعاصرة ، الثناء ، وهو يتألق بهدفه وأدائه الرشيد ، فى كل مجال من مجالات التجديد ، واضافة الجديد • ويستحق علم الجغرافية المعاصرة الاطراء والتقدير ، وهـو يزهو بانجازاته البديعة ، فى كل مجال من مجـالات الاهتمـام والعنـاية بالتحسين والتجويد • كمـا يستحق الاجتهاد الجغرافى المعاصر النشيط ، كل الثناء والاطراء والتقدير ،

وهو يقدم دعوة مفتوحة ومتنورة ، تعلن عن الاستعداد الفورى الصريح ، لوضع أو لتكريس الخبرة الجغرافية التطبيقية ، فى تقويم التحديات الطبيعية والبشرية وحسن بيان قوة فعلها ، حتى تعرف حركة الحياة كيف تباشر اعداد قوة فعل بشرى حضارى مناسب ، فى مواجهة هذه التحديات والتصدى لابطال مفعولها . وقل أنه اجتهاد جغرافى حصيف ، وهو يوظف التقويم الجغرافى فى حسن ابداء الرأى الجغرافى ، تعقيبا على الرؤية الجغرافية ، حتى يتقدم به ويوصى ويرشد الأداء والتنفيذ والعمل والاستخدام الأفضل ، فى اطار العلاقة ، بين الانسان والأرض ، وتوجهات السيادة ودعم الانتصارات التنموية ، فى المكان والزمان .

هذا ، ويبقى بعد أن نقدر جيدا أبعاد هذا النجاح والتألق فى الأداء ، وأن نزف ونكيل له المدح والثناء والاطراء ، وقفة صدق مع علم الجغرافية المعاصرة ، وهو يواجه الموقف الصعب . وفى هذه الوقفة ، يجب أن نعرف جيدا كيف يواجه التفكير الجغرافى المعاصر الأزمة ، وأن نتبين أبعاد هذه الأزمة وعواقبها المرتقبة . ومواجهة الأزمة أو توالى الأزمات ، التى تواجه التفكير الجغرافى المعاصر ، لا يعنى أبدا أن علم الجغرافية يعانى من خلل فى البنية العلمية وتركيبها الهيكلى . كما لا يعنى أبدا أن علم الجغرافية المعاصرة ، يتخبط أو يتردد فى الاتجاه الى الهدف الجغرافى . بل ولا ينبغى أن تفضى هذه المواجهة ، الى حملة من الشك أو من التشكيك فى نجاح مهمة علم الجغرافية المعاصره . كما لا يجب أن تتخذ هذه المواجهة بين الفكر الجغرافى المعاصر فى جانب ، والأزمات التى تتفجر وتواجهه فى جانب آخر ، دليلا أو علامة أو ذريعة ، على أن منطق وفلسفة الفكر الجغرافى المعاصر ، لم تبلغ بعد حد النضج الأنسب ، من أجل ترسيخ أنسب لعلم الجغرافية المعاصرة ، أو لم تبلغ بعد حد الوضوح الأنسب ، من أجل صياغة أرسخ للهدف الجغرافى الجديد .

ويستحق الأمر — على كل حال — وقفة متأنية ، ونظرة صادقة ، وتمعن حصيف ، لكى نتبين هذه الأزمة ، أو الأزمات . وينبغى أن نضع الأيدى على جوهر هذا التأزم ، وكيف يعترض الطريق الذى تمضى فيه مسيرة التفكير الجغرافى المعاصر . كما ينبغى أن نتبين أيضا ، كيف يؤثر ذلك الوضع على علم الجغرافية المعاصرة ، وهى التى تبتنى على فلسفة الفكر الجغرافى المعاصر . وقد يدعو الأمر أحيانا الى اثارة السؤال الذى يسأل عن حقيقة هذه الأزمة ، او عن ماهية هذه الأزمة ، أو عن مبلغ التخوف منها فى الوقت الحاضر .

ومن خلال الوقفة المتأنية ، يمكن أن نتبين كيف تؤثر هذه المواجهة ،

على معطيات وانجازات علم الجغرافية المعاصرة · وقد تلوى هذه الأزمة أحيانا دزاع الاجتهاد الجغرافى المعاصر ، وهو يتلمس هذه المعطيات أو وهو يتوجه الى صلب الهدف الجغرافى الجديد · وهذا معناه أن هناك بالفعل أزمة وأزمات، ولكنها أزمات تخص العلماء الذين يتعمدون تفجيرها ، بقصد أو من غير قصد، ومواجهة علم الجغرافية بهذا التفجر · بل قل أنها أزمة فهم ومفاهيم العلماء تجاه الهدف الجغرافى ، وليست أزمة نابعة من صميم علم الجغرافية ، أو من توجهاته المحددة نحو الهدف الجغرافى المعاصر ·

وتتمثل هذه الأزمات ، وهى تواجه مسيرة التفكير الجغرافى المعاصر ، وتعترض سبل توجهات علم الجغرافية الذى يجاوب فلسفات هـــذا التفكير الجغرافى فى :

**اولا ــ ازمة التحول دون نضج الى الجغرافية المعاصرة :**

يبدو أن الوصول الى نقطة التحول ، التى كان لابد أن يبـــدأ عندها الانتقال من منطق وفلسفة الفكر الجغرافى الحديث والتفريط فيه ، الى منطق وفلسفة الفكر الجغرافى المعاصر والأخذ به ، كان وصولا باغت الاجتهـــاد الجغرافى · وربما لم يستوعب بعض الجغرافيين هذه المباغتة استيعابا سريعا ومباشرا · وربما تسببت هذه المباغتة أيضا ، بل قل ربما أشاعت فى محيط بعض الجغرافيين شيئا من التخبط · وقل أنه لا الفـكر الجغرافى الحديث ، انسحب بسرعة وانتظام ، وأنهى مهمته ، لكى يحل الفكر الجغرافى المعاصر محله · كما لم يكن فى وسع الفكر الجغرافى المعاصر أن يتفرد فى وضعه الحيوى ، وهـو يعلن عن مولد الجغرافية المعـــاصرة ، فى ثوب علمى عملى تطبيقى جديد ·

ولقد أوقع هذا التخبط ، الذى صاحب هذه البدايات المبكرة ، بعض الجغرافيين ، فى خطيئة التشبث بالجغرافية الحديثة · وربمـــا أعرض بعض الجغرافيين بالفعل عن الجغرافية المعاصرة ، من غير قدرة على استيعاب التغيير أحيانا ، أو من غير معرفة حقيقية بالتوجه الفلسفى للفكر الجغرافى المعـاصر أحيانا أخرى · بل قل أنهم بدلا من أن يجتهد الواحد منهم ، ويسأل عن دواعى هذا التحول ، ويحسب حساب الجدوى له ، لكى تكون الاستجابة أو لا تكون ، عن اقتناع حقيقى ، أعرض من شاء أن يعرض أحيانا ، واعترض من أراد أن يعترض على هذا التحول الجغرافى أحيانا أخرى · ولم يفطن من أعرض أو اعترض الى أن مصيره الى احباط وتخبط ، أو الى ضياع وتخلف ·

وجوهر الازمة التى يفتعلها ، مثل هذا الاجتهاد الجغرافى ، الذى يحجم

عن استيعاب الفكر الجغرافى المعاصر ، ولا يقتنـع بفلسفته ، يترتب عـلى تعايش غير حميد بين الجغرافية الحديثة والجغرافية المعاصرة • وهذا هو عين ما يدعو الى التخبط • ويركن الاجتهاد الجغرافى ، الذى يصطنع هذه الأزمة، الى شيء حقيقى من الجمود • ومرجع هذا الجمود — على كل حال — يرجع الى تحلى هذا الاجتهاد الجغرافى الجامد ، بأساليب الفكر الجغرافى التقليدى • ويبدو هذا الاجتهاد الجغرافى الجامد ، وهو يعض بالنواجذ على الجغرافيـة الحديثة وفكرها العتيق البالى ، الذى ينبغى أن تغرب شمسه • كمـا يبدو أيضا ، وكأنه يتشبث بالتقليد ، لأنه يتهرب أصلا من التجديد ، ثم يعترض ويرفض الجديد • وقل ربما لا يكون فى وسع مثل هذا الاجتهاد الجغرافى التقليدى ، الذى يتحلى بالجمود ، أن يستوعب ، أو أن يساير التجـديد • ومن لا حيـلة له أو من لا مهرب يحتمى فيه ، لا يملك الا الاعـراض عن التجديد • وقد لا يسكت هذا الاجتهاد الجغرافى الجامد ، وهو يتهرب من الجـديد ، عن التشكيك فى دواعى هـذا التجديد ، الذى يستنكره ، أو يستهجنه •

وهذا معناه — كما قلنا — أنها أزمة الاجتهاد الجغرافى الجامد ، الذى يستغرق فى الجمود ، حتى يتخلف بالفعل عن ركب التجديد • وقد يبحث عن أساليب الطعن المباشر وغير المباشر ، فى جدوى هـذا التجديد الجغرافى ، باعتباره بدعة لا لزوم لها • ومعناه أيضا ، أن هذه الأزمة ، لا تنبع مـن صواب ، أو من جوهر المفاهيم المتطورة ، وهى التى ترسخها وتبتنى أصولها وقواعدها ، على فلسفات الفكر الجغرافى المعاصر المتفتحة • ومن ثم قل أن هذه أزمة مفروضة وتلقى بظلها السخيف على الجغرافية المعاصرة • ولا يفجر هذه الأزمة ، غير جمود الاجتهاد الجغرافى التقليدى الجامد ، بل قل — بكـل الثقة — أنها أزمة ثقة بالنفس مفتعلة ، وهى تطعن فى جدوى الجغـرافية المعاصرة ، وفى جدوى التجديد والتجويد ، من غير قصـد متعمد فى معظم الأحيان •

وصحيح أنه ليس فى وسع هذه الأزمة ، ومن ورائها الاجتهاد الجغرافى الجامد ، أن تصيب الجغرافية المعاصرة بانتكاسة فعـل ، يشل التـوجه الى الهدف الجغرافى الجديد ، أو يطعن فى دواعى التجديد والتجويد الجغرافى • ولكن الصحيح أن أقصى ما فى وسع هذا الجمود والاعتراض ، هو أن يوقع البحوث الجغرافية ، فى عواقب التخبط ، أو أن يعرقل مسـيرة التفكـير الجغرافى ، ويحبط اقباله المتفتح على التطور ، وتطوير الهـدف الجغـرافى المتجدد ، وتطويعه لحساب الانسان وحركة الحياة ، فى المكان والزمان •

والدعوة مفتوحة ، أو معلنة بالحاح شديد ، لفض الاشتباك بين بقية باقية من أشلاء ، الفكر الجغرافي الحديث في جانب يركن الى الجمود ، وينبغي أن تحتجب ، وأن يقلع عنها الاجتهاد الجغرافي ، لانها لا تجاوب حاجة العصر من ناحية ، ومفاهيم واهتمامات وتوجهات الفكر الجغرافي المعاصر ، الذي يتفجر بالحيوية ، وينبغي أن ينتعش ، لأنه يجاوب حاجة العصر ، ولا يجوز التفريط فيه ، من ناحية أخرى . ولا يعني فض الاشتباك شيئا أهم من انهاء الازدواج الفكري ، الذي يبقى على التوازي من غير مبرر ، بين فكر جغرافي تقليدي جامد ، وفكر جغرافي تطبيقي متطور .

وحسن مواجهة هذه الأزمة ، واحتواء ما يمكن أن تسفر عنه من مضاعفات وعواقب غير مقبولة علميا ، يستوجب البحث عن كيفية انهاء ، أو انسحاب الجغرافية الحديثة من الميدان . كما يستوجب الانتصار للجغرافية المعاصرة ، ودعم هيمنتها على صعيد العمل الجغرافي العلمي التطبيقي . ووجوب هذا الانسحاب ، أو انهاء العمل بفلسفة الفكر الجغرافي الحديث ، قد يكون صعبا ، على من لم يستوعب دواعي التجديد ، وليس في وسعه أن يمارس أساليب التجديد والتجويد . ومع ذلك فلا يجب أن نكف عن مواجهة هذا الجمود ، ورفض البحوث الجغرافية ، لحساب الهدف الجغرافي ، الذي كان قد انبنى أساسا ، على مفاهيم ومنطق وفلسفة الفكر الجغرافي الحديث . ورفض مثل هذه البحوث رفضا قاطعا ، لأنها تركن الى شيء ملحوظ من التخلف العلمي ، لا يعني غير الانتصار بشكل غير مباشر ، للجغرافية المعاصرة . كما ينبغي أن ندعم في المقابل البحوث الجغرافية المجددة ، على النحو الذي يبتني على مفاهيم ومنطق وفلسفة الفكر الجغرافي المعاصر ، أو على النحو الذي يحقق الهدف الجغرافي في جوهره وشكله وتطلعاته التطبيقية الجديدة .

وليس أهم - في البداية - من انهاء بعض حالات التردد ، أو بعض أوضاع التخبط ، حتى يتجنب الاجتهاد الجغرافي الخلط والتداخل المخل ، بين توجه الفكر الجغرافي الحديث وجموده النظري ، وتوجهات الفكر الجغرافي المعاصر ومرونتها التطبيقية المتنورة . وهل لا يفتعل مثل ذلك الخلط أو التداخل أزمة حتى لو تأتي من غير قصد ؟ وهل لا تؤثر مواجهة هذه الأزمة، تأثيرا سيئا على حسن الأداء الجغرافي ، وهو الذي ينبغي أن تتفرغ له الجغرافية المعاصرة ؟ وهل لا يسفر هذا الوضع الغريب الى حالة من التفسخ، حيث يكون الجدل العقيم ، وتكون المصارعة بين القديم وهو غارق في التقليد في جانب ، والجديد وهو حريص على التجديد في جانب آخر ؟

ومطلوب — على كل حال — قليل من الوعى ، الذى ينبغى أن يتفتح ، ومطلوب أيضا قليل من الجهد ، الذى ينبغى أن يبذل ، حتى يتسنى اخراج الاجتهاد الجغرافى الجامد من جموده ، الذى يفتعل هـــذه الأزمة ، أو حتى يتسنى انقاذ هذا الاجتهاد الجغرافى الجامد ، من حبائل التقليد • ولا شىء غير هذا الوعى الجغرافى فى وسعه ، أن يرشد الاجتهاد الجغرافى الجـــامد ، ثم ينتشله من الجمود ، الذى يحرمه من حسن استيعاب مفاهيم وفلسفة الفكر الجغرافى المعاصر • وقل أن هـــذا الوعى الجغرافى ، هو الذى فى وسعه أن يبث فى الاجتهاد الجغرافى الجامد ، روح الايمان بدواعى الأخذ بمنطق التجديد والتجويد ، فى الآداء الجغرافى التطبيقى ، وفى اعلان الرأى الجغرافى ، أو فى اصدار القرار الجغرافى التطبيقى المناسب •

ولا شىء مفيد ، يشــد أزر علم الجغرافية المعــاصرة ويتحمس لهـــا ، ويدافع عنها ، غير الاجتهاد الجغرافى الذى يستوعب مفاهيم وفلسفة الفكر الجغرافى المعاصر • ولا شىء مفيد أيضا ، يستبعد علم الجغرافية الحديثة من الميدان ، ويصرف الحماس عنها ، ويحرمها من أولئك الذين يدافعون بالباطل عنها ، أهم من اعادة النظر فى سبيل تربية الكوادر العلمية ، التى يوكـــل اليها بالتخصص ، أمر العمل والاجتهاد الجغرافى • وقد يستوجب هذا الأمر أيضا اعادة النظر فى المقررات الدراسية العلمية ، فى شكلها الأصولى ، أو فى شكلها التجريبى • ومن ثم يكون الحذف أحيانا الذى يضع حدا لدراسة مقررات استنفذت أغراضها • ويكون التعديل الذى يضع لمسات التجـــديد والتجويد لدراسة مقررات لم تستنفذ أغراضها أحيانا أخرى ، وتكـــون الاضافة التى تحض على التجديد وتزينه وتضيف مقررات جديدة مناسبة ، ويتسنى بموجبها ترسيخ الانجاز الجغرافى ، لحساب الهـــدف الجغـــرافى التطبيقى الجديد •

وأضف الى دواعى الحذف والاقلاع عن القديم البالى ، والتعديل والاقبال على التجويد ، والاضافة والتزود بالجديد ، الحاجة الى وضع برامج تجاوب وضع علم الجغرافية المعاصرة ، وهو علم عملى تطبيقى • وتخصص هـــذه البرامج لتدريب الاجتهاد الجغرافى ، على ممارسة العمل الجغرافى التطبيقى العملى فى الميدان ، على صعيد المساحة المعنية : كما ينبغى تعويد هذه الكوادر الجغرافية العلمية ، على الخروج فى رحلة العمل الجغرافى التطبيقى ، وكأنها فى دراستها التطبيقية فى الميدان ، أو فى الحقل ، على صعيد المساحة المعنية، تسعى الى دخول المعمل أو المختبر ، الذى تجرى فيه الدراسة الجغرافيـــة العملية التجريبية •

هذا ، وينبغى أن يتحمل الاشراف العلمى المتخصص ، على الرسائل العلمية لطلاب الدراسات العليا ، على مستوى الماجستير والدكتوراه ، مسئوليته بشكل جاد ومؤثر فى هذا المجال • ويتعلق أمل الخروج من هذه الأزمة ، بأطراف هذه المسئولية ، التى لا ينبغى التهاون فيها ، أو التهرب منها أبدا • وعلى عاتق هذا الاشراف العلمى المسئول ، تقع مسئولية متابعة الكيفية ، التى يتأتى بموجبها انجاز البحث الجغرافى انجازا مناسبا لحساب الهدف الجغرافى الجديد • كما ينبغى أن يحض الاشراف العلمى دائما ، على تجاوز حدود الانجاز ، فى اطار التوزيع والتعليل والربط والتوجيه بمهارة الى حسن تقويم الظاهرة الجغرافية المعنية ، أو الموضوع الجغرافى ، تقويما جغرافيا مناسبا ، تبتنى عليه نتائج البحث ، وابداء الرأى الجغرافى التطبيقى السديد •

ويتعين على المشرف العلمى الذى يوكل اليه أمر الاشراف العلمى ، أن يتعقب عمل الباحث الجغرافى ، وأن يؤمن حسن التوجه والعناية واكتساب المهارة ، فى حساب الجدوى الجغرافية • ويجب أن يستشعر الباحث قيمة هذا الحساب ، وهو الذى يجاوب حاجة الانسان ، ويخدم مصلحته اجتماعيا واقتصاديا ، فى المكان والزمان • ومن غير تخوف على شخصية الباحث الجغرافى ، والتشكيك فى قدرته ، على الانجاز والاضافة ، التى تحسب له أو عليه ، ينبغى أن يتابع الاشراف العلمى حسن أداء الباحث الجغرافى باهتمام • كما ينبغى أن يتعقب عنايته بالموضوع مرتين ، **الأولى** وهو يعتنى بالرؤية الجغرافية التى يجسدها التوزيع والتعليل والربط ، **والثانية** وهو يعتنى بالرأى الجغرافى الذى لا يسفر عنه غير حسن تقويم هذه الرؤية الجغرافية ، لحساب الهدف الجغرافى الذى لا يسفر عنه غير حسن تقويم هذه الرؤية الجغرافية ، لحساب الهدف الجغرافى الجديد • ومن خلال هذه العناية بالرؤية الجغرافية وبالرأى الجغرافى ، تتداعى نتائج البحث الجغرافى ، الذى يمكن تطويعه وتوظيفه فى خدمة حركة الحياة • ومن ثم تكسب الجغرافية المعاصرة أنصارا ، وتضمن بهم انتصارا على صعيد العمل الجغرافى التطبيقى الرشيد •

**ثانيا — أزمة اعادة النظر فى بنية الجغرافية المعاصرة :**

فى اطار التركيب الهيكلى لبنية علم الجغرافية الحديثة ، جاء التقسيم العلمى الوظيفى ، تأسيسا على اهتمامات الفكر الجغرافى على المدى الطويل ، بالأرض ، وبالانسان ، وبالتعامل أو بالتفاعل الحياتى ، بين الانسان والأرض • ولقد اتفق الرواد من علماء الجغرافية ، فى القرن التاسع عشر

الميلادى ، على أن تتألف بنية علم الجغرافية ، من قسمين رئيسيين همـــا الجغرافية الطبيعية والجغرافية البشرية • وامتلك راتزل زمام الريادة فى الجغرافية البشرية ، وامتلك همبولت زمام الريادة فى الجغرافية الطبيعية • واقترنت عمومية التخصص فى علم الجغرافية ، بخصوصـــية التخصص فى الجغرافية الطبيعية أحيانا ، أو بخصوصية التخصص فى الجغرافية البشرية أحيانا أخرى •

ويوكل هـــذا التقسيم العلمى التخصصى الجغـــرافى الوظيفى ، الى التخصص فى الجغرافية الطبيعية قضية العناية بدراسة الأرض • وتشتمل هذه القضية الاهتمام والعناية بمتابعة الظاهرات الجغرافية الطبيعية • كما يحملها هذا التقسيم أيضا ، مسئولية الاهتمام الجغـــرافى ، بالصورة أو بالوضع الذى يكون عليه الواقع الجغرافى جملة وتفصيلا ، فى المكان والزمان، وقل أن الجغرافية الطبيعية ، فى اطار دراسة ومعالجة وتناول ومعـــاينة ، المنظور الجغرافى الطبيعى أصبحت تخصصا جغرافيا بحتا ومستقلا • وتحتوى الجغرافية الطبيعية ، فروعا جغرافية ، تتخصص فى متابعة تفاصيل جغرافية طبيعية ، تتمثل فى مكونات المنظور الجغرافى الطبيعى •

ويوكل هذا التقسيم العلمى التخصصى الجغرافى الوظيفى، الى التخصص فى الجغرافية البشرية قضية العناية بدراسة الانسان وحضوره على الأرض وتعامله معها • وتشتمل هذه القضية على الاهتمام والعناية بمتابعة الظاهرات الجغرافية البشرية ، على صعيد الأرض • كما يحملها هذا التقسيم أيضا ، مسئولية الاهتمام الجغرافى ، بالصورة ، أو بالوضع الذى يبدو فيه الواقع البشرى بكل أبعاده ، جملة وتفصيلا ، فى المكان والزمان ، وقل أن الجغرافية البشرية ، فى اطار دراسة ومعالجة وتناول ومعاينة المنظور الجغرافى البشرى ، أصبحت تخصصا جغرافيا بحتا ومستقلا • وتحتـــوى الجغرافيـــة البشرية ، فروعا جغرافية ، تتخصص فى متابعة تفاصيل جغرافية بشرية كثيرة ، تتمثل فى مكونات المنظور الجغرافى البشرى •

وبات هذا التقسيم العلمى الجغرافى التخصصى الوظيفى ، متعـــارفا عليه ، ومعمولا به ، اعتبارا من النصف الأخير من القرن التاسع عشر • وقل أنه يكسب اعتراف الجغرافيين وثقتهم فى جدواه ، والتزامهم به • وقل أيضا أن التخصص الجغرافى البحت أو الدقيق قد تأسس أو ابتنى على هذا التقسيم العلمى الوظيفى فعلا وعملا • ومن الجغرافيين ، ذلك الفريق الذى يستهويه التخصص فى الجغرافية الطبيعية ، والتمادى فى تخصيص دقيق يعتنى بأدق

التفاصيل في كل عنصر من عناصرها • ومن الجغرافيين أيضا ، ذلك الفريق الذى يستهويه التخصص فى الجغرافية البشرية ، ثم التمادى فى تخصص دقيق ، يعتنى بأدق التفاصيل فى كل عنصر من عنـــاصرها • ويجمع بين هذين الفريقين ، فى صف واحد ، الانتماء الى عمومية التخصص الجغـرافى العلمى العام •

ومن خلال التقسيم العلمى الجغرافى الوظيفى التخصصى ، جاء الالتزام فى اطار عمومية التخصص الجغرافى ، وضع الجغرافية الطبيعية على وجه ، ووضع الجغرافية البشرية على الوجه الآخر • وبهذين الوجهين ، تكون عمومية التخصص فى علم الجغرافية ، وبدون أى من هذين الوجهين تفتقد هذه العمومية فى علم الجغرافية المتخصص • ومن ثم كانت الصلة التى تربط أو التى تجمع ولا ينبغى أن تنتهك أبدا ، بين التخصص الجغـــرافى الطبيعى ، والتخصص الجغرافى البشرى • ويصبح هذا التخصصان ، على هذين الوجهين الطبيعى والبشرى ، وهما يرسخان أصول الوحدة الشاملة فى البنية الجغرافية العلمية العمومية • ويتم هذان التخصصان بعضهما ، ويرسخان القيمة العلمية الكلية لعمومية المفاهيم الجغرافية ، كما أراد الفكر الجغرافى الحديث لها ، أن تكون وأن تعمل فى اطار التخصص العام ، لحساب الهدف الجغرافى •

وفى اطار الانتماء الجغرافى العمومى ، كان من شأن الاجتهاد الجغرافى ، أن يعلن أولا وقبل كل شىء عن تخصصه الجغرافى • ثم يختار هذا الاجتهاد الجغرافى بعد تثبيت مقومات انتمائه الجغرافى العمومى ، أحد الوجهين الطبيعى أو البشرى ، مجالا للتخصص الدقيق • وبموجب هذا الاختيار ، يتخصص الجغرافى تخصصا دقيقا ، فى معالجة أو فى دراسة موضوعات جغرافية طبيعية وفروعها الدقيقة • وبموجب هذا الاختيار أيضا ، يتخصص الجغرافى الآخـــر ، فى معالجة أو فى تناول ودراسة موضوعات جغرافيـــة بشرية ، وفروعهـــا الدقيقة • وعلى كل وجه من وجهى الاختيار التخصصى ، كان ويظل الاجتهاد الجغرافى المتخصص فى الجغرافية الطبيعية وفروعها المتعددة ، والمتخصص فى الجغرافية البشرية وفروعها المتعددة ، حريصا على الانتماء الأصلى للجغرافية • بل قل يحرص كل واحد منهما ، على الوقوف ، فى الصف الواحد ، الذى يضم كل الصفوة من الجغرافيين • وهذا معناه حسن العناية والمهـــارة فى التنسيق والمحافظة على أقصى درجة من التوازن الحميد ، بين انتمائين هما ، الانتماء الى عمومية التخصص الجغرافى العـــام ، والانتمـــاء الى خصوصية التخصص الجغرافى الخاص •

ويكون الحرص على الوقوف فى الصف الجغرافى الواحد ، والانتماء العام الى الصفوة الجغرافية بالضرورة حرصا حصيفا ومؤكدا ، وينبغى أن يسبقه الحرص على الاعلان الصريح عن التخصص الجغرافى العلمى الدقيق . بمعنى أن المتخصص الجغرافى يكون جغرافيا أولا وقبل كل شىء ، ثم هو يكون جغرافيا متخصصا بعد ذلك . ولا تعارض أبدا . بين انتماء الى التخصص الجغرافى العام بمفهومه الشامل ، وانتماء الى التخصص الجغرافى الدقيق ، الطبيعى أو البشرى ، بحكم التقسيم العلمى الجغرافى المعمول به أو المتفق عليه . وبمعنى أن الاعلان عن التخصص الجغرافى الطبيعى ، أو التخصص الجغرافى البشرى ، يكون اعلانا لا يجوز الطعن فيه ، ولكنه فى نفس الوقت ، لا يستوجب أبدا انكار أو استنكار الاعلان عن الانتماء أصلا ، الى التخصص الجغرافى العام . بل قل أنه لا وجه أبدا للاعتراض على الانتماء العمومى ، والوقوف فى صف واحد يجمع كل الجغرافيين فى جانب ، والانتماء الخصوصى والوقوف فى صف خاص ، يجمع كل فريق متخصص من الجغرافيين ، فى جانب آخر .

ومن يحدثه تخصصه الجغرافى الدقيق ، ويستغرق فيه أو يتمادى ، ولا أقول يتعصب له ، يجد فى رحاب هذا التخصص الجغرافى الدقيق شيئا مهما ، يستحق أن يعتنى به أو يحافظ عليه ، وأن يعمق اعتزازه ، بالانتماء الى الصفوة الجغرافية . ولكن من يحدثه تخصصه الجغرافى الدقيق ،ويستغرق فيه ، ويأخذ بمنطق التعصب الشديد له ، ينزلق الى حضيض الاستعلاء متعمدا ، حتى يقع فى الخطأ ، أو حتى يتردى فى حبائل هذه الخطيئة العلمية ، فى حق الانتماء الجغرافى العام . ذلك أنه يتشبث بمكانه فى الصف الجغرافى المتخصص ويعرض متعمدا عن مكانه الأصلى ، فى اطار الصف الجغرافى العام الواحد ، الذى يجمع ويضم كل الجغرافيين من غير تمييز بين تخصصاتهم الجغرافية الخاصة .

وينال هذا الغائب متعمدا عن وحدة الصف الجغرافى العام ما يستحقه من لوم وتقريع . وقل يصبح فى نظر الصفوة الجغرافية مرتدا أو متمردا ، لأنه يخرج خروجا شاذا ، عن القاعدة التى يبتنى عليها الاخاء ، فى تقسيم الجغرافية الى القسمين الكبيرين ، الطبيعى والبشرى . وقل أن هذا الخروج المتمرد ، هو الذى يضع علم الجغرافية المعاصرة فى الأزمة ، التى تحمل فى أحشائها منطق الاعتراض ، على التركيب الهيكلى لبنيته العلمية .

وينبغى أن ننظر الى هذا الخروج المتعمد عن الصف الجغرافى الواحد ،

نظرة الاعتراض والمعارضة • ذلك أن هذا الخروج المتمرد ، هو الطعن المباشر في مصداقية القاعدة العامة ، التى استوجبت التقسيم الجغرافى العلمى ، وتفرض على هذا الجغرافى المتخصص دراسة الأرض وهى وطـــن الانسان ودراسة الانسان وهو يعيش فى ربوع الأرض • وما يتأتى أو ما يتأسس مخالفا لهذه القاعدة ، يجب أن يسترعى الانتباه • وقد نستنكره ، وينــــال الاعتراض الحقيقى على دواعى هذا الخروج ، لأنه — كما قلنا — لا قيمة لدراسة الأرض جغرافيا ، فى حال غياب حضورالانسان عن صعيدها ، ولا محـــل أولايستحق حضور الانسان ودراسته العناية الجغرافية ، من غير حضور على الأرض التى يحيا فى رحابها •

هذا ، ومع التحول الهادىء ، من الجغرافية التى كانت تجاوب فلسفة الفكر الجغرافى الحديث ، ولا تخرج عن توجيهاته ، الى الجغرافية التى أصبحت وهى تجاوب فلسفة الفكر الجغرافى المعاصر ، لم يتنكر علم الجغرافية أبدا ، أو لم يعترض على التقسيم العلمى الجغرافى المعمول به ، على الوجهين ، الطبيعى والبشرى • كما لم تعترض الجغرافية المعاصرة أبدا ، على وضع الجغرافيـــة الطبيعية ، فى الوضع التخصصى ، على وجه خاص ، ووضـــع الجغرافيـــة البشرية ، فى الوضع التخصصى ، على وجه خاص آخر • بل قل تحـــافظ الجغرافية المعاصرة على وضعها ، على هذين الوجهين ، ولا تجد فى صلب هذا التركيب مبررا واحدا ، يستوجب الاعتراض على هذا التقسيم • بل وليس فى نية التفكير الجغرافى المعاصر فلسفة تدعو الى ، أو تحمل وتحفز الاجتهاد الجغرافى المعاصر ، على البحث عن تقسيم جغرافى علمى تخصصى آخر •

ومن ثم ندرك جيدا ، كيف ورث الفكر الجغرافى المعاصر هذا التقسيم الجغرافى التخصصى ، الذى ما زال حريصا ، على أن يميز بالفعل ، بين شق التخصص الجغرافى الطبيعى فى جانب ، وشق التخصص الجغرافى البشرى فى جانب آخر ، عن الفكر الجغرافى الحديث • وما زال الفكر الجغرافى المعاصر حريصا على هذا الميراث ، فلا هو يستنكره ، أو ولا هو على استعداد للتفريط فيه • بل قل أنه ليس على استعداد للبحث عن التقسيم البديل ، ولا يكاد يقبل أى طعن ينال منه أو يرفضه • وهذا معناه بصراحة ، أن يبقى التركيب الهيكلى لبنية علم الجغرافية المعاصرة ، على ما كان عليه من قبل • ومعنـــاه أيضا أن يبقى هذا التقسيم الوظيفى التخصصى المعمول به مناسبا وصالحا ، ولا محل للتغيير أو للاقلاع عن الممارسة الجغرافية المتخصصة بناء على هـــذا التقسيم الجغرافى التخصصى •

وهناك أصوات خافتة تردد باستنكار هذا التقسيم الجغرافى أحيانا ٠ وهناك أصوات تعلو أحيانا أخرى ، وهى تعلن عن بعض المبررات التى تراها وجيهة ، فى شأن استنكار أواستهجا ن هذا التقسيم الجغرافى ، الذى يفصل ويميز بين الجغرافية الطبيعية والجغرافية البشرية ٠ وتجاوب هذه الأصوات وهى خافتة أو وهى عالية على سؤال ، يتردد على لسان بعض الجغرافيين ، أو يرد على خاطر الواحد منهم ٠ ويقول هذا السؤال لماذا بالضرورة ، جغرافية طبيعية وجغرافية بشرية ، فى اطار الانتماء الجغرافى ؟ ويقول هذا السؤال أحيانا أخرى ، لماذا يتحتم الفصل بين الجغرافية الطبيعية والجغرافية البشرية ؟ وقد يتسلل عرض السؤال تسللا على استحياء خبيث ، ويقول ألا يكفى أن تحل الجغرافية العامة محل هذا التقسيم الجغـــرافى التخصصى ، فتغنى عن خصوصية التخصص فى الجغرافية الطبيعية والجغرافية البشرية ؟

وطرح هذ السؤال على أى نحو ، وبأى طريقة من طرق الاستفسار التى نعلن عن درجة من درجات الاعتراض ، هو الذى يعبر عن أبعـــاد الأزمة ٠ وتجسد هذه الأزمة — اذا جازت هذه الصفة — شكلا من أشكال الاعتراض الصريح على الفصل ، الذى ابتنى عليه منطق التقسيم الجغرافى التخصصى أولا ، والاعتراض على التخصص بناء على هذا التقسيم الجغرافى ثانيا ٠ ومع ذلك فأن هذا الاعتراض ، لا يمكن أن يعبر عن اعراض حقيقى ، عن دراسة الأرض ومعالجة الواقع الطبيعى ، أو عن اعراض حقيقى آخـــر ، عن دراسة الانسان ومعالجة الواقع البشرى ٠ بمعنى أن هذا الاعتراض يتمتم وهـــو شديد التحفظ ، أو يعلو صوته من غير تحفظ ، على التقسيم ، وهو فى نفس الوقت لا يعترض على اهتمامات علم الجغرافية ، بالأرض وبالانسان ، وبالتفاعل الحياتى بينهما ٠ بل أن أصوات هذا الاعتراض ، تعترف بأن هذه الاهتمامات الجغرافية ، لا يمكن أن تكون محل جدل أو محل اعتراض ، أو محل اعراض أبدا ٠ وربما يوجه هذا الاعتراض الذى تعلن عنه هذه الأصوت ، فى المقام الأول ، الى جدوى المنطق ، الذى يؤيد التقسيم الجغرافى التخصصى ، والمبرزات التى يتأتى بموجبها المحافظة عليه ، والعمل به ٠

ويبدو — على هذا الأساس — أنه لا محل لأزمة حقيقيـــة ، تواجه علم الجغرافية المعاصرة ، شكلا أو موضوعا ٠ ولا ينبغى أن نتخوف عليه من هـــذه الأزمة ٠ وقد لا يستوجب الأمر ، الجدل والحوار للرد على هذا التشكيك ٠ ولا ينبغى أن نتخوف عليه من هذه الأزمة ٠ وقد لا يستوجب الجدل والحوار للرد على طرح السؤال ، اعادة النظر بالفعل فى التركيب الهيكلى لبنية علم

الجغرافية المعاصر . وليس فى نية الاجتهاد الجغرافى ، أن يصرف النظر عن التقسيم الجغرافى المعمول به . ولا محل أبدا لاهمال العناية الجغرافيـة بالأرض ، التى تهتم بها وتتفرغ لها ، الجغرافيـة الطبيعية . ولا محل أبدا لاهمال العناية الجغرافية بالناس وحركة الحياة ، التى تهتم بهـا . وتتفرغ لها الجغرافية البشرية .

ولو كان القصد الحقيقى ، من وراء طرح هذا السؤال ، الذى يتكرر من حين الى حين آخر ، هو مجرد الاعتراض على اهتمام علم الجغرافية المعاصرة ، بأى من هذين الشقين أو هذين القسمين الجغرافيين ، يصبح من حقنا أن نرفض هذا القصد الذى يتهجم ويهاجم متعمدا. ذلك أنه . يبدو عندئذ وكأنه الطعن المباشر ، الذى لا يستهدف غير التخريب ، وهدم فلسفة الفكر الجغرافى من الأساس . وينبغى أن نستبعد هذا القصد السىء ، لأن الاقدام على الهدم ، يستوجب احلال فلسفة أخرى محلها. ومن ثم لا يكاد يعطى طرح هذا السؤال انطباعا واضحا عن الرغبة فى احلال فلسفة جديدة غير فلسفة الفكر الجغرافى التى تجيز هذا التقسيم الجغرافى ، أو عن الرغبة فى هدم التركيب الهيكلى لبنية علم الجغرافية من الأساس . ذلك أن الهدم لا يعنى غير حرمان الاجتهاد الجغرافى من العناية الملتزمة ، بالأرض ، وبالانسان ، وبالتفاعل بينهما ، فى المكان والزمان .

وينبغى أن نفترض حسن النية ـ على كل حال ـــ ، وأن نتوقع سلامة المقصد فى الأصل ، لكى يكون فى وسعنا أن نجادل ، أو أن نحاور ، حتى يتسنى الرد ردا موضوعيا على طرح هذا السؤال . بل ولا ينبغى أن يكون الهدف من خلال الحوار الفكرى الهادىء ، أو من خلال الجدل الموضوعى الملتزم، غير الوصول الى الاجابة السليمة . بل قل ينبغى أن يفضى هذا الجدل أو هذا الحوار ، فى نهاية المطاف ، الى اقتناع حسن ، يبقى عـلى التقسيم الجغرافى والعمل بموجبه على مستوى التخصص الجغرافى ، أو الى عدم اقتناع بجدوى هذا التقسيم الجغرافى ، الذى يحتوى التخصص الجغرافى الطبيعى، والتخصص الجغرافى البشرى . والمهم أن يتأتى هذا الاقتناع ، أو عدم الاقتناع ، فى هدوء ، ودون تعريض بنية علم الجغرافية المعاصرة ، لهزات عنيفة متعصبة ، أو لزلزلات خطرة مدمرة ، تهد أو تهدد كيان العلم وأصوله الفلسفية .

واذا أفضى الجدل الى الاقتناع بجدوى هذا التقسيم الجغرافى ، تنتهى القضية . ويبقى هذا التقسيم لكى يحتوى الاهتمام الجغـــرافى بالأرض ، والاهتمام الجغرافى بالانسان وحركة الحياة ، فى الوضع المتعارف عليه .

أما اذا لم يكن هناك اقتناع بجدوى هذا التقسيم ، كان من الطبيعى أن نتعقب موجبات عدم الاقتناع ، وأن نختبر المبررات التى تؤيد الاعتراض وعدم الاقتناع • كما ينبغى أن نتلمس أيضا ، كيف يكون الطعن فى حتمية هذا الفصل الجغرافى بين الجغرافية الطبيعية والجغرافية البشرية ، وهما فى اطار الجغرافية الموحد • ومبلغ عامى أنه لا طعن فى جوهر الفلسفة التى تحتم هذا الفصل ، ولا مبرر أيضا لهذا الطعن •

والخوف كل الخوف من أن يمضى هذا الطعن الذى لا يطعن فى فلسفة الفكر الجغرافى ، الى حد ، لا تتضرر به بنية علم الجغرافية المعاصرة أبدا ، ولكن يتضرر منه فعلا من يصر على هذا الاعتراض دون مبرر وجيه • ويحق لنا أن نسأل عن سبب هذا الاعتراض ، أو سبب عدم الاقتناع بجدوى هذا التقسيم الجغرافى ، الذى يتحدد به مجال التخصص الجغرافى الدقيق • كما ينبغى أن نطلب من كل من يبدى سببا لعدم الاقتناع ، التوجه البديل الى تقسيم جديد ، بشرط عدم التفريط فى الاهتمام الجغرافى بالأرض ،والاهتمام الجغرافى بالانسان وحركة الحياة •

واذا كان هناك شىء من الشك فى جدوى هذا التقسيم الجغرافى ، الذى يأتى بموجبه التمييز ، الجغرافية الطبيعية ، والجغرافية البشرية ، كان من الضرورى أن نتدارك هذا الشك حتى لا يصل الى درجة عدم الاقتناع • وهذا معناه أن من يشك أو من يتشكك ، أو من يشكك ، لا يكاد يقصد الطعن لذاته ، فى جدوى هذا التقسيم الجغرافى ، ولا يقصد بالتالى الطعن فى منطق وفلسفة الفكر الجغرافى ، الذى يؤدى الى هذا التقسيم ، أو الذى يباركه ، ويأخذ به • وقل أن هذا المتشكك ، ربما كان يبحث أو يحاول العثور عن تقسيم آخر أكثر جدوى • وهذا هو الاحتمال الشارد الضعيف • ولكن الاحتمال الوارد الآخر ، فربما تمثل فى البحث عن وسيلة علاج ، تواجه أو تعالج شرود ، أو تمرد هذا التخصص الجغرافى ، بموجب هذا التقسيم • وعلاج هذا التمرد ، يعنى مواجهة الخروج على الصف الجغرافى الواحد ، أو الاستعلاء عن حتمية الانتماء العام ، الى الصف الجغرافى الواحد ، الذى تعود على الجمع بين التخصص الطبيعى والتخصص البشرى •

وكان طرح هذا السؤال ، وهو لا يعلن عن عدم الاقتناع بجدوى هذا التقسيم الجغرافى ، لا ينطوى على ارادة التمرد أو الشرود • وقل أنه اذا كان قد طالب باعادة النظر فى التركيب الهيكلى لبنية علم الجغرافية المعاصرة ، فيكون فى الغالب ، فى موقف الدفاع عنها ، فى مواجهة التمرد أو الشرود

الذى يبديه غرور التخصص الجغرافى الدقيق • وفى اعتقاد جغرافى صريح ، أن هناك فعلا ، من تحدثه نفسه ، ويزين له غروره ، التمرد وصولا الى حد الشرود • ويسفر هذا الشرود أحيانا ، أو هذا التمرد أحيانا أخرى ، الى حد الانغلاق أو التقوقع فى التخصص الجغرافى الدقيق ، أو الى حد التنكر للانتماء الجغرافى العـــام • ومن ثم يكون الهروب والتهرب من الوقوف فى الصف الجغرافى الواحد • وتوظيف طرح هـــذا السؤال فى موقف الدفاع ، يجسد محاولة انهاء موجبات هذا التخصص الجغرافى الدقيق ، حتى يتجنب عـــلم الجغرافية المعاصرة ، عواقب ، شرود الشاردين والمتمردين ، وتوقف نزيف الخروج المتعمد عن الصف الجغرافى الواحد •

وفى اعتقادى أن من يبدو وكأنه يطعن فى حتمية هذا التقسيم ، لايفعل ذلك متعمدا ، وهو متجرد من الغرض • وربما كان هذا الطعن وسيلة ، يريد بها أن يقطع الطريق على من يضل ، ويزين له تخصصه الجغرافى الدقيق ، الانزلاق فى مصيدة الشرود والتوقع ، وصولا أحيانا الى حد الانسلاخ النهائى من الصف الجغرافى • وقل ربما يريد أن يفرغ هذا التقسيم الجغرافى من مضمونه ، لكى لا يدع أمر اختيار التخصص الجغرافى مبـــاحا ، ثم يستباح بموجبه هذا الشرود أو التمرد ، بكل عواقبه الوخيمة ، حتى يؤثر عـــلى سلامة الجغرافية المعاصرة • وكأن الغرض الذى يضمره ، من يبدو وهو يطعن فى التقسيم الجغرافى ، يتمثل فى العمل على تجميد الحق فى هذا الاختيار ، أو تجميد العمل به تحت شعار التخصص الجغرافى الدقيق • وهذا التجميد هو الذى يحبط تقاليع هـــذا الانزلاق الى مواطن التمرد والشرود • ومن ثم يفرض اسقاط هذا التقسيم والاقلاع عنه ، على ذات الجغرافى ، الذى يتحمل مسئولية العمل الجغرافى ، أن يكون جغرافيا بالفعل ، أو أن لا يكون • بل قل أنه يرى فى اسقاط التقسيم الجغرافى ، وسيلة حرمان تحرم من يحدثه غروره الجغرافى التخصصى الخاص بالشرود أو بالتمرد ، وتوقفه عند حده •

ونقول أنه ليس بهذا الأسلوب ، الذى يطعن فى التقسيم الجغرافى من حيث الشكل ، ويقتنع به من حيث الجوهر ، يكون العلاج ، أو يكون البحث عن حل فى مواجهة هذا الشرود ، الذى يتسبب فى الأزمة • وقل أنه لـــو استجبنا لهذا الأسلوب ، كان علينا ، أن نعيد النظر فعلا فى التركيب الهيكلى لبنية الجغرافية المعاصرة • بل قل يكون لزاما علينا أن نحتال حتى نتلمس التركيب الهيكلى الجديد ، الذى يخفى ملامح هذا التقسيم وشكله الظاهر ، ويحافظ فى نفس الوقت على الجوهر ، الذ يبقى على التخصص الجغرافى الدقيق فى كل قسم من هذين القسمين ، ويفرض على الجغرافى المتخصص ما يكبل

ارادة الشرود فيه ، أو لا يدع له فرصة التمرد على وضعه ومكانه ، فى الصف الجغرافى الواحد ٠

وفى اعتقاد الجغرافيين جميعا دون استثناء ، أن التخصص الجغرافى الدقيق ، ضرورى وواجب ، ولا يجوز التفريط فيه أبدا٠ويتأكد هذا الوجوب سواء كان التخصص الدقيق فى اطار البنية الجغرافية الحالية ، أو يكون فى اطار البنية الجغرافية المرتقبة ، فى حال اعادة النظر فى تركيبها الهيكلى ٠ ويهيىء التخصص الجغرافى الدقيق — على كل حال — فى أى من الحالتين فرص الشرود والخروج من الصف ، لكل من يملك الاستعداد للشرود المغرور ، والوقوع فى الخطأ ٠ بمعنى أن طلب اعادة النظر مرفوض ، شكلا وموضوعا ، ولا لزوم له أبدا ٠ ذلك أن من يملك الرغبة فى الشرود ، يزين له غروره هذا الشرود بالفعل ، ولا شىء يمكن أن يمنعه أو أن يردعه أو أن يقوى فيه دواعى التشبث بعمومية الانتماء الى الصف الجغرافى الواحد ٠

ومهما يكن من أمر ، هذه الأزمة — اذا أجاز هذا التعبير — فان الاجتهاد الجغرافى المعاصر ، لا يهتز ٠ ويحسن هذا الاجتهاد الجغرافى المعاصر الاستماع الى السؤال ، الذى يطعن متعمدا ، أو الذى يثير عاصفة من الشك فقط ، فى سلامة التركيب الهيكلى لبنية علم الجغرافية ، ويحاور ويجادل بصدر رحب ، وعقل متفتح ٠ ولا يجد هذا الاجتهاد الجغرافى المعاصر الرزين ، مبررا واحدا ، يحق بموجبه اعادة النظر فى هذه البنية ، أو فى تقويم سلامة تركيبها الهيكلى ٠

وتحافظ الجغرافية المعاصرة على هذه البنية ، التى تستوجب التقسيم الجغرافى ، كما ورثتها عن الجغرافية الحديثة ٠ وهناك أكثر من مبرر وجيه ، يدعم الجغرافية المعاصرة ، فى اتخاذ هذا الموقف ، والاصرار على هذا التقسيم الجغرافى ٠ وتدعو الجغرافية المعاصرة ، الى وجوب التخصص الجغرافى الدقيق فى الجغرافية الطبيعية ، جنبا الى جنب ، مع التخصص الجغرافى الدقيق فى الجغرافية البشرية ٠ ولا تنازلات فى هذا الخصوص أبدا ٠ وقل أنها تشجع وتحفز هذا التخصص الجغرافى الدقيق ، على أن يعمل لحساب التجديد فى الانجاز الجغرافى المتخصص الدقيق ٠ ولا يضع علم الجغرافية بعد ذلك كله ، حظرا على التخصص الجغرافى ، ولا على الابداع فى هذا التخصص الجغرافى الدقيق ٠ ولكن هناك شروطا ينبغى حسن الاستماع اليها والعمل بموجبها ٠

وتتمثل هذه الشروط فى :

( أ ) يجب أن يحافظ الجغرافى أولا على انتمائه الى الصف الواحد ، الذى يجمع بين جميع الجغرافيين بصرف النظر عن التخصص الجغرافى الدقيق. وفى وسع الجغرافى أن يحافظ على التوازن والتوازى بين الانتمـــاء للصف الجغرافى العام الواحد ، والانتماء للتخصص الجغرافى الدقيق .

(ب) يجب أن يتفرغ الجغرافى للأداء ، وصـــولا الى حـــد الابداع فى التخصص الجغرافى الدقيق ، دون مساس بأسس وأصول ، وقواعد عريقة ، قد فرغ التفكير الجغرافى من ارسائها ، وأبتنى عليها سلامة التركيب الهيكلى للبنية الجغرافية ، منذ وقت طويل .

* * *

**ثالثا : أزمة انسلاخ بعض الاهتمامات الجغرافية :**

تواجه الجغرافية المعاصرة ، وهى علم عملى ، له اهتمامات عملية تطبيقية، بعض المشاكل والأزمات ، بالقدر المناسب من الموضوعية والحسم . ويرى علم الجغرافية المعاصرة ، أن مثل هذه المواجهة تمثل شيئا من هموم العمل ، أو من متاعبه التى ينبغى التعود عليها ، دون خوف أو حساب كبير للعواقب . ويخرج علم الجغرافية المعاصرة من هذه المواجهة ـ فى كثير من الحالات ـ ، وقد اكتسب أو تزود بخبرات جديدة أو ازداد رسوخا وقدرة على الأداء والانجاز الجغرافى الأفضـــل . ومع ذلك ، يبقى أن نشير الى تخوف علم الجغرافيـــة المعـــاصرة الشـــديد من شرود أو تمرد أو من انحراف التخصص الجغرافى الدقيق ، فى بعض الحالات الاستثنائية ، أو الشاذة .

وكان من الضرورى أن يتصدى علم الجغرافية المعاصرة لهذا الانحراف ، وأن يندد به ، وأن يتلمس وسائل ردعة وتطويعه . وقل كان من الضرورى أيضا أن يدافع علم الجغرافية المعاصرة ، دفاعا شريفا عن اهتماماته المتعددة وعنايته بدراسة الأرض وبدراسة الانسان وبدراسة حركة الحياة والتعامل بين الانسان والأرض. ومع ذلك يعانى علم الجغرافية المعاصرة ، وتعانى معه الصفوة من الجغرافيين ، من استشعار عدم القدرة على انهاء أو احباط أو وقف تيار هذا الشرود والتمرد . بل قل تزداد هذه المعاناة ، عندما يتجه تيار هذا الشرود الى حد الانسلاخ عن صلب التركيب الهيكلى لعلم الجغرافية ، ويجد

الشرود ، من غير المتخصصين فى الجغرافية ، تشجيعا يشجع هذا الانسلاخ ، ويدعو اليه ٠

وصحيح أن الجغرافية المعاصرة ، فكــرا وعلما تدافــع عن مفاهيمها واهتماماتها ، ولا تسكت فى مواجهة الشرود أو التمرد ٠ وصحيح أيضا أنها تعمل كل ما فى وسعها ، لكى تعيد هذا الشرود الى جادة الصواب ، وتجمد توجهه الشارد الى الانسلاخ ٠ ولكن الصحيح بعــد ذلك كـــله ، أن ارادة الشرود لا تستسلم ، ولا تثوب الى رشدها ، لأن موجبات هذا الشرود ، وهى تختلط بالغرور ، تزين للانسلاخ الاصرار على مشوار الشرود ، أو الخروج عن الصف الجغرافى ، خروجا متعمدا بلا عودة ، أو دون المحـــافظة على دواعى الانتماء الجغرافى ٠

ويمثل هذا الانسلاخ فى أسهل كلمات ، عملية البتر التى يتعرض لها الكيان الجغرافى ٠ وقل لا يسفر هذا الانسلاخ ، عن شىء أهم أو أخطر من انقطاع الصلة العضوية ، بين علم الجغرافية وهو بمثـابة الأم فى جانب ، وبعض الاهتمامات الجغرافية الطبيعية،أو الاهتماماتالجغرافية البشريةفىجانب آخر ٠ ولا شىء معقول يمكن أن يبرر هذا البتر ، أو أن يدعو علم الجغرافية الى التفريط فى الاهتمام الذى يتعرض لهـــذا الانسلاخ ٠ ومن ثم تتخـذ الجغرافية المعاصرة ، علمـــا وفكرا ، موقفا مناسبا ، وهى تواجه هـــذا الانسلاخ ٠

وقل أن هذه الاهتمامات ، سواء كانت طبيعية أو بشرية ، كانت قـد نشأت وتشكلت ، فى الاطار الجغرافى ٠ وقل أيضا أنهـــا كانت تتوجه فى المـاضى ، كمـــا تتوجه فى الوقت الحـــاضر ، من خـلال البحث الجغرافى المناسب ، توجها رشيدا وسديدا ، الى الهدف الجغرافى ٠ بل قل أن كـل ما فى محتوى هذه الاهتمامات ، يعلن فى الظاهر ، وفى الباطن ، عن الولاء للانتماء الجغرافى ٠ ويظل الاجتهاد الجغرافى المعـاصر ، حريصا على هــذه الاهتمامات ، ولا يقدم أبدا على التفريط فيهـــا ٠ وما زال علم الجغرافيـة المعاصرة حريصا على أن يضع هذه الاهتمامات ، فى بؤرة العناية الجغرافية العلمية العملية الكامله ٠ ومن ثم يبدو الاجتهاد الجغرافى المعـاصر ، وكأنه لا يعترف بالشرود ، ويستخف به ، أو وكأنه لا يقر هــذا الانسلاخ ، ولا يتردد فى استنكاره وعدم الاعتراف به ٠

ويعلن هذا الانسلاخ بالضرورة ، عن ولادة علم جـــديد ، يخرج من

تحت الثوب أو من تحت الرداء الجغرافى . ويتقدم الاجتهاد العلمى الشارد مبتعدا عن الانتماء الجغرافى ، الى قطـــع الصلة ، بين هذا العلم الجـديد ، وقواعد علم الجغرافية . وصحيح أن هذا القطع لا ينتهك غير الشكل ، ويبقى الاتصال من حيث الجوهر سليما لا ينقطع أبدا . ولكن الصحيح أيضا ، أن الأيدى التى ترتكب هذه الخطيئة وهى متعمدة ، تعبث وتحـاول أن تبتنى الحاجز الذى يقطع خط الرجعة ، على أى احتمـال عاقل للعودة الى الأصـل الجغرافى .

ويحاول هـــذا الاجتهاد العلمى الشارد أو الخـارج عن الانتمـاء الى الجغرافية ، أن يخرج عن القواعد والأسس المعمول بها ، فى الاطار الجغرافى الجامع ، لكل الاهتمامات ، بالأرض وبالانســـان ، وبالتعامل الحيـاتى بين الانسان والأرض . ويتولى هـــذا الاجتهاد العلمى الشارد ، ســواء كان جغرافيا قبل أن يتبرأ من الانتماء الجغرافى ، أو كان غير جغرافى واشترك فى اتمام هذا الانسلاخ ، مسئولية وضع وصياغة القواعد والأسس الجديدة، التى يبتنى عليها ، الاطار العلمى المتـاسب لهـذا العلم الجـديد ، حديث الولادة .

وهكذا تكون الأزمة التى تواجه علم الجغرافية المعـاصرة ، والفـكر الجغرافى الذى يدعم ويشد أزر هـــذا العلم ، لحساب الهـــدف الجغرافى الجديد . ويجرم علم الجغرافية هذا التوجه الشارد المتمرد ، ويدين قضـية البتر الذى يتعرض له الكيان الجغرافى ، بل قل أنه يرى فى هذا الانسلاخ دون مبرر موضوعى وجيه ، شكلا من أشكال التفسخ والتخريب والهدم . ويكون علم الجغرافية المعاصرة فى صحبة الفكر الجغرافى مسئولا عن حماية الكيان الجغرافى الموحد ، وعن الدفاع عن اهتمـاماته فى الاطار الجغرافى . كما يكون هذا الاجتهاد الجغرافى مسئولا عن حسن مواجهة الأزمة ودواعى التخريب فى الكيان الجغرافى ، وحسن امتصاص الصدمات ، التى تتسبب فيها قضايا الانسلاخ والخروج عن عمومية ثم عن خصوصية الانتماء الجغرافى .

وبصرف النظر عن مبلغ خطورة هـــذا الانتهـاك ، الذى يتعرض له الكيان الجغرافى ، يجب أن نتبين كيف يسفر هذا الانسلاخ عن مولد علم جديد ، تحت سمع وبصر علم الجغرافية . وبصرف النظر عن كل المعـانى التى يفضى اليها هذا الانسلاخ ، وهو يعلن عن بتر اهتمام من الاهتمامات الجغرافية ، ينبغى أن نتلمس جيدا عواقب هذا البتر ، ومبلغ تأثيره عـلى الكيان الجغرافى . وقد يتحمس الاجتهاد الجغرافى المعاصر لهذه المواجهة ،

لكى يتعرف على كيفية الانسلاخ ، وعلى جدوى نشأة هـذا العلم الجديد
وقد لا يعترض الاجتهاد الجغرافى اعتراضا شديدا على نشأة هـذا العلم
الجديد ، وهو يجاوب حاجة الحياة ، بما يضيفه من انجاز مفيد ، الى الرصيد
العلمى الانسانى • وقد يترفق الاجتهاد الجغرافى بهذا العلم الجديد ، ويعين
ويزوده ، على اعتبار أنه نشأ وتدفق من نبع وحدة المعرفة فى الاطار
الجغرافى • ولكن يبقى بعد ذلك كله ، الاعتراض الجغرافى الشديد عن
جدوى الانسلاخ ، وهو يسأل عن لماذا يولد هـذا العلم الجديد ؟ بل وعن
قيمة هذا العلم الجديد ؟ اذا كان توجه البحث فيه ، يقع فى خطيئة التكرار
أو الثنائية فى التناول • ومن ثم تسأل الجغرافية المعاصرة بالحاح شديد عن
جدوى هذه الثنائية ، وما هو وجه التجديد الحقيقى أو التجويد العلمى
من وجهة النظر العلمية الموضوعية •

وعلم البيئة مثلا ، من العلوم التى نشأت ، من خلال هذا الشرود
أو من خلال هذا الخروج عن اطار وحدة المعرفة الجغرافية • ويسجل
الاجتهاد الجغرافى فى مرحلة انتعاش علم الجغرافية الحديثة ، وفى مرحلة
التحول الى علم الجغرافية المعاصرة ، اهتماما وعناية حقيقية بدراسة البيئة
ولم يحدث أبدا ، أن أهمل أو أن تخاذل الاجتهاد الجغرافى فى دراسة
البيئة ؛ على صعيد المساحة المعنية ، فى الزمان والمكان ، بل قل كانت
هناك محاولات جادة ، من أجل وضع الاطار أو الحد الذى يكفل حبكة
البيئة فى المكان • ومع ذلك لست أدرى لماذا كان الشرود ؟ وكيف أفضى
هذا الشرود الى الانسلاخ من صلب التركيب الهيكلى للبنية الجغرافية ؟ •

وقد يجهل الاجتهاد الجغرافى المعاصر بالفعل ، دواعى وموجبات هذا
الانسلاخ ، التى أدت الى نشأة علم البيئة • ولكنه يدرك فى نفس الوقت ،
أن أولئك الذين زين لهم الشرود فرض هـذا الانسلاخ ، يتعمدون اقامة
الحاجز أو السد الذى يرسخ انقطاع الصلة ، بين علم البيئة وعلم الجغرافية •
بل انهم يستنكرون أحيانا هـذه الصلة استنكارا شديدا ، يبلغ حد
التبجح • ويدرك الاجتهاد الجغرافى أيضا ، أن توجه الدراسة والبحث فى
علم البيئة الذى ، يتبرأ من الانتماء الجغرافى ، ويتنكر للصلة بينها وبين
علم الجغرافية ، يقع فى خطيئة الثنائية ، فى التناول ، أو فى الدراسة •

وتأسيسا على خطيئة الثنائية فى التناول والدراسة والبحث الذى
يتولى أمره الاجتهاد الغامى فى علم البيئة ، يكون الاعتراض الجغرافى
الشديد ، على موجبات هذا الانسلاخ ، وعلى جدوى نشأة هذا العلم وانقطاع

صلته بعلم الجغرافية المعاصرة • ولو دققنا جيدا ، فى صلب اهتمامات علم البيئة ، وتوجهات البحث العلمى عن البيئة ، وهو يتناول أو وهو يعالج البيئة الطبيعية ، أو وهو يتناول أو وهو يعالج البيئة البشرية ، وصولا الى النتائج ، التى تجاوب الهدف الجغرافى فى نهاية المطاف ، تبين لنا كيف يكون الوقوع فى خطيئة التكرار ، أو الثنائية فى التناول ، والتوازى فى المعالجة •

ومن خلال مراجعة البحث العلمى عن البيئة الذى ينجزه الباحث الجغرافى ، ومراجعة نفس البحث العلمى عن البيئة ، الذى ينجزه ، الباحث غير الجغرافى أو الذى ينجزه متخصص فى علم البيئة ، نفهم جيدا معنى وأبعاد الثنائية فى التناول والمعالجة • ويبدو الباحثان الجغرافى وغير الجغرافى ، وكأنهما ينهلان من منهل واحد • وقل يمضى بهما هذا البحث عن البيئة على دربين متوازيين ، وهما يطلان ويتطلعان الى نفس المنظور البيئى على صعيد المساحة المعنية • ولا مجال لأن نجد المبرر ، حتى نتعلل ، أو حتى نتصور ، أن الجغرافى يطل على البيئة من زاوية خاصة ، ولها فى رؤيته ، وفى رأيه الجغرافى ، منظور واضح وفهم خاص ، وأن عالم البيئة يطل على نفس البيئة من زاوية خاصة أخرى ، ولها فى رؤيته ، وفى رأيه البيئى ، منظور واضح آخر وفهم خاص مختلف • ولو كان الأمر كذلك ، لهان هذا التناول المتوازى ، ولكان فى وسعنا أن نغتفر هذه الثنائية والتكرار ، على اعتبار أن منظور الواحد منهما ، يتمم منظور الآخر ، وحتى تكون الدراسة فى نهاية الأمر أكثر عمقا واتساعا •

واضافة الى هذه الثنائية فى التناول أو فى المعالجة ، هناك أيضا التوازى فى هذا التناول والمعالجة • ويكون هذا التوازى فى المعالجة ، حتى يصعب التمييز البين ، بين الهدف الجغرافى من دراسة البيئة ، وتقصى الحقائق التى تجاوب هذا الهدف فى جانب ، وهدف عام البيئة من الدراسة البيئية ، وتقصى الحقائق التى تجاوب هذا الهدف فى جانب آخر • وتمضى دراسة البيئة فى علم البيئة على درب ، يوازى الدرب الذى تمضى فيه

دراسة البيئة فى علم الجغرافية المعاصرة • وكأن لا موانع ولا مبررات وجيهة تمنع علم الجغرافية المعاصرة ، ولا علم البيئة من دراسة البيئة ، دراسة تفتقد بينهما التكامل ، وتتبين التوازى • وفى الحالتين تعكف الدراسة البيئية والدراسة الجغرافية للبيئة ، على معالجة البيئة ، وأبعاد وجودها فى المكان والزمان ، فى اطار الطبيعة ، وعلى معالجة البيئة ، وحضور حركة الحياة فى ربوعها ، وأبعادها البشرية • وتجمع الدراسة الجغرافية والدراسة البيئية ، بين وجه البيئة الطبيعى ، ووجه البيئة البشرى ، فى الاطار الواحد ، لكى تتجسد البيئة الجغرافية فى المكان والزمان ، ويتحدد وجودها الجغرافى فى المساحة المعنية • ولا يجد علم البيئة ، عندما تجرى نفس الدراسة المتخصصة ، غير استخدام نفس الأسلوب والمنهج • بل قل أنه ينهج نفس المنهج ، لتجسيد الجمع بين البيئة الطبيعية ، والبيئة البشرية ، ويستخدم نفس التعبير ، فاذا بها على هذا المستوى الجامع بينهما ، هى بعينها البيئة الجغرافية •

ويخطىء من الجغرافيين ، كل من لا يعترض عن هذا الانسلاخ ، أو كل من يسكت وكأن الأمر لا يعنيه ، ولا يستحق أن يعيره التفاتا ، أو وكأنه انسلاخ غير ذات معنى • ويخطىء أيضا كل من يتلمس الذرائع ، أو يجند المبررات دفاعا عن هذا الشرود ، الذى يمهد لهذا الانسلاخ • ويرتكب أفدح الخطأ ، كل من يتصور — من غير حق — أن مثل هذا الانسلاخ ، الذى يسفر عن نشأة علم يوصف بسلامة نية ، بأنه جديد ، وأنه علم يعمل لحساب التجديد ، يمكن أن يأتى بشىء علمى جديد ، يختلف عن ما تأتى به الدراسة الجغرافية •

وينبغى أن نشك وتتشكك معنا فلسفة العلوم ، فى شرعية مثل هذا العلم الذى يقع فى خطيئة **الثنائية** فى التناول ، وفى خطيئة **التوازى** فى المعالجة ، حتى لا يمكن تمييزه عن علم الجغرافية • كما ينبغى أن نشك وأن تتشكك معنا فلسفة العلوم ، فى مصداقية الاتجاه الى التجديد ، حتى يتسنى لهذا العلم حديث النشأة ، انسلاخا من عام الجغرافية ، أن يضيف

شيئا له جدوى ، الى الرصيد العلمى ، لحساب الانســـان • بل قل كيف يكون هذا العلم جديدا ، وكيف يتسنى له هذا التجديد ، أو الاضافة الى الرصيد ، وهو يتناول موضوعات تتناولها عناية ودراسات علم الجغرافية المعاصرة ، ثم هو يحاكى ويقلد ولا يجدد فى المعالجة ، حتى تتوازى هــذه المعالجة مع معالجة علم الجغرافية لنفس الموضوع ؟ •

ويواجه علم الجغرافية المعاصرة هــذا الموقف ، الذى يبدأ بالشرود ، وينتهى بالانسلاخ ونشأة مفتعلة ، لعلم جديد ، بشجاعة وصبر • وصحيح أن علم الجغرافية المعاصرة ، لا يوافق ، ولا يقر أبدا هذا الانسلاخ ، ويعترض عليه اعتراضا شديدا • وصحيح أن أفكار علم الجغرافية المعـــاصرة ، التى تعلن عن هـــذا الاعتراض ، لا تملك القدرة أو الوسيلة ، على اعادة هــذا الشرود ، أو ارجاعه الى جادة الصواب • ولا تملك الجغرافية المعاصرة العصا الغليظة ولا العصا السحرية التى توقف تيار الانسلاخ • ولــكن الصحيح بعد ذلك كله أن علم الجغرافية المعاصرة ، لا ولم ولن يتنازل أبدا أو يصرف النظر ، عن الاهتمامات التى تعرضت لحماقات الشرود والتمرد والانسلاخ • ولا تكف اتجاهات علم الجغرافية المعاصرة أبدا ، عن معالجة هذه الاهتمامات ، لأنها لا تتبرأ من المسئولية عنها • وقل أن علم الجغرافية المعاصرة لا يتنازل عن هذه المسئولية ، وكأنه يتخفف منها الى العلم الجديد • وهذا هو الجانب الايجابى الذى تتخذه الجغرافية المعـــاصرة ، أو الذى تعلن به عن استمرار اعتراضها ، الذى لا يسكت عن هذا الانسلاخ عن الكيان الجغرافى •

وعلى هامش هذا الموقف الايجابى الرشيد ، يبدو وكأن علم الجغرافية المعاصرة ، يتعمد استدبار هـــذه الأزمة ، حتى يكاد لا يعير الانســلاخ أى اهتمام • واستدبار الأزمة شىء ، والسكوت عن الانسلاخ شىء آخر ، لأنه يعنى الاعتراف بقطع الصلة مع الجزء من الاهتمام الجغرافى الذى انسلخ • وهذا هـــو الذى لم يحدث أبدا ، والا فكيف نفسر استمرار عنـــاية علم

الجغرافية المعاصرة متلا بالبيئة ، على مستوى كل الأبعاد الجغرافية ، التى يغطيها البحث دراسة ومعالجة وتدقيقا ، لحساب الهدف الجغرافى ؟

ومن غير أى استنكار ، أو من غير أى استهجان ، يجرح الانسلاخ ، يكون هذا الاستدبار الذى يهمل المسألة الجغرافية الأصل والمنشأ ، ولا يقيد حرية من تحدثه نفسه ، ويتصور أن فى وسعه أن يعتنى بهذه المسألة • وتترك الجغرافية المعاصرة لمن يعالج البيئة مثلا ، الحق فى البحث الحر ، عن زاوية أخرى يطل من خلالها ، على البيئة ، وهى فى ثوبها الجغرافى ، حتى يثبت أن فى وسعه ، أن يكسوها بثوب جديد ، أو أن يضيف عنها شيئا مفيدا ، يستحق عليه الثناء • ومع ذلك فان الاعتقاد الجغرافى ، يكون واثقا من أن هذا البحث الذى يسفر عنه من تحدثه نفسه بالانسلاخ ، لن تتكشف له هذه الزاوية ، التى يطل فيها بعين غير جغرافية على البيئة • كما يكون الاعتقاد الجغرافى واثقا ، من أن هذا البحث الذى تتبرأ من خطيئته العلمية ، قبل أن يتبرأ منها لن يجد ، ولن يضيف بعد ذلك كله ، شيئا له جدوى بالفعل ، غير الذى تضيفه بحوث علم الجغرافية المعاصرة •

ولا شيء يمكن أن ينتصر لعلم الجغرافية المعاصرة ، فى مواجهة هذه الأزمة ، غير هذا الاستدبار فى صحبة استمرار العناية باهتمامات الجغرافية ، وكأن شيئا من هذا الانسلاخ لم يحدث • بمعنى أن لا شيء يفض هذه الأزمة ، غير عدم التفريط فى العناية ، بأى ظاهرة كانت الجغرافية قد تعودت على أن تعتنى بها ، لحساب الهدف الجغرافى • وبمعنى ان يتجنب علم الجغرافية المعاصره ، التنازل عن موضوع من الموضوعات ، التى يحملها الشرود ، على الانسلاخ ، من التركيب الهيكلى من البنية الجغرافية •

وفى الاعتقاد الجغرافى أنه لا مبرر لهذا التنازل • وقل أن التنازل أو التفريط ، فى مثل هذه الحالة يضعف العمل الجغرافى أصلا ، ويطعن البنية العلمية للجغرافية طعنا خطيرا • وليس من الحكمة فى شيء ، أن يقدم الاجتهاد الجغرافى على تنازل أو تفريط ، من شأنه أن يضعف موقف علم

الجغرافية فى مواجهة كل اهتماماته . بل قل الحكمة كل الحكمة ، تكون فى أن يدعم الاجتهاد الجغرافى عنايته بالموضوع ، وأن يشد أزر الدراسة فيه ، لحساب الهدف الجغرافى . بل قل لا شىء يشد أزر عام الجغرافية ويدعمه غير التجويد فى الأداء الجغرافى فى الموضوع ، وغير العناية بترسيخ فعل وأثر كل المتغيرات ، التى ينطلق بموجبها ومن أجلها علم الجغرافية الى ميادين العمل الجغرافى التطبيقى ، لكى يتسنى ترسيخ جدوى الهدف الجغرافى ، وهو الذى لا ينبغى أن يكون أبدا ، لحساب غير حساب الانسان ، فى المكان وفى الزمان .



خاتمة

# بيان وتعليق عن توجهات علم الجغرافية المعاصرة

# خاتمـــــة

## بيان وتعليق عن توجهات علم الجغرافية المعاصرة

يمضى عمل واهتمامات علم الجغرافية المعاصرة ، فى الاتجاه الصحيح الذى يلبى ويطاوع حاجة العصر • ويوغل علم الجغرافية المعـــاصرة برفق وعناية شديدة ، فى مجالات العمل الجغرافى التطبيقى • وتـكون البحوث الجغرافية العلمية العملية التطبيقية ، التى تتوجه الى الاعـــلان عن الرأى الجغرافى وهو الذى يرشد الحضور الانسانى والابداع الحضـــارى فى أهم مجالات تعديل حد المصالحة ، مع الطبيعة وقوة فعل تحدياتها وضوابطها ، فى المكان •

وفى عز زحمة هذا العمل الجغرافى المعـــاصر ، يواجه أو يتعرض علم الجغرافية المعاصرة ، لبعض الأزمات • ولكن مهما يكن أمر هـــذه الأزمات العارضة ، التى تواجه علم الجغرافية المعاصرة ، فانه لا يهتز ولا يتردد فى تجويد وتجديد أدائه ، لحساب العمل التطبيقى • وقل أن الفكر الجغرافى المعاصر لا يكف أبدا عن دعم هذا الأداء المتفتح ، وهو يتحمس للتجديد ، أو وهو يتعمد التجويد ، فى انجاز العمل الجغرافى التطبيقى •

وفى الوقت الذى لا يهتز فيه أداء علم الجغرافية المعاصرة ، ولا يعــير هذه الأزمات العارضة اهتماما كبيرا ، ولا يستشعر أى خطر على الهـــدف الجغرافى ، فانه يحتوى الأزمة ولا يصيبه الاحباط أو الاحســـاس بخيبة الأمل • وقل أن الاجتهاد الجغرافى اليقظ ، يواصل اقدامه ، من غير توتر أو من غير انفعال ، على الأداء الجغرافى العلمى العملى التطبيقى المناسب ولا يسكت هذا الأداء الجغرافى ، عن ترسيخ التجديد والتجويد الجغرافى . على مستوى التطبيق ، الذى يعرف كيف تنتفع به حركة الحياة وهى تواجه الطبيعة وقوة فعلها ، فى المكانوالزمان • بل قل أن هذا الاجتهاد الجغرافى ، يبدو دائما فى أنسب اســـتعداد للالتزام الموضوعى ، بالهـدف الجغرافى الجديد ، وهو شديد العناية والاهتمام بتوجهاته التطبيقية •

وهكذا ، يعكف الاجتهاد الجغرافى المعاصر ، ولا يغفــل عن حراســـه الهدف الجغرافى الجديد • ويتحمل هذا الاجتهاد بأمانة علمية ووعى رشيد .

مسئوليات تنمية تطلعات هذا الهدف الجغرافى ، لكى يواكب فعل المتغيرات ، التى لعبت وما زالت تلعب دورا مهما ، لا يكاد يتوقف أبدا عند حد فى مضى ، أو فى انتعاش ، أو فى انتكاس حركة الحياة ، بل قل أن الاجتهاد الجغرافى التطبيقى المعاصر ، يظل حريصا على ترشيد وحسن توجيه التعامل الذى تستوجبه حركة الحياة ، فى اطار العلاقة الحميمة ، وهى تتلمس وتحافظ على روح المصالحة بين الانسان والطبيعة ، فى المكان والزمان ٠

ويبدو هذا الاجتهاد الجغرافى وهو يطاوع أو وهو يجاوب فلسفة الفكر الجغرافى المعاصر ، حتى يسفر انجازه عن رصيد أنسب يدعم ويطور هذا المنطق الفلسفى الجغرافى ٠ ومن ثم يتمادى الاجتهاد الجغرافى المعاصر فى حسن أداء دوره العملى التطبيقى ٠ وتتسع من خلال التجديد والتجويد ، مجالات الدراسات الجغرافية ، اتساعا كبيرا ٠ وتغطى هذه الاتساعات الاضافات الممتازة ، التى تستحق العناية الجغرافية العلمية التطبيقية ٠

وفى ظل مفاهيم واهتمامات علم الجغرافية المعاصرة ، وعلى مستوى نضج وفلسفة فكرها الجغرافى المتفتح ، كان لابد من التمادى الجغرافى العلمى ، فى حسن العناية بالتقويم الجغرافى السديد ٠ ويتوجه هذا التقويم الجغرافى السديد ، فى الاتجاه الصحيح والأنسب ، وهو محسوب بعناية وخبرة ومهارة ، لحساب الانسان ، أو لحساب حضور حركة الحياة والسيادة الراسخة ، على صعيد الأرض فى المكان والزمان ٠ ويتعامل الاجتهاد الجغرافى مع الرؤية ، أو مع المنظور الجغرافى الطبيعى ، أو مع الرؤية أو مع المنظور الجغرافى البشرى ، **تعاملا جادا** على مستوى بيان هذه الرؤية الجغرافية ، **وتعاملا مناسبا** ، على مستوى التقويم الجغرافى ٠ ومن خلال هذا التقويم الجغرافى وحساباته ، يوفر هذا التعامل القدرة الجغرافية لكى يصبح فى وسعها ، أن تشد أزر الباحث الجغرافى ، وهو يصدر الحكم الجغرافى الحاسم ، أو وهو يعلن عن الرأى الجغرافى التى يتوج به وضوح الرؤية الجغرافية فى المكان والزمان ٠

ويبرهن هذا الاجتهاد الجغرافى المعاصر بالفعل ، على سلامة هذا الرأى الجغرافى السديد ، الذى يبتنى على التقويم الجغرافى السليم ٠ ويرشد هذا الرأى الجغرافى السديد ، التفاعل الحياتى ، بين الانسان والأرض ٠ وقل أنه يشد أزر حركة الحياة ، على صعيد الأرض ٠ بل قل أن هذا الاجتهاد الجغرافى أفلح وأصاب ، ولم يخيب الآمال أبدا فى :

( أ ) حسن توظيف التقـــويم الجغرافى فى ابداء الرأى الجغرافى ، وجمع أو حصر نتائج هـــذا الرأى العملية ، فى اطار العمـل الجغرافى الميدانى ، وتطوير وظيفة الرحلة الجغرافية ، فى ميدان العمـــل الجغرافى العمل العلمى التطبيقى ، أو فى الدراسة الميدانية التطبيقية ، واكتســاب كل المهارات الجغرافية الأنسب للانتفاع بها فى انجاز هـــذه المهمة انجازا ناجحا ٠

(ب) حسن توظيف التقويم الجغرافى فى ابداء الرأى الجغرافى ، وجمع أو حصر نتائجه النظرية ، فى اطار العمل الجغرافى المكتبى ، وسعة الاطلاع العلمى ، وحسن تقصى نتائج العلوم الطبيعية ، ونتائج العلوم الانسانية . واكتساب أحسن المهارات والخبرات الجغرافيـة ، الأنسب لاستخدامهـا فى انجاز هذه المهمة ، انجازا ناجحا ٠

ويتعمد الاجتهاد الجغرافى المعاصر ، حسن العنـــاية والتدقيق ، فى حساب جدوى كل عنصر من العناصر التى يبتنى عليها اجراء هذا التقويم الجغرافى ٠ ويتحرى الاجتهاد الجغرافى بعد ذلك كل العناية ، فى ابداء الرأى الجغرافى السديد ، لحساب الانسان وحركة الحياة ، فى ربوع الأرض ٠ وقل أن هذا الاجتهاد الجغرافى المعاصر ، يسعى من خـــلال حسن أداء العمـــل الجغرافى التطبيقى الى جمع أوصال هذا الرأى الجغرافى ، كمـا يسعى مرة أخرى من خلال حسن توظيف الرأى الجغرافى ، الى خدمة مصـــالح حركة الحياة فى المجالات التطبيقية ٠ ويصبح فى وسع الاجتهاد الجغرافى المعاصر ، أن يسخر مصلحة الهدف الجغرافى تسخيرا جيدا ، لحساب تفاعل حيـــاتى أفضل بين الانسان وحركة الحيـــاة وارادة التفوق والسـيادة فى جانب ، والطبيعة عـــلى امتداد المسرح الفسيح فى ربوع الأرض فى جانب آخر ٠ وتؤدى هذه التجربة ، من خلال التخطيط الاقليمى ، الى تجسيد نجـــاح الاجتهاد الجغرافى التطبيقى المعاصر ٠

وتتولى الجغرافية الطبيعية ، وفروعها المتخصصة ، وهى تهتم بدراسة الأرض ، ودراسة العناصر التى تشترك صياغة خواصها فى المكان والزمان ، وفى بيان أوضاع الواقـــع الطبيعى الكلى ، نصيبها المنـاسب من التقويم الجغرافى ٠ ويحسب هذا التقويم حساب المتغيرات ، وفعلها المباشر أو غير المباشر على أوضاع الواقع الطبيعى ٠ ويحتل هـــذا النصيب من التقــويم الجغرافى مكانا مناسبا ، ومكانة وجيهـــة ، فى بؤرة العنـــاية الجغرافيـــة المعاصرة ٠ وتقبل البحوث الجغرافية المعاصرة ، على دراسة الواقع الجغرافى

الطبيعى ، فى المساحه المعنية ، بأسلوب منهجى جغرافى تطبيقى مناسب ٠

ومن خلال الدراسة الجغرافية الطبيعية المكثفة ، التى تعتمد على نتائج أو حصاد الدراسة الميدانية التطبيقية ، تتسنى الاضافة الجديدة ٠ كما يتسنى حسن استخدام هذه الاضافة الجديدة ، التى يبوح بها الواقع الجغرافى ولا يخفيها عن العين الجغرافية الواعية ، فى انجاز التقويم الجغرافى، ثم فى تسديد الرأى الجغرافى ٠ ويبصر هذا الرأى الجغرافى أمور التعامل مع الأرض والواقع الطبيعى السائد فى ربوعها ٠ كما يسدد حسن الاستخدام وانتفاع الانسان بحضوره وسيادته عليها ٠

ومن خلال هذا العمق الدراسى ، الذى يوغل فيه البحث الجغرافى التطبيقى المعاصر ، تتوفر كل النتائج الجغرافية الممتازة ، حتى توضع بمهارة فى خدمة حركة الحياة على صعيد الأرض ٠ وقل أنها من خلال الرأى الجغرافى الذى لا يخيب ، توظف هذه النتائج الجغرافية توظيفا مباشرا ، أو غير مباشر فى الوقوف فى صف الانسان وهو يتعامل أو وهو يستخدم الأرض٠ بل قل أن هذا التوظيف ، هو الذى يدعم حركة الحياة ، فى ربوع الأرض ويشد أزر أنشطته الاقتصادية ، وتشكيلاته الاجتماعية ، ونظمه السياسية، والادارية ، ومستوياته الحضارية ، على صعيد المساحة المعنية ، فى المكان وحبكته المثلى ، والزمان ومتغيراته التى لا تنتهى أبدا ٠

ومن ثم قل أن الجغرافية الطبيعية فى شكلها المعاصر ، أصبحت لا تهتم بدراسة الأرض وعناصر الطبيعة ، فى ربوعها ، جملة أو تفصيلا ، دراسة جغرافية على مستوى الاهتمام المجرد أو المتجرد ٠ بل قل أنها تكرس هذه العناية وتلك الاهتمامات ، وتطوع نتائج البحوث الجغرافية الطبيعية ، لكى تكون فى متناول حسن الاستخدام لحساب الانسان ، ولا شك ولا تشكيك فى أن حسن استخدام هذه النتائج بعد تطويعها ، يؤمن حضور الانسان وينمى قدراته ويقوى قبضته على مستوى التعامل مع الأرض على بصيرة ٠ وتسخر هذه البصيرة الأرض للانسان ، تسخير من يملك فى يديه ، أهم وأجدى موجبات الانتصار والتفوق ، على صعيد المساحة المعنية ، فى المكان ، وفى الزمان ٠

وتتولى الجغرافية البشرية ، وفروعها المتخصصة ، وهى تهتم بدراسة الانسان ، والعناصر والجوانب التى تشترك فى صياغة حركة الحياة ، وتوجهاتها الاجتماعية ، والاقتصادية ، والحضارية ، والسياسية ، فى المكان

والزمان ، وفى بيان أوضاع وأحوال الواقع البشرى الكلى ، نصيبها المناسب أيضا من التقويم الجغرافى • ويحسب هـذا التقويم الجغرافى ، حسـاب المتغيرات ، وفعلها المباشر وغير المباشر فى أوضاع حركة الحيـاة ، أو فى أحوال الواقع البشرى • ويحتل هذا النصيب من التقويم الجغرافى ، مكانا مناسبا ، ومكانة وجيهة ، فى بؤرة العناية الجغرافية المعاصرة • وتقبـل البحوث الجغرافية المعـاصرة ، على دراسـة الواقع الجغرافى البشرى فى المساحة المعنية ، بأسلوب منهجى جغرافى تطبيقى مناسب •

ومن خلال هذه الدراسة الجغرافية البشرية المكثفة ، التى تعتمد على سعة الاطلاع ، وعلى نتائج الدراسة الجغرافية الميدانية التطبيقية ، تتسنى • بل وتستجيب الاضافة الجديدة والمجددة • كمـا يتسنى حسن استخدام هذه الاضافة ، التى يبوح بها الواقع الجغرافى البشرى ، ولا يخفيهـا عن العين الجغرافية الواعية ، فى انجاز التقويم الجغرافى ، ثم فى تسديد الرأى الجغرافى • ويبصر هذا الرأى الجغرافى السديد ، الانسان وحركة الحياة ، ويؤمن لها حسن استخدام الأرض والتعامل معها ، وبسط سيادته المتنامية عليها •

ومن خلال هذا العمق الدراسى ، الذى يوغل فيـه البحث الجغرافى التطبيقى المعاصر ، تتوفر كل النتـائج الجوهرية ، التى تضـع الانسـان وحركة الحياة ، فى مواجهة صريحة ومكشوفة ، مع قدراته التى يتعامل بها مع الأرض • وقل أنها من خـلال الرأى الجغرافى الذى لا يخيب ، توظف هذه النتائج الجغرافية ، توظيفا مباشرا أو غـير مباشر ، فى الوقوف فى صف الانسان ، وهو يتعامل أو وهو يستخدم الأرض • بل قل أن هـذا التوظيف ، هو الذى يدعم حركة الحيـاة فى ربوع الأرض ، ويشد أزر أنشطته الاقتصادية ، وتشـكيلاته الاجتمـاعية ، ونظمـه السياسية ، ومستوياته الحضارية ، على صعيد المساحة المعنية ، فى المكان وحبكته المثلى ، وفى الزمان وحركة المتغيرات التى تتوالى ولا تنتهى أبدا •

ومن ثم ، قل أن الجغرافية البشرية فى شكلها المعـاصر ، أصبحت لا تهتم بدراسة الانسان وحركة الحياة ، وعناصر هذه الحركة ، فى ربوع الأرض ، جملة أو تفصيلا ، على مستوى الاهتمام المجرد أو المتجرد • بل قل انها تكرس هذه العناية وتلك الاهتمـامات ، وتطوع النتـائج الجغرافيـة البشرية ، لكى يرى الانسان نفسـه ، ولكى يتلمس محصلة مهـاراته وقدراته ، ولكى يتعرف على الواقع الحيـاتى فى اطار حركة الحيـاة التى

يعيشها ، حتى يدرك جيدا كيف ينمى مهاراته ، ويقوى قبضته ، من أجل تدارك أسباب الضعف أو القصور ، فى اطار التعامل الحياتى مع الأرض • ولا شك ولا تشكيك فى أن وضوح رؤية الانسان لنفسه ، فى زحمة حركة الحياة تفجر فى كل انسان ارادة التغيير ، وحسن الاستعداد والاقدام الرزين على هذا التغيير • وتفجير ارادة هـذا التغيير • وحسن الاستعداد والاقدام على التغيير الرزين ، لا يتحقق أبدا ، فى غيبة الرأى الجغرافى وتوجيهـاته السديدة • ويضع هذا الرأى الجغرافى أيدى الانسان على أهم وأجـدى موجبات الانتصار عند تحسين مستوى التعامل مع الأرض ، على صـعيد المساحة المعنية ، فى المكان والزمان •

* * *

وهكذا ، يكون اهتمام علم الجغرافية المعاصرة ، وهو لا يفتر أو يتهاون أو يقصر ، بالأرض وبالظاهرات الجغرافية الطبيعيـة ، وبالواقع الجغرافى الطبيعى • كمـا يكون اهتمام علم الجغرافيـة المعـاصرة أيضـا ، بالنـاس وبالظاهرات الجغرافية البشرية ، وبالواقع البشرى • ويمتد هذا الاهتمام ، لكى يشمل المتغيرات وكيف تؤثر على الواقع الجغرافى الطبيعى أو على الواقع الجغرافى البشرى ، على المدى القصيـر ، وعلى المدى الطويل ، وعـلى المدى الجيولوجى • وقد نسعف متابعة هـذه المتغـيرات الطبيعية أو المتغـيرات البشرية ، لكى يتلمس اتجاه تأثيرها ، فى المستقبل القريب أو البعيد •

ويكون الاجتهاد الجغرافى المعاصر ، عـلى مستوى التخصص الجغرافى الدقيق ، غاية فى التوفيق ، سواء ، وهو يتوجه الى متابعة الرؤية الجغرافية الطبيعية أو البشرية ، فى الماضى ، أو فى الحاضر أو وهو يتوجه الى متابعة متغيرات الرؤية الجغرافية ، من حين الى حين آخر • ويكون الاهتمام الجغرافى بهما أو بالعلاقة بينهما متوازنا ومتوازيا ، ومتزامنا •

ويلتمس الاجتهاد الجغرافى المعاصر ، بعد كل شىء ، الكشف الحصيف عن الصلة أو العلاقة التى لا تنتهى ، بين الانسان وحركة الحياة ، والأرض والمسرح الفسيح ، الذى يشهد أنشطة حركة الحياة • كما يلتمس الاجتهاد الجغرافى المتخصص ، التأثير المتبادل بينهما ، فى حـدود المصلحة ، التى تكفل التعايش • وقل يدور البحث الجغرافى ، فى اطار الموضوعية ، لحساب الهدف الجغرافى ، بحثا عن ، من الذى يضبط ، وكيف يضبط ، والى أى حد يتأتى هذا الضبط ، ومن الذى ينضبط ، وكيف يتـأتى الانضباط ، والى أى حد يتأتى هذا الانضباط • كما يلتمس البحث الجغرافى ، ولا يسكت

عن الكيفية التى يكون بموجبها منطق وفلسفات ، هذا الضبط والانضباط المتبادل • ومن ثم يعرف الاجتهـــاد الجغرافى المعاصر ، فى نهـاية المطاف ، كيف يضع الهدف الجغرافى بحـــذافيره ، فى خدمة حركة الحيـاة ، وارادة التغيير الى ما هو أفضل ، فى اطار الخطـة التنموية ، الشـاملة على صعيد المساحة المعنية ، اجتماعيا وحضاريا واقتصاديا ، فى الاقليم التخطيطى •

ويبدو آن الباحث الجغرافى ، يكون فى أمس الحاجة الى سعة الاطلاع والاحاطة بنتائج كل العلوم الطبيعيـــة والانسانية ، لـكى يتزود بخبرات ومهارات ومكتسبات علمية مفيدة • وتشد هـــذه المهـارات والمكتسبات العلمية ، أزر الاجتهاد الجغرافى المعاصر ، وهو على درب التجديد والتجويد الجغرافى • وقل ينبغى أن يعرف الباحث الجغرافى كيف يكون الآخـذ من نتائج العلوم الأخرى ، وكيف يجيد التزود بهذا الرصيد العلمى لحســاب البحث الجغرافى • هذا بالاضافة الى التزود بمهارة حسن استخدام هـذه النتائج العلمية ، فى انجاز البحث الجغرافى سواء وهو يعالج ، أو وهــو يحلل ، أو وهو يلتمس العلاقات وموجبات الربط ، أو وهو يقدم على اجراء التقويم الجغرافى • ثم ينبغى أن يتحلى بعد ذلك كله ، بأكثر من مهارة ، فى الوصول الى صيغة الرأى الجغرافى السديد •

ومع ذلك ، ينبغى أن يحذر البــاحث الجغرافى ، وأن يتحفظ كثيرا ، فى ابداء الرأى الجغرافى ، لكى يتجنب الوقوع فى خطيئة ، تقمص وظيفة غير الوظيفة الجغرافية • أو الاستغراق فى تخصص دقيق غـير التخصص الجغرافى • ويجب أن يكون الباحث الجغرافى جغرافيا ، أولا وأخيرا ، وأن يظل جغرافيا ، فلا ينسلخ من جلده الجغرافى • وصحيح أن الباحث الجغرافى ينتهى الى الرأى الجغرافى السديد ، ويملك أن يرشد بناء على هذا الرأى ، وأن ينصح ، وأن يوصى ، لكى يستمع اليه وينتفع بنصيحته أو توصـيته المهندس أو الاقتصـادى ، أو غــيرهم من المتخصصين الشركاء فى فريق المخططين ، ولـكنه لا ينبغى أن يتجــاوز الباحث الجغرافى دوره الوظيفى الجغرافى المتخصص الى دور تخصصى آخر • وهو ان فعل ، حتى ولو كان من غير قصد ، فانما يمهد ، لكى ينسلخ من الانتمـاء الجغرافى ، انسلاخا يوقع به فى المحظور •

* * *

# المصادر والمراجع

**أولا – المراجع العربية :**


١ – صلاح الدين الشامى : الفكر الجغرافى . سيرة ومسيرة ، الاسكندرية ، ١٩٨٠

٢ – صلاح الدين الشامى : الرحلة عين الجغرافية المبصرة فى الدراسة الميدانية ، القاهرة ، ١٩٨٢

٣ – صلاح الدين الشامى : التقويم الجغرافى . انطلاقة التجديد والتجويد فى الفكر الجغرافى المعاصر . مجلة كلية الآداب . جامعة صنعاء

٤ – صلاح الدين الشامى : الجغرافية دعامة التخطيط . القاهرة . ١٩٧٦

٥ – صلاح للدين الشامى : الندية بين الطبيعة والانسان . منشورات قسم الجغرافية ، فى جامعة الكويت ، ١٩٨٥ .

٦ – جريفيت تايلور : الجغرافية فى القرن العشرين . ( ترجمة د. محمد السيد غلاب وآخرون ) ، القاهرة ، ١٩٧٤

٧ – روجر منشل : تطور الجغرافية الحديثة . ( ترجمة د. محمد السيد غلاب ، د. دولت صادق ) ، القاهرة ، ١٩٧٣

٨ – فريمان ، ت. و : الجغرافية فى مائة عام . ( ترجمة د. عبد العزيز طريح شرف ) الألف كتاب الثانى ٤ ، ١٩٨٦

٩ – يسرى الجوهرى : الفكر الجغرافى والكشوف الجغرافية ، الاسكندرية ، ١٩٧٢

١٠ – يوسف أبو الحجاج : الجغرافية مغزاها ومرماها ( ترجمة ) الألف كتاب رقم ١٨٧

## ثانيا ـ المراجع الأجنبية :

1. Beazley, R. : The Down of Modern Geography, London, 1897.
2. Bunbury, E.H. : A History of Ancient Geography London, 1883.
3. Freeman, T.W. : A Hundred Years of Geography, Duck Worth, 1961.
4. Freeman, T.W. : Geography and Planning, Hull, 1958.
5. Gibson, A. : Regional Planning and Development, Lieden 1955.
6. Hartshorne, R. : The Nature of Geography, A.A.A.G Lancaster Pensylvania, 1939.
7. Hartshorne, R. : Perspective of the Nature of Geography, Murry 1959.
8. Kimble, G.H.T. : Geography in the Middle Ages, London, 1963.
9. Minshull, R.M. : Regional Geography; Theory and Practice, Hull. 1967.
10. Martin, A.F. : The Necessity of Determinism, TIBG No. 17, 1951.
11. Stamp, L.D. : Applied Geography, Pelican, 1960.
12. Scott., J. & Howarth, O.R. : History of Geography, London, 1913.
13. Taylor, G. : Geography in the Twentieth Centry, London, 1953.
14. Turnock, D. : The Region in Modern Geography, Geog. Vol. LII 1967.
17. Wooldrige, S.W. & East, W.G. : The Spirit and Purpose of Geography, London 1964.

# محتويات الكتاب

الصفحة

الصفحة

## الفصل الرابع
## علم الجغرافية الحديثة
## وقضايا تحديد المكان والزمان



## الفصل الخامس
## الفكر الجغرافى الحديث
## مضى سديد فى العمل الجغرافى
## وتطور رشيد فى الهدف الجغرافى



## الفصل السادس
## التقويم الجغرافى ....
## والمضى فى تطوير الهـــدف



## الفصل السابع

## الجغرافية المعاصرة ومواجهة الأزمة

الصفحة



## خاتمـــة



رقم الايداع ١٩٨٧/٣٩٥٧
الترقيم الدولى ٦ - ٣٤٧ - ١٠٣ - ٩٧٧

مطبعـة أطلس
١١ ، ١٣ شارع سوق التوفيقية
تليفون : ٧٩٧٧٤٧ - القاهرة